

رَبِّيَا الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ

السَّيِّدَ عَامِلِ الْعُلُوفِي

عَمْرُو السَّادِ وَوَسَّيَّرَ

أَخْلَاقُ

الكتاب الإسلامي

الجنسان

الرجل والمرأة

الأثر الخالد

البقعة الأسانيدية

المفاهيم الإسلامية





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلْ سَئِئْرًا فَلْيَرْجُ الْيَوْمَ
مِنْ اللَّهِ عَذَابًا أَلِيمًا

سَيِّدَاتِ الْعَالَمِيَّةِ

السَّيِّدَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الْعُلُوِّيَّةِ

الجزء السادس عشر

أَخلاق



هوية الكتاب

رسالات إسلامية (موسوعة)	الكتاب
السيد عادل العلوي	المؤلف
السادس عشر	المجلد
أخلاق وتربية	الموضوع
٦٣٢ صفحة	الصفحات
المطبعة	المطبعة
الطبعة الأولى	الطبعة
سنة الطبع = ١٤٢٦ هـ = ١٣٨٤ هـ ش = ٢٠٠٦ م	سنة الطبع
المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد	نشر
شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)	الشابك

يحتوي المجلد السادس عشر على الكتب التالية :

١- الجنسان (الرجل والمرأة في الميزان) (٢٤٨ صفحة)

بقلم آية الله السيد علي بن الحسين العلوي

والسيد عادل العلوي

٢- الأثر الخالد في الولد والوالد (٢٥٦ صفحة)

بقلم آية الله السيد علي بن الحسين العلوي

إشراف : السيد عادل العلوي

٣- اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية (١٦٦ صفحة)

بقلم السيد عادل العلوي

٤- المفاهيم الإسلامية (١١٢ صفحة)

بقلم المرحوم حجة الإسلام السيد عامر العلوي

الجنسان

الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ فِي الْمِيزَانِ

مِنْ تَأْلِيفَاتِ الْمَرْحُومِ

آيَةَ اللَّهِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ الْمُحَسِّنِ الْعَلَوِيِّ

قَدَسَ سِرُّهُ

تعلقات

السيد عادل العلوي

مقدمة

السيدة بنت العلي الحيدري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



العلوي، السيد علي، ١٩٢٧ -

الجنسان - الرجل والمرأة في الميزان - من تأليفات المرحوم آية الله السيد علي بن الحسين العلوي :
إشراف وتعليقات نجله السيد عادل العلوي : مقدمة السيدة بنت العلي الحيدري . - قم : المؤسسة الإسلامية
العامة للتبليغ والإرشاد، ١٣٨١ .
ص ٢٤٨

ISBN 964 - 5915 - 65 - 1

فهرستویسی بر اساس اطلاعات فیما

عربی .

١. زیاتوی (اسلام) - احادیث . ٢. روابط زن و مرد - احادیث . ٣. زنان - مسائل اجتماعی و
اخلاقی . ٤. زن و شوهر - احادیث . الف. علوی . عادل . ١٩٥٥ - . محقق . ب. حیدری . بنت العلی .
مقدمه نویسی . ج. عنوان .

٢٩٧ / ٦٤٢

BP ١٤١ / ٥ / ٨٥٤

کتابخانه ملی ایران

محل نگهداری

م ٨١ - ٢٣٦٢

موسوعة رسالات إسلامية

کتاب

الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان
تأليف - آية الله المرحوم السيد علي بن الحسين العلوي
تعليقات - السيد عادل العلوي
مقدمة - السيدة بنت العلي الحيدري

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
الطبعة الأولى - ١٤٢٦ هـ ق = ٢٠٠٥ م = ١٣٨٤ هـ ش
التنضيد والإخراج الكمبيوترية - حكمت، قم
المطبعة - النهضة، قم
الكمية - ٥٠٠ نسخة

ISBN 964 - 5915 - 65 - 1

EAN 9789645915658

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك ١ - ٦٥ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

ای. ای. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٦٥٨

شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دوره ١٠٠ جلد)

المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عظمة المرأة في الإسلام

بقلم : السيِّدة بنت العليِّ الحيدري

نحمدك اللهم على آلائك ونعمائك، وخير الصلاة والسلام على منجي عالم
البشريَّة من حضيض الجهل إلى وادي السعادة. خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين
محمَّد، وعلى آله الأطهار قادة الأمم وساسة العباد، واللعن الدائم على أعدائهم
ومنكري فضائلهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿مَنْ
عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

لا يخفى أنَّ القرآن العظيم هدىً للممتِّقين، فيه آيات محكمات وأخر
متشابهات، لا يعلمها إلا الراسخون في العلم ومن آتاهم الله الحكمة والخير.
وإنَّ للقرآن حلاوةً وتأثيراً بالغاً في النفوس والعقول لا يوجد ذلك في

٦ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

غيره، ولا عجب فإنه كلاء الله المنزل لأجل سعادة الإنسان والمجتمع، ويصالحهما إلى قيم الإنسانية والكرامة والكمال.

ولمّا كان القارئ والتالي لهذا الكتاب الحكيم، والمرئوي من مناهله الروية العذبة من الرجال والنساء، اخترت هذه الآية الشريفة مطلعاً لكلتي وموضوعاً للبحث لتعيش لحظات في رحاب القرآن الكريم، ونقطف من ثمرات هذه الآية الشريفة، ومن الله نستمدّ التوفيق والإحلاص.

هذا ولم أتعرض إلى التفاسير والخوض في بحار هذه الآية، إنّما المقصود ما يمكن أن نستلهمه من ظاهر الآية، والظواهر حجة، فلا يكن ما نذكره إلا نبذة يسيرة ولمعة خاطفة، ومن أراد التحقيق فعليه بمراجعة الكتب المطولة في هذا المضمار.

فالإنسان - ذلك المخلوق القيم المتعالي الذي لأجله سُخِّرَت السماوات والأرض وما بينهما، وذلك لما يحمل من قوة درّاعة عاقلة، ويتوشم بالنفس الناطقة - ما دام حتى اليوم وغداً مجهول الحقيقة، ولم يُكشَف عن أسرارهِ ولم تُرفع أستار الجهل عن واقعهِ، مع ما بلغ العلم متابع، وارتقى حتى فُلقت الذرّة، وأصبحنا في عصر القمر والحاسوب.

نعم، الإنسان ذلك الشيء العجيب الذي يزعم أنه جرمٌ صغير، إلا أنه فيه انطوى العالم الأكبر، ما زال مجهولاً، وما زال أمامه آلاف علامات استنهام وسؤال، ولا يزال يطالع حقيقته من زوايا مختلفة وجوانب عديدة، لا زال المحققون والباحثون يطرحونه تحت مجهرة التحقيق وتلسكوب المطالعة.

ومن تلك الأسئلة المطروحة قديماً وما فتئت، هو: ما الهدف من وجود الإنسان؟ وما هي العوامل التي تسعده، وتجعل حياته حياة طيبة، يعتمها الهناء

والحبور والخمر والسرور، ونمَّ بعض الناس - بل أكثرهم - من الأسقياء حتى يخيم كابوس الشقاء على صدره ووجوده وحياته؟

ثمَّ يتوسَّع السؤال حتَّى يقال: ما هي الدواعي التي تجعل المجتمع الإنساني سعيداً؟ وما الأسباب التي تسبَّب في انحطاط الشعوب وذلتهم وشقائهم؟ وعندئذٍ ترى الجواب يتحوَّل إلى كتب وأسفار قطورة، تشاهد المؤلفين والمصنِّفين يغوصون بحار العلم، ويجولون ميادينها، ويسيرون في طريقه الأميال المليويَّة.

وأخيراً، وما هو بآخر، إذ فوق كلِّ ذي علمٍ عليهم، فما جوابهم إلاَّ قطرات وأغرف من بحرٍ عميق متلاطم الأمواج.

ولكن حينما تفتح القرآن الكريم لتتلو كلام الله الحكيم العالم بخفايا الإنسان وأسراره، نراه وبكلِّ وجازة وحلاوة يجيبنا بصراحة لا تعقيد فيه ولا تليس، وإتِّما هو فرقان وبيان، بأنَّ سعادة الإنسان والمجتمع الإنساني أعمَّ من الرجل والمرأة - إذ هما يتساويان في طلب الكمال والكمالات، فلا فرق بينهما في ذلك - إتِّما هو بعاملين:

الأوَّل: الإيمان بالله والاعتقاد القلبي به وبرسئله وملائكته وكتبه وكلِّ ما جاء فيها من الشرائع والأحكام وباليوم الآخر.

الثاني: العمل الصالح وما فيه الحُسن الفعلي والفاعلي، ولولا الإيمان والعمل الصالح فإنَّ الإنسان يهوى إلى أسفل السافلين ويصاب بالخسران والعذاب المهين، كما قال سبحانه مقسماً بالعصر ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ ﴿١﴾

حبذا أن نُسِّبه هذين العاملين بجناحي طير، فإنَّ الطير لو كان متصوص الجناح لما أمكنه أن يطير، بل كان من السهل أن يُصاد أو يكون لعبة بيد الأطفال ولقمة في فم الحيوانات، وما عاقبة الأمر إلاَّ انذلٌ والشقاء، وهكذا الإنسان فإنَّه بجناحيه - الإيمان والعمل الصالح - يمكنه أن يخلُق في أجواء الفضائل ويطير إلى سماء العلم والمكارم فيصل إلى قَمَّة السعادة والخير.

ثمَّ الآية الشريفة كما أشرنا تصرِّح بأنَّ المرأة والرجل على حدِّ سواء في الإيمان والعمل الصالح، فلا يزيد إيمان الرجل وعمله الصالح على المرأة، بل ربما تكون المرأة يضرب في إيمانها مثلاً للرجال، كما أشار القرآن الكريم إلى هذا في قصَّة امرأة فرعون، فالرجل والمرأة متساويان في ذلك الأصل الإيماني والإنساني والتكاملي كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿١٢٦﴾ فَلَهُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ فِي الدُّنْيَا وَجِزَاءٌ حَسَنٌ فِي الْآخِرَةِ، ففي الدارين يتساويان - الرجل والمرأة - بالإيمان والعمل الصالح ويسعدان، إذ السعادة بالإيمان - وهو العلم النظري - والعمل الصالح - وهو العلم العملي أو التطبيقي -.

فعلى المرأة المؤمنة أن تعرف سرَّ عزَّتِها وعظمتها في الإسلام، فتعرف ماذا يجب عليها أن تتعلَّم، وماذا عليها من العمل والمسؤوليات سيِّما في العصر الحاضر، حيث الاستعمار والاستكبار العالمي بكلِّ قواه يخطط ويسعى لهدم

(١) العنبر: ١ - ٢.

(٢) النحل: ٩٧.

صرح الإسلام، ونشوب مخالبه في البلاد الإسلاميّة نمصّ دماء شعوبها ونهب ثروات شعوبها ومنابع بلادها، فيدعو المرأة باسم التحرّر والحرية الكاذبة إلى الميعان والاندلاع والاستهتار والسفور والانهماك في المنكرات والفحشاء والفجور، حتّى غدت لعبة بأيديهم، وفقدت أصالتها وقيمتها وعزّتها، وإنّها كانت ريحانة وليست بقهرمانّة، وليست لعبة وآلة بيد الأوغاد والسفهاء، وليست وسيلة لأهدافهم ومنافعهم وحرصهم.

إنّها بأدوارها الأربعة: حينما تكون بنتاً وأختاً وزوجاً وأمّاً هي جزء أصيل من كيان المجتمع، وبسلامتها يسلم المجتمع، وبشقائها وانحطاطها ينحطّ المجتمع وينهار إلى أسفل السافلين، كما نجد ذلك في المعسكرين الغربي والشرقي.

لا بدّ للمرأة المسلمة أن تجاهد الاستثمار والاستعباد البشري وتكافح الظلم والطغيان وعملاء الأجانب، وتُربي أجيالاً عليهم طابع البطولة والشجاعة، ومن أحضانها عروج الرجل إلى قمة الكمال، فتكون في سوح الجهاد الأكبر والأصغر، ولا تفتقر عن عبادة ربّها ليل نهار.

المرأة المسلمة هي التي آمنت بالله بالعقل والتفكّر، وعملت الصالحات، وبذلت النفس والنفس في سبيل الله، وضربت أروع مثال في سبيل إعلاء كلمة الحقّ وإدحاض كلمة الباطل، وفي طريق تحقيق المجتمع السالم لا بدّ أن تعاني آلام المستضعفين، وتهتمّ بأمور المسلمين والمسلمات، وتكافح من أجل نجاة المرأة من سلاسل الذلّ والاستعمار الغربي والشرقي، وعليها أن تفهم وتدرك واقعها وحاضرها ومستقبلها ومسؤولياتها، وكفى بربك شهيداً وبصيراً.

المرأة في ضوء الإسلام

يتكوّن المجتمع البشري من عنصرين أساسيين هما الرجل والمرأة . فالمرأة بصيغتها المتفاوتة وأبعادها المختلفة في الحياة، لها الدور الأصيل والفعال في تشكيل وبناء المجتمع الإنساني، فإنها سواء كانت بنتاً صالحة مطيعة للوالدين، أو شقيقة عطوفة شقيقة لإخوانها وأخواتها، أم زوجة عفيفة أمينة تشارك حياة الزوج، أم أمّاً حنوناً أحضانها مدرسة الأجيال، تجدف بسفينة الحياة نحو ساحل السعادة وشاطئ السلام ونحو حياة أفضل، يعتمها السرور والحبور، فهي بتفكيرها وسلوكها ونضالها وتفانيها تقادرة بحق على أن تقود عربة العيش الرغيد في طريق المجد والعظمة والازدهار، وما من رجل عظيم إلا وخلفه امرأة - كما قيل - .

وبإمكانها وهي كفوءة على أن تبلور المجتمع وتصونه من الانحطاط والوقوع في هاوية الفساد والرذيلة، فهي جوهرة ثمينة ذات جلاء وصفاء، معطاءة للخير والإحسان، ولولاها سرعان ما يصبح الوجود عدماً، فناموس الطبيعة وسنة الدهر بحكمة الله الحكيم عزّ وجلّ اقتضت وجود المرأة وتفاعلها في تصوير المجتمع وتشبيده وتحكيم بنائه وتطويره .

ولكن المرأة طوال الأحقاب المتمادية قد ظلمت، وجهل فضلها وحقيقتها، وتقطعت إرباً في حركة دولاب المجتمع القديم، ونالت من الحرمان والجمود والذلة ما يندى جبين الإنسانية له خجلاً، حيث صورها الإنسان الظلوم بصور بشعة، وألبسها أثواب المذمة والاندحار، ولولا ظهور الإسلام الحنيف ومنهاجه

الرصين وتعانيه القيمة، لكائن المرأة وكنائها على وشك الانهيار والاندثار تحت وطأة أفداء الجاهلية الصماء اليكم العمياء.

والتاريخ يشهد:

فإنها عند اليونانيين القدماء تعتبر موجوداً قذراً لا ينظف، وهي وليدة الشيطان، ومنعت من التدخل في شؤون الحياة.

وعند الروميين لا تحضر يوم القيامة، إذ لا تحمل روح الإنسانية، وإنها مظهر الشيطان والأرواح الخبيثة، ولا حقوق لها.

وعند شعوب الصين خالية من الفكر والعقل والمشاعر، ويضعون قدمها في قوالب من الفلزات في صغرها حتى البلوغ، وحينذاك ترى النقص في جسدها فلا تطأ ساحة المجتمع.

وفي الهند يرفعون رايات الحزن والكآبة على دورهم عندما يكون المولود بنتاً.

والمصريون يقدّمون أجمل نسائهم إلى النيل عند طغيانه إرضاءً لغضبه.

وعند الفرس كانت كالعجماءات.

وفي أوروبا لا تملك ولا تترث ويمنع عليها الضحك واللحم، وهي عنصر ثالث بين الإنسان والحيوان، وفي فرنسا لا قيمة لها وينظرون إليها بتنفر وكراهية. وفي كتب اليهود لا تقبل شهادة المرأة ويمينها، والرجال يشكرون ربهم أنهم لم يخلقوا بصورة النساء.

وعند المسيحيين كذلك، فإن المجمع الديني المسيحي عام ٥٨٦ م في فرنسا قال بأن المرأة من الإنسان، ولكن خلقت لخدمة الرجال، وإرضاء لرغباتهم ومبوتهم الجنسية.

١٢ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

فزادوا في الطين بئنه، وتوثوا صيانة المجتمع وأطاحوا بعرشه القائم على أركان الإنسانية والعدالة الاجتماعية والضمير الحي.

وأما في جزيرة العرب، حيث ساء الجهل والعصبيّة النكراء، وكسى ظلام الظلم سماء الجزيرة، دفنوا البنت وهم يسمعون صراخها وأنيها.

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٠١﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

وعندما بزغ شمس الإسلام، وتلألأ نوره في الآفاق، وانتشرت خيوطه الذهبية في جميع زوايا الحياة، عرفت المرأة شخصيتها وأصلتها في المجتمع، وساوت الرجال في الحقوق وخاضت مجالات الحياة راسمةً أروع البطولات والتضحيات، مكللةً بانبل والتقدم، فأهدى الإسلام إليها مقامها الشامخ، فتفجرت من صميمها ينابيع العلم والشرف والثقافة، وضاهت الرجال في شتى الميادين حتى أثبتت جدارتها وسجلت شخصيتها في كتاب التاريخ.

فأعطى الإسلام حقوقها وأعزها وشرفها، وصرح بأنها جزء من كيان المجتمع، فتساوت مع الرجل في جميع الحقوق والقوانين لكن لا على الإطلاق، بل خصها بحقوق دون الرجل لما تحمل من روح وجسم يمتاز عن الرجال - كما ثبت ذلك في العلم البيولوجي والسوسولوجي -.

فإنها أقل من الرجل في القلب والدماغ والجمجمة والطول وضربات القلب وحرارة البدن والتنفس والبلوغ وغير ذلك. وأخيراً إنَّها من الجنس اللطيف

الظريف وهي تحمل العواطف أكثر من الرجل وهو يحمل قوّة العقل والشعقل والتدبير أكثر، فيحكمه العقل وتحكمها العواطف والأحاسيس أكثر من الرجل، وهذا هو بيت القصيد، فاخصّصت بحقوق كما هو كذلك. وهما يشتركان في حقوق كثيرة فتساوت مع الرجل في أصول الدين وفروعه والتكامل في الحياة، وهذا من عظمة دين الإسلام القويم.

وإلّكم نبذة يسيرة من الآيات الكريمة والروايات الشريفة، ثمّ زبدة

المخاض.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (١)

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣)

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَسُخِّبْنَاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤)

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى

(١) النساء : ١ .

(٢) النجم : ٤٥ .

(٣) الحجرات : ١٣ .

(٤) النحل : ٩٧ .

بَعْضَكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴿١١﴾

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيًّا ﴾

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴾

﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا
مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ
وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ
بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

(١) آل عمران : ١٩٥

(٢) النساء : ١٢٤

(٣) النساء : ٣٢

(٤) النساء : ٣٤

(٥) النساء : ٧٥

(٦) الحجرات : ١١

(٧) الحجر : ١١

وقال رسول الله منجي عالم البشرية محمد بن عبد الله ﷺ:

« ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لنيم»^(١)

« من أخلاق الأنبياء حُب النساء»^(٢)

« خير أولادكم البنات»^(٣)

وكثير من الأحاديث الشريفة الواردة عن الرسول الأعظم والأنمة

الأطهار عليهم السلام وسيرتهم الرسالية.

وزبدة الكلام أن الإسلام العظيم بنى صرح المرأة على الفطرة السليمة

وقانون الطبيعة وبروح الإنسانية والعدالة الاجتماعية. وأكرمها بالتنوير والعلم

والجهاد والإيمان، وشرفها بالأخلاق والفضائل والمكارم والكمال.

وقال:

١- المرأة (إنسان واقعي) تحمل خصائص الإنسان وخلقت مع الرجل من

نفس واحدة متشاركة في المفهوم الإنساني، وجعلهم الله شعوباً وقبائل ليتعارفوا،

فإن الكريم والمقرب عند الله - ولا فرق بين الذكر والأنثى - هو المتقي والأتقى.

٢- المرأة كالرجل، فهي عضو كامل فعال في المجتمع ولها أصالتها

وشخصيتها وحقوقها والحياة الطيبة والعيش الرغيد بإيمانها وعملها الصالح،

وتجزى بأحسن ما كانت تعمل كالرجال.

٣- البنت من الأولاد كما أن الولد من الأولاد، فترث وتورث وكلاهما من

(١) نهج الفصاحة: ٣١٨، الحديث: ١٥٢٠

(٢) وسائل الشيعه ٣: ٢

(٣) مكارم الأخلاق: ٢٥١

١٦ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

أفلاذ الأكياد ولهما نصيبهما مما اكتسبا.

٤- المرأة تستقل في عملها، وعملها محترم في الشريعة المقدسة، ولها أن تملك وتنفرد في مالها كيفما تشاء، فإنها مسلطة على أموالها كالرجال، ولها الحق في الدفاع عن حقوقها الفردية والاجتماعية.

٥- ليس للرجل أن يتعدى على حقوق المرأة ولا يهينها ويسخر منها، وإته يعاقب على انتهاك حرمتها، ولا بد للرجال الدفاع عن حقها ويقاوم من أجل استضعافها.

٦- للمرأة الحرية المؤطرة بالقانون، وهي مستقلة في تفكيرها وأخذ تصميمها في الحياة، تعمل بما يناسب شأنها.

٧- للمرأة شخصيتها الروحية والمعنوية، ولا تحرم من سعادة الدنيا والآخرة، وثوابها وجناتها.

٨- على المرأة هالة قدسية، وقد تبلغ ذروة الإيمان وسمو الروحية والهمة حتى تكون وسيرتها وحياتها مثلاً ودرساً وعبراً للرجال والمؤمنين كأمراء فرعون ضرب الله بها مثلاً للمؤمنين.

٩- المرأة عضيد الرجل في حياته ومكملة لأخلاقه ودينه وتقواه.

١٠- أحضان المرأة المدرسة الأولى لتربية الأولاد والرجال العظماء والمفكرين القياديين، ولكن لما لها من الخصائص المتميزة عن الرجل خصت بحقوق، وذلك من الطبيعي، ولا بد من مراعاة حقها وأخذها بنظر الاعتبار كما فعل الإسلام العظيم، فعرف لنا حقيقة المرأة وماهيتها بأجمل تعريف وصورها بأروع صورة: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (١)

ومن خصائص اللباس الوقاية من الحرّ والبرد، أي من الانعدام والاضمحلال والأمراض الاجتماعية والأخلاقية. فلا بدّ من معرفة علم النفس في المرأة كما في الرجل، فلكلّ واحدٍ خصائصه.

فأوصى الإسلام بالعدالة في حقّ المرأة، وأخيراً قال أمير المؤمنين عليه السلام:
 «... فإنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كلّ حال، وأحسن الصحبة لها ليصفو عيشك» (١).

وقال قائد الثورة الإسلاميّة الإمام الخميني مبارك: «... إنّ الإسلام قد اهتمّ واعتنى بالنساء أكثر من الرجال» (٢).

فطوبى لمن عرف قدر نفسه وفهم الحياة وعمل لآخرته، وفاز بسعادة الدارين.

بين يديك الكريمتين

وأخيراً قد خاض علماؤنا الأعلام ميادين العلم النافع والعمل الصالح في تكريم المرأة وبيان مقامها الرفيع ومنزلتها الشامخة، فشمروا عن ساعد الجدّ والجهد، وبذلوا الغالي والنفيس لاستخراج الحقائق والمعارف من بطون الآيات القرآنيّة الكريمة والأحاديث الشريفة الصادرة عن رسول الإنسانيّة والرحمة محمّد صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الأطهار وعترته الأخيار عليهم السلام، فأغنوا المكتبة

(١) الوسائل، الجزء ١٤.

(٢) كنهان، ١٥٠ / ١٢ / ٥٧.

الإسلامية بحيوتهم لقيمته ودراساتهم لتأفقه حول المرأة وعولمتها ومعالمتها في مجالات متعددة وأبعاد مختلفة في تاريخها واضطهادها في الأمم السابقة ومظلوميتها في العصور المكنهرة، لاسيما في عصرنا الراهن، فإنه باسم حريتها وتساويها مع الرجال سرق الاستعمار الغربي والشرقي والاستكبار العالمي عقبتها وأثوتها وكرامتها وإنسانيتها مرة أخرى، وحطموا شخصيتها حتى صارت سلعة تباع وتشتري في أسواق رغبات الرجال وملاذهم.

وما أروع ما جاء في هذا الكتاب القيم الذي بين يديك بقلم آية الله المرحوم السيد العلوي قَبْرًا قَائِلًا:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾^١

صدق الله العلي العظيم.

إن هذه الآية الكريمة تدل على الوحدة الكاملة في الكيان البشري بين الرجل والمرأة وقد أقرها الإسلام قبل ١٤ قرنًا تقريباً، وهو نص كامل في كتابه التشريعي (القرآن الكريم).

أما المرأة في أجواء الكفر، فلو سبرنا غور التاريخ وتأملنا قليلاً لرأيناها إلى أمستنا القريب والقريب جداً كانت مهمة، وتتضارب آراء فلاسفة وعلماء أهل الكفر في هل أنثها جسم ذات روح أم لا؟ وإن كانت ذات روح، هل هي حساس أم لا؟ وعلى فرض أنثها جسم حساس، هل إنثها ذات روح إنسانية أم لا؟

ولو كانت ذات روح إنسانية، هل هي تساوي الرجل أم لا؟
 وبقيت المرأة المعذبة مضعة أفواه الرجال ومحور التبل والتقال، وبعد ذلك
 كلفه رفع شأنها وارتفع مقامها وأقروا لها بعض الشيء، ثم جعلت أداة للتفريغ عن
 الشهوات الجنسية وللترف، فالرجل لا ينظر إليها إلا كأداة متى ما شاء استعمالها،
 ومتى ما شاء تركها، ولم يكن يحترمها قط كمخلوق إنساني له قيمته وكرامته
 الإنسانية. هكذا بقيت المرأة تعاني الأمرين بين الرجال مرارة النقاء ومرارة
 العناء، ولا مجيب لصوتها في مجتمع الكافرين.

ولما كانت الثورة الصناعية في الغرب كانت انظمة الكبرى، إذ أن الثورة
 فرضت على المرأة أن تكدّ وتعمل جنباً لجنب الرجل، ومن ثم يعمل ليس له أن
 يعيش مع الأحياء. ومع ذلك لا تحترمه كاحترام الرجل، ولنا أدلة على ذلك.
 منها: تشغيلها ساعات أكثر من الرجل، إعطائها أقل من أجور الرجل،
 تحطيم روابط أسرتها، حلّ كيانها، إفشاء الفساد الخلقي عندها وعند من يعمل
 معها.

ومن جزاء كلّ هذا وقعت المسكينة في هوة المتاعب والردائل، وفقدت
 بيتها وأثوتها وزوجيتها وكرامتها وشرفها وكلّ شيء وإلى الآن. ولأجل التلافي
 لما فاتها أخذت تستخدم كلّ الوسائل كي ما تتمكن من استدراك بعض ما فاتها
 واستحصال بعض حقوقها، وهيئات أن يكون لها ذلك إلا تحت ظلّ الإسلام
 والإسلام وحده.

استخدمت التظاهر والخطابة في المجتمعات، والأحزاب، والصحافة،
 وما أشبهه. ولكن لم تجد ضالتها المنسودة إلا في الإسلام.
 فلنرجع الآن إلى آيتنا الكريمة:

٢٠ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (١)

لماذا تتعب المرأة نفسها وهذه حقوقها مضمونة عند الإسلام، حيث جعلها شقاً آخرًا للرجل :

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ .

لماذا تظلم المرأة وجعل الإسلام لها حق التملك والتصرف بجميع أنواعها - طبعاً مع مراعاة الطرق الشرعية - :

﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ (٢)

﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَسَبْنَ ﴾ (٣)

وبالنسبة إلى التصرف (لا يتم العقد إلا بإذنها). وأكثر من ذلك أمرت بما أمر به الرجل : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

إذا هي مساوية للرجل تماماً .

هنا تتساءل بعد هذه المقدمة الوجيزة :

أيهما أفضل ، أن تعيش المرأة في أحضان الكفر أم الإسلام ؟

أيهما أقدر ، المرأة في الإسلام أم الكفر ؟

أيهما أكثر اطمئناناً للمرأة ، قوانين الكفر أم الإسلام ؟

فلتخسأ الأفكار المسمومة ، ولتخسأ الألسن المأجورة ، ولتخرس أبواق

الشقاق والنفاق دعاة التقدم الزائف ، فما هي والله إلا مكر وخدعة ، وإلا محو لكل

(١) النساء : ١

(٢) النساء : ٧

(٣) النساء : ٣٢

فضيلة، وترويج لكل رذيلة، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.
وبعد هذا وذاك لسائل أن يسأل: (لماذا لا تعمل المرأة في الزراعة
والتجارة والصناعة والسياسة والاجتماع) بعدما قرّرت أنّها كالرجل بمثابة الندّ
للندّ...

نقول في الجواب: إنّ الجهاز التركيبي في جسم المرأة يختلف كلّ
الاختلاف عن الرجل. وهذا يحدّد موقف المرأة والرجل من العمل،
ولولا التحديد لانقضت عرى المجتمع، وتهدّم صرح البيت والأسرة، كما شوهد
بالفعل.

مثلاً: إنّ الأجهزة الجسمية للمرأة مستعدّة كلّ الاستعداد للحمل والوضع،
وهل الرجل كذلك؟ كلاً. وهذا ممّا يجعلها تستعدّ لبناء البيت وتربية الأولاد
وتشييد الأسرة.

وتقابلها الأجهزة الرجاليّة بقوة الاستعداد للصراع مع الحياة لتكفّل العائلة
وتجهيز وسائل العيش والراحة لها، وهذه لها أهميّة لا تنكر.

ثانياً: إنّ هذه الرقّة والعاطفة والانفعالات السريعة التي اختمرت في الجهاز
التركيبي عند المرأة هي التي تجعلها أن تهب نفسها للبيت وتجعلها تستقرّ في
علاقتها العاطفيّة تجاه الرجل، وهي بالأخير وظيفتها التي تقوم بها على أحسن
ما يرام، ويقابلها الجهاز التركيبي الرجولي بالفكر الجبار الذي يواجه قوى الطبيعة
بكلّ مجالات الحياة، فتارةً يفكر باختراع آلة، وأخرى بوضع خطة حربيّة أو
سياسة حكم، أو الخروج إلى الصحاري والبراري لاصطياد السباع الضارية،
وهلم جرّاً.

وقس على هذين المثالين مئات الأمثلة التي لا تعدّ ولا تحصى، وكلّ ذلك

٢٢ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

برهان على أن للمرأة وظيفة لا يمكن الرجل القيام بها، وكذلك للرجل وظائف لا تتمكن المرأة من الإتيان بها على الوجه الأنتم، وهنا أعطى الإسلام العظيم لكل منهما حصته، فحصة هذه البيت :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ (٣١)

وحصة ذلك خارج البيت، وبكليهما يؤسس المجتمع الصالح وتفتح الحياة أبواب السعادة والهناء والرفاه عليه، وهذا هو المطلوب.

الآن ححص الحق، أين المتمشقدون؟ أين الخداعون؟ أين المزيثون؟ أين من ينادون بحقوق المرأة؟ فليأتوا ويحتكموا الإسلام ويأخذوا منه ضالتهن المنشودة إن كانوا صادقين. وإلا فليلقوا بحجر الحق وليخرسوا أمام صوت العدالة، وليسحقوا تحت أقدام أهل القرآن. القرآن الذي ضمن حقوق المرأة قبل ما يقارب الألف والأربعمئة سنة، وجعلها ملكة البيت وأساس الأسرة ثم المجتمع.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ (٣٢)

وقفنا الله لفهم الإسلام والعمل على ما يرام، إنه العزيز العلام، والسلام» (٣٣).
«بُعث الرسول الأكرم ﷺ إلى البشرية كافة، فلا فرق في اختلاف

(١) الأحزاب : ٣٣.

(٢) آل عمران : ١٩٥.

(٣) هذا الموضع منسب من باب المرأة، تفصل لأول - المرأة بين الكثر والإسلام، من هذا

الإنس، ولا الجنسيات، ولا البلاد، والأجناس فكما أن الإيمان بالإسلام الذي جاء به هو **شريعة** يجب على الرجال، كذلك يجب على النساء.

ثم إن الإيمان بالله لم يكن يخص الإسلام والبعثة النبوية فحسب، بل كان يجب على الإنسان، سواء الذكر أو الأنثى، من لدن آدم على نبينا وعليه السلام إلى الخاتم صلوات الله وسلامه عليه وعلى الطاهرين من ذريته. فعند تصفح التاريخ، ترى المؤمنين كثيرين رجالاً ونساءً، كما أن غيرهم أكثر منهم، لذا ترى القرآن الكريم يقول: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ (١)، وفي قصة نوح ولوط ترى امرأتين خانتا، كما في قصة فرعون ترى امرأة واحدة مؤمنة ترجو الله تبارك وتعالى الجنة.

١- ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِّنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) ﴿ (٣)﴾

هذا وجزى الله كتابنا وعلماءنا ومفكرينا ومصلحينا عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأجمل العطاء وأحسن الثناء في ما كتبوا وصنّفوا عن المرأة وعظمتها في الإسلام، ومن أولئك الأعلام والد زوجي الأكرم سماحة العلامة آية الله المرحوم السيد علي بن الحسين العلوي **قده**، وولده الكريم

(١) سبأ: ١٣.

(٢) التحريم: ١١.

(٣) هذا المقطع مقبوس من (باب المرأة، الفصل الثاني) ونعشرين - المرأة والإنسان) من هذا الكتاب.

زوجي الأعزّ سماحة العلامة الأستاذ الفقيه العارف السيّد عادل العلوي دام ظلّه الوارف . فالوالد وما ولد، جزهما لله خيراً بما قدّما للعالم الإسلامي - بل المجتمع الإنساني - من كتب قيّمة ومحاضرات نافعة وبحوث رائعة، فقد خلّفنا من العلوم المفيدة والمؤلّفات الكثيرة والمتنوّعة في العلوم الإسلاميّة من العقائد والأخلاق والفقه والثقافة العامّة، والخدمات الاجتماعيّة، والمشاريع الخيريّة، ما يشكران عليه، إلّا أنّ لساني القاصر والقلم النكأن يعجز عن شكرهما، فأسأل الله الشاكر الشكور أن يشكرهما برضوانه الأكبر بجنّاته التي عرضها السماوات والأرض أعدت للمتّقين، وأن يحشرنا جميعاً مع أجدادهما الطيّبين محمّد وآله الطاهرين، في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر. آمين .

هذا، وبين يدي القارئ الكريم كتاب ثمين في مفاهيمه، وقيّم في موضوعه، بديع ورائع في أسلوبه، قويّم وحكيم في برهانه، رصين في معانيه، بليغ في أطروحته، يتحدّث عن الجنسين أو بالأحرى عن الصنفين من النوع الإنساني، أي الرجل والمرأة وما يدور في فلكهما من حقائق وواقعيّات . وقد أجاد الوالد في جمعه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وتبويبها في فصول جميلة، بعناوين جذّابة، معلقاً عليها في بداية كلّ فصل بتعليق فاضلة وأنيقة .

ثمّ ما أروع ما كتبه ولده البارّ الكريم زوجي الأجلّ حفظه الله ورعاه وأطال الله بعمره الشريف . حيث تلمس من الوالد الكريم تمسّكه بظواهر الأحاديث الشريفة، فإنّه الفقيه الأثمي، ومن دأب الفقهاء أن يتمسّكوا بظواهر الأخبار، فإنّها حجّة، وهي الملاك في التكليف والحكم الشرعي . ولكنّ الولد لعرفانه يغور في بواطن الأحاديث والأخبار الشريفة ليكشف القناع عن روح الشريعة المقدّسة .

ومن هذا المنطلق ربما تشعر عندما تقرّأ من الوالد وهو منس الولد، لمعات من الاختلاف في الآراء والنظريات، لا سيما ما يتعلق بالمرأة، فكأنما الوالد يسير في جلالها حذراً، والولد يحلق في جمالها شوقاً، وكلاهما مع الحق، وبالحق نطقاً وكتبا.

إنما التفاوت بينهما في اختلاف نظاراتهما والشبايك التي يشاهدان المرأة منها، فالوالد الفقيه يلاحظها في أفق الظواهر، والولد العارف يشاهدها في سماء البواطن.

والظاهر عنوان الباطن، فلا اختلاف في واقعهما وجوهرهما، إلا أن الظاهر من المُلْك، والباطن من الملكوت، فالوالد تَمَرُّ يسير في مُلك المرأة وأرضها، والولد يطير في ملكوتها وسماؤها.

ثم كان من دأب والدي^(١) وجدّ أولادي قدس الله نفسه الزكية وأسكنه فسيح جنانه، وأنزل على رmse شأيب رحمته وبركاته، أنه يختار مواضيع مختلفة للتأليف والتصنيف، فمثلاً يختار عشر مواضيع، ثم يطالع كتباً مختلفة، وحين المطالعة أي عبارة أو آية أو حديث يتلائم مع أيّ موضوع كان يضعه في كتابه، وهكذا، وهذا ما تجده في كتابه القِيم (الجنسان) وكذلك (الأثر الخالد في الولد والوالد) وغيرهما، فترى في بعض فصول الكتاب يذكر فيها آية أو رواية

(١) إنما قلت (والدي) لما ورد في الحديث الشريف: «الآباء ثلاثة: أب وتُدك، وأب زَوْجك، وأب عُلْمك وهو أفضلهم»، فوالد زوجي هو والدي بالمعنى الثاني، كما أنه كان معلّمي ووالدي بالمعنى الثالث رحمه الله وأعلى مقامه الشرف في مسجد حدي عند ملك مقدر (بنت العليّ الحيدري).

واحدة، وهذا لا يعني أن ذلك الفصل قليل الحديث، بل ربما في الفصل نفسه يكون عندنا العشرات من الأخبار الشريفة، وكان يؤدي أن أضيف على كل فصل بعض أحاديثه المرتبطة به، إلا أن مشاغل البيت وتربية الأولاد وخدمة الزوج يعيق عن كثير من المطالعة والتحقيق والتأليف، ولا بد من رعاية الأهم فالمهم، فلا سبيل لي إلا أن أرفع بد الدعاء والابتهال إلى الله سبحانه وأسأله التوفيق والتسديد والسعادة لعماد داري زوجي المخلص، ولأولادي ذكوراً وأنثاءً، ولذريّاتنا وأجيالنا القادمة، وأسأله سبحانه أن يجعلهم من الفقهاء العظام والعلماء الأعلام، وجنود صاحب العصر والزمان عليه السلام، وعجل الله فرجه الشريف، وجعلنا من خلص شيعته وأنصاره وأعوانه والمستشهادين بين يديه، سائلة المولى القدير أن يرزقهم خير الدنيا والآخرة، ويكونوا شموساً طالعة، وأقماراً منيرة، ينتفع العالم من جلالهم وجمالهم وكمالهم، وأملي منهم أن لا ينسوني من صالح دعواتهم لا سيما عند مضان الاستجابة، كما لا أنساهم.

وأخيراً، أعتذر من القراء الكرام -رجالاً ونساءً- من هفوة القلم وزلّة القدم، والعتذر عند كرام الناس مقبول، وأدعوهم لقراءة الكتاب الذي بين أيديهم، ويمرحوا في بساطينه وزهوره العطرة، ويقطفوا من ثماره اللذيذة، ويشربوا من مائه العذب، فإنه يروي الظمآن ويشفي الغليل، وفيه ما فيه، سائلاً رب العالمين أن يسعدنا وإياهم، وجميع المؤمنين والمؤمنات ويوفّقنا للعلم النافع والعمل الصالح وسعادة الدارين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بنت العليّ الحيدري

قم المقدّسة - الحوزة العلميّة

الرجل

فصل ١

يخصّ الرجال

اعلم أنّ الرجال يخصّون بأحكام لا تشترك معهم النساء، والرجال بعضهم يخصّون بأحكام دون البعض، والرتبة الأعلى من الرجال أعني الأئمة الأطهار، والنبّي المختار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يخصّون بما لا يخصّ غيرهم من الأخيار، فإنّهم بشر، ولكن كيف بشراً^(١)، حشرنا الله تعالى معهم في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، آمين آمين.

١ - حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمته الله، قال: حدّثنا أبو سعيد الحسن بن علي العدوي، قال: حدّثنا محمّد بن خليلان بن علي العبّاسي، قال: حدّثنا أبي، خليلان، عن أبيه، عن جدّه، عن آبائه، قال: قال علي ابن أبي طالب عليه صلوات ربّ العالمين: خصّصنا بخمسة: أ - بفصاحة. ب - وصباحة. ج - وسماحة. د - ونجدة. هـ - وحظوة عند النساء...^(١)

بيان: الحظوة: أي استفادة المرأة والرجل أحدهما من الآخر.

(١) الخصال: ٢٣٣، باب الخمسة. الحديث: ٤٠.

٢- حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن مردك بن عبيد، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له عليه السلام: ما للرجل أن يرى من المرأة إذا لم يكن لها محرّم؟ قال عليه السلام: الوجه، والكفين، والتقدمين والأقدام.

(*) أقول: قد تجلّى فيهم ربّهم فكانوا مظهرًا لأسمائه الحسنى وصفاته العُليا، وبلغوا قمة الكمال والجمال والجلال قاب قوسين أو أدنى، فلا يقاس بهم أحد، فإنّهم عباد الله المكرّمون، بهم بدأ الله وبهم يختم، سعد من والاهم وهلك من عاداهم وشقى من أنكر فضائلهم ومنازلهم، ومهما يقال في مقاماتهم الشامخة فإنّه معشار عشر، ولن تبلغ عقول البشر أن تتألّ من وجودهم وفضائلهم ومكارمهم وجوهرهم، فإنّهم دون الخالق جلّ جلاله وفوق المخلوق، ولولاهم لما خلق الله الأفلاك والسموات والأرضين، فهم العلة الغائيّة في خلق الله سبحانه وتعالى.

(عادل)

فصل ٢

المحافظة

يجب على المؤمن أن يحفظ نفسه من الوقوع في مهالك المعاصي، ويحافظ على كل فردٍ فردٍ من المواد القانونية الإسلامية التي شرّعها الخالق جلّت عظمته لتنظيم أمور المجتمع العالمي، ولو كان أهل العالم كلهم تمسكوا بسنة الله تعالى وشرّعه لسعدوا جميعاً.

١- ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿١١﴾ .

(*) أقول: والإسلام يرى سعادة الإنسان أن يكون من أهل الجنة كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ ﴾ ﴿١١﴾ وما شرّعه له من قوانين وأحكام عامة وخاصة، فردية واجتماعية، إنما هو لبلوغ السعادة الأبدية والفوز بالنعيم والجنة التي عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين والمؤمنين.

(عادل)

(١) النور: ٣٠.

(٢) هود: ١٠٨.

فصل ٣

الشُرور

يجب على كلِّ إنسان أن يؤدِّي ما عليه من الحقوق للآخرين، كما يجب عليه مراعاة الأقرب فالأقرب، وأقرب الناس إلى الإنسان أهله وعائلته، وهم أسراء ولهم عليه حقوق، فإن أداها، فيها ونعمت، وإن لم يؤدّها فهو مأثوم، وأكثر إثماً لو ضيق عليهم فهذا شرٌّ شرير.

١- قال سيّد البشر صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: شرّ الناس، المضيّق على أهله...^(١)

٢- وقال ﷺ: شرار أمّتي عزّابها...^(٢)

(*) أقول: لقد مدح الله ورسوله وعترته الأطهار عليهم السلام الزواج كثيراً، وإنه من تزوّج فقد أحرز نصف دينه، وركعتان يصلّيهما المتزوّج أفضل من سبعين ركعة

(١) نوائى الدرر: ٩٤، حرف التسن، الحديث ١٨

(٢) نفس المصدر: ٩٣، الحديث ١١

يصلّيها الأعراب، وهذا يعني رجحان الزواج ومرجوحته وكراهة العزوبة، فإن أكثر ذنوب الناس من الشهوات، ومن أهم عوامل الشهوة المحرّمة العزوبة، فالأعراب يتوقع منه الشرّ أكثر ممّا يتوقع من المتزوج، كما يشهد بذلك الوجدان والحال، والتجربة خير برهان.

نعم، في آخر الزمان تحلّ العزوبة لمن تمكّن من حفظ نفسه أن يقع في الحرام كالنظر إلى الأجنبية بشهوة وريبة، أو يتكلّم معها بريية، أو يستمني بنفسه - والعياذ بالله - أو يقع في الزنا - والعياذ بالله - فمثل هذه المخاطر والمزالق الشهوانية والأخلاقية السيئة تحتم على المرء أن يتزوج، ولا يبقى أعزباً، فإن شرار أمة رسول الله ﷺ عزّابها حينئذٍ كما هو واضح ومعلوم.

(عادل)

فصل ٤

الترحم

الرحمة والشفقة من فتوة الرجل ، ومن أولى بالترحم من المرأة التي لا ملجأ لها إلا زوجها ، فعليه : لا ينسى الرجال العطف على نساءهم ، وكلّ شيء بقدر .

١ - في كتاب سفينة البحار ، باب النون بعده السين : عن النبي ﷺ : إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائه... (١).

٢ - في غوالي الدرر من كلام سيد البشر : قال ﷺ : خدمتك زوجتك ، صدقة... (٢).

٣ - وفيه : خيركم ، خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهله... (٣) (١).

(١) الأخلاق : ١١٩ ، الباب الثاني عشر .

(٢) غوالي الدرر : ٥٢ ، حرف الخاء ، الحديث ٢ .

(٣) غوالي الدرر : ٥٤ ، حرف الخاء ، الحديث ١٤ .

٤ - قال رسول الله ﷺ : خيركم ، خيركم لئسائه ولبناته ...

٥ - وبهذا الإسناد - أي أبو الحسن محمد بن القاسم المفسر الجرجاني رحمته الله - عن الرضا عليه السلام ، عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام ، قال : سئل الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام عن بعض أهل مجلسه : فقيل : عليل ، فتصدّه عائداً ، وجلس عند رأسه فوجده دنفاً ، فقال له : أحسن ظنك بالله تعالى ، فقال : أما ظني بالله فحسن ، ولكن غمي لبنائي ، ما أمرضني غير رفيقي بهن ، فقال الصادق عليه السلام : الذي ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيئاتك ، فأرجه لإصلاح حال بنائك ، أما علمت أنّ رسول الله ﷺ قال : لما جاوزت سدرة المنتهى وبلغت أغصانها وقضبانها رأيت بعض ثمار قضبانها أئداء معلّقة يقطر من بعضها اللين ، ومن بعضها الدهن ، ويخرج من بعضها شبه دقيق السمراء ، ومن بعضها النبات ، ومن بعضها كالنبق فيهوى ذلك كلّهُ نحو الأرض ، فقلت في نفسي : أين مفرّ هذه الخارجات عن هذه الأئداء ، وذلك أنّه لم يكن معي جبرئيل لأنّي كنت جاوزت مرتبته واختزل دوني فناداني ربّي عزّ وجلّ في سرّي : يا محمد ! هذه أئبتها في هذا المكان الأرفع لأغذو منها بنات المؤمنين من أمّتك وبنيتهم ، فقل لأرباب النبات لا تضيق صدوركم على فاقتهن ، فإنّي كما خلقتهن أرزقهن .

(*) أقول : الظاهر أنّ هذا الحكم لا يختصّ بالزوجة ، بل يعمّ مطلق المرأة

٣٦ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

فيما كانت بنتاً وأختاً وأماً وعمّة وخاتمة وغير ذلك من الأرحام وذوي الحقوق، فإنهنّ يدخلن تحت عنوان (الأهل) بالمعنى الأعمّ الذي يعمّ الأرحام مطلقاً، نعم عندما يتزوَّج المرء فإنّ من أقرب النساء إليه هي زوجته شريكة حياته في الأفراح والأتراح، فهي أولى بالخدمة من بعد الأمّ كما هو الظاهر.

(عادل)

فصل ٥

المتركون

من العباد مكرمون، وهم الذين لا يسبقون مولاهم بالقول وهم بأمره يعملون، ومنهم والعياذ بالله متركون، وهم الذين يعصون ولا يأترون، وفي المهاوي يغوصون، فالمولى جلّ شأنه يتركهم ولا ملجأ إلا إليه، فأين يذهبون؟! ١ - قال النبي العظيم ﷺ: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم: أ - شيخ زان. ب - وإمام كذاب. ج - وعامل مزهوا...^(١)

٢ - حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد بن علي الكوفي، ومحمد بن الحسين، عن محمد ابن حماد الحارثي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: خمسة لا يستجاب لهم: أ - رجل جعل الله بيده طلاق امرأته فهي تؤذيه وعنده ما يعطيها ولم يخل سبيلها. ب - ورجل أبق مملوكه ثلاث مرّات ولم يبعه. ج - ورجل مرّ

(١) غوالي الدرر من كلام سيّد البشر: ٣٢، حرف التاء، الحديث ١٤.

٣٨ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

بحانظ مايل وهو يقبل إليه ولم يسرع المشي حتى سقط عليه. د - ورجل أقرض رجلاً ما لآ فلم يشهد عليه. هـ - ورجل جلس في بيته وقال : اللهم ارزقني ولم يطلب ...

٣ - حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البرنطي ، عن عبد الله بن سنان ، عن الوليد ابن صبيح ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : كنت عنده ، وعنده جفنة من رطب ، فجاء سائل فأعطاه ، ثم جاء سائل آخر فأعطاه ، ثم جاء آخر فأعطاه ، ثم جاء آخر فقال عليه السلام : وسّع الله عليك .

ثم قال عليه السلام : إن رجلاً لو كان له مال يبلغ ثلاثين أو أربعين ألفاً ، ثم شاء أن لا يبقى منه شيء إلا قسمه في حقّ فعل ، فيبقى لا مال له ، فيكون من الثلاثة الذين يُردّ دعاؤهم عليهم ، قال : قلت : جعلت فداك من هم ؟ قال عليه السلام :

أ - رجل رزقه الله عزّ وجلّ ما لآ فأنتفه في وجوهه ، ثمّ قال : يا ربّ ارزقني [فيقول الله عزّ وجلّ : أو لم أرزقك] .

ب - ورجل دعا على امرأته وهو ظالم لها ، فيقال له : ألم أجعل أمرها بيدك .

تصحيح : قال المعلق على الخصال : هكذا في جميع النسخ - أي وهو ظالم لها - لكنّ الظاهر أن يكون الكلام - وهي ظالمة له - يؤيده ، ما روي عن

أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمسة لا يستجاب لهم: رجل جعل الله بيده طلاق امرأته فهي تؤذي، وعنده ما يعطيها، ولم يخل سيئها... إلى آخره.

ج - ورجل جلس في بيته وترك الطلب، ثم يقول: يا رب أرزقني، فيقول [الله] عز وجل، ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب للرزق.

فصل ٦

حقّ النفقة

مما يعلمه المسلمون كلّهم، أنّ هناك من تجب نفقته على غيره، كالمرأة التي تجب نفقتها على زوجها - إن لم يكن عقدها منقطع - وهناك أفراد آخرون من ذوي النفقات لا يخصّ بحثنا هذا، فنغضّ النظر عن بحثها، والمهمّ وجوب نفقة المرأة على الرجل بخلاف ما نراه اليوم شائعاً بين الدساتير والقوانين الكافرة التي تجعل من المرأة أداة طيعة للعمل في الحقل والمعمل والإدارة وغير ذلك من الأمور والأعمال التي هي في الواقع خارجة عن نطاق المرأة، هذه المرأة التي يعتر عنها الإسلام العظيم بالقوارير، فعطفاً أيها الرجال ورحمة، دعوها تستريح، دعوها تنجب الأطفال وتربيها، دعوها تعيش بشكل ينسجم مع طبيعتها الأولية وخلقها الطبيعي، دعوها وأنفقوا عليها كما أمرتم من السماء في الكتاب والسنن.

١ - القرآن الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ

أَمْوَالِهِمْ ﴿١١﴾

٢- قال آية الله الإصفهاني في الوسيلة الكبرى : وأما حقها عليه : فهو أن يشبعها، ويكسوها، ويغفر لها إذا جهلت، ولا يتبجح لها وجهاً...

٣- قال رسول الله ﷺ : نفقة الرجل على أهله صدقة...^(١)

(١) ذرائع البيان.

(٢) غوالي الدرر : ١٥٩، حرف التون. الحديث ٢٨

فصل ٧

التعدّد والاستعداد

بعضهم لا يكفي بزوجة واحدة، ويرى الاحتياج في نفسه إلى الأكثر، وبعضهم لاقتضاء المصلحة يرى أن يكون من فوارس هذا الميدان، وبعضهم لمجرد إفراغ الشهوة يُعدّد. ولو أدى إلى إزهاق روحه، لكن قد جعل الله لكلّ شيءٍ قدرًا، لا هذا ولا ذلك، وإنما خير الأمور أوسطها.

إنّ الإسلام العظيم لم يبق في هذا الكون شيئاً إلا وقد جعل له حكماً، كي لا يختار الإنسان في صغيرة أو كبيرة، فإذا بعد المسلمون عن تعاليمه، فمن المسؤول سواهم. لا تبعه إلا عليهم. قال القائد العظيم رسول الله محمد ﷺ: ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه.

راجع كتابنا (تربيت ابن نظر قرآن وسنت) ^١ ترى فيه ما يكفيك منهجاً لكلّ مرافق الحياة. فإلى الإسلام.

١- القرآن الكريم: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ ^٢

٢- عنه - البرقي - عن الحسن بن طريف بن ناصح، عن الحسين بن علوان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن وفد عبد القيس قدموا على رسول الله ﷺ، قال: فوضعوا بين يديه جلة تمر، فقال رسول الله ﷺ: أصدقة أم هدية؟ قالوا: بل هدية، فقال النبي ﷺ: أي تمراتكم هذه؟ قالوا: هو البرقي يا رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: هذا جبرئيل يخبرني أن في تمراتكم هذه تسع خصائل: تخيل الشيطان، وتموي الظهر، وتزويد في المجامعة، وتزويد في السمع والبصر، وتقرّب من الله، وتباعده عن الشيطان، وتهضم الطعام، وتذهب بالداء، وتطيب النكحة... الخ.

(*) مطبوع، وهو باللغة الفارسية يبحث عن التربية والتعليم على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة.

(عادل)

فصل ٨

الكذب

إنَّ الكذب حرامٌ محرّمٌ بكلِّ وجوهه وأشكاله، وهو أصرح دليل على الجبن والطمع، لأنَّ الإنسان لا يكذب إلاَّ خوفاً من فوات منفعة، كالمال والجاه، والحياة، وما أشبه ذلك، أو طمعاً لجلب نفع، أيضاً كالمال، والجاه، والحياة، وما أشبهه. وقد قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام وقوله الحقّ، قال: الكذب خيانة، والخيانة غدر، وهو يردي، ورذيلة، وفضح، والخرس خير من الكذب، والكاذب مهان ذليل. وأمّا الطمع فقد قال عليه السلام فيه: الطمع رِقٌّ، ومذلّ، والحرّ عبدٌ ما طمع. ومع ذلك كلّه، وبما أنّ لكلّ قاعدة وقانون شواذّ، أجاز النبيّ ﷺ بعضه في ثلاث موارد، وهذا لا يحقّ طبعا إلاّ بعد العجز من التورية. ثمّ من هذه الموارد: العدة مع الزوجة.

١ - قال رسول الله ﷺ في وصاياہ لأمر المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام: يا عليّ، ثلاث يحسن فيهنّ الكذب: المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك^(١)، والإصلاح بين الناس...^(٢)

(١) تحف العقول: ٨. ما روي عن النبيّ ﷺ.

(*) المقصود من العدة أنها لو طُلبت منك شيئاً، مثلاً أن تشتري لها ثوباً للعيد فتعدها بذلك، إلا أن وضعك المالي والمعاشي لا يسمح بذلك، فيجوز لك في مثل هذا الموقف من أجل أن يبقى الهدوء والسكينة حاكماً في الأسرة والبيت أن تكذب عليها، كأن تقول لها: نسيت ذلك وما أنسانيه إلا الشيطان، أو تقول: لم أراه في السوق، أو ما شابه ذلك، وهذا كله حفاظاً على الأسرة من القيل والقال والصراخ والعيويل والبكاء وأخيراً - والعياذ بالله - الطلاق والانفصال، فمن عدم شراء ثوب واحد ينتهي الأمر إلى المصيبة الكبرى، فمن يكذب في هذا المورد تعدّ كذبه هذه من حفظ الأسرة من الضياع وانهدام صرحها الشامخ، ولا ريب أن حفظ الأسرة بنظر الشارع المقدّس أهمّ من هذه الكذبة المصلحية - كما يقال - فلا تغفل ولا تكذب على زوجتك في كل الأحوال حتّى تفقد الزوجة اعتمادها عليك، ومن ثمّ تنفصم عرى الأسرة من جانب آخر، بل ربّ الأسرة لا بدّ أن يكون عاقلاً، ويضع كلّ شيء في موضعه، ويبني حياته على الصدق والصفاء والمودّة والرحمة والإحسان والعطف والشفقة والحبّ والعشق، إلا إذا اقتضت الضرورة، فإنّه عند الضرورات تباح المحذورات، فيباح الكذب المحرّم والمذموم، ويتلافى قبحه بمصلحة أتمّه وأكمل، ويخرج عن كونه كذباً حكماً، وإن كان من مصاديقه موضوعاً، فندبّر.

(عادل)

فصل ٩

الظلمة

الإنسان مهما أوتي من قوّة وسلطان، لا بدّ له من أن يقع في بعض الموارد مظلوماً، ولا تعينه قوّته، كما لا تفيده سلطته، وهذه من الأمور الوجدانية التي يراها ويجربها كلّ أحد. ثمّ من هذه الموارد ما جاء في الحديث الشريف :

١ - قال رسول الإنسانية محمد ﷺ : ثلاث وإن لم تظلمهم - أي إنك لم تكن ظالماً لهم - ظلموك : أ - السفلة . ب - وزوجتك . ج - وخادمك ... (١)

٢ - حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكل ﷺ ، قال : حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميري ، عن الفضل بن عامر ، عن موسى بن القاسم البجلي ، عن ذريح المحاربي ، عن أبي عبد الله ، عن آيائه عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : أ - السفلة . ب - وزوجتك . ج - وخادمك ... (٢)

(١) تحف العقول : ٣٣ ، موعظ النبي . وفي السحاسن ، عنه - أنبرقي ، كتاب الأشكال

والقرائن ، الصفحة ٦ ، الحديث ١٦ - عن موسى بن القاسم ، عن المحاربي ، عن أبي عبد الله

عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : ... الخ

(٢) الخصال : ٦٧ ، باب الثلاثة

(*) أقول : الظاهر من الظلم هنا نسي الظلم المذموم والتقيح شرعاً وعقلاً، فإن هذا يتنافى مع روح الشريعة الإسلامية، والتي تأمر بأن تكون للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، بل المراد منه هنا كما تدلّ عليه القرائن المقامية والحالية، أن تأخذ أمام حدّهم ولا تسمح لهم أن يتجاوزوا حدودهم، فتقف في وجوه السّفلة والأراذل، فإنّ السافل إن لم تقف أمامه يتجاوز حدّه ويتطاول عليك فيهنك ويحطّم من شخصيتك في المجتمع بكلامه البذيء، أو أفعاله الشنيعة، فإنّه سافل ولا يبالي بما يفعل، ولا يهّمه الأمر، بل غايته أن يصل إلى ما يبغيه ولو على حساب ماء وجه الآخرين، ولو أدّى ذلك لعدم احترام الآخرين، فمثل هذا لا بدّ أن تقف أمامه ولو كان هذا يعدّ عند الناس ظلماً له، فلا مانع من تصوّرهم بذلك لأنّه إن لم تظلمه فإنّه يتجاوز عليك فيظلمك، وكذلك الزوجة والخدام فإنّه لو لم تأخذ أمام رغباتهم وشهواتهم، سرعان ما طلبوا منك ما لا تقدر عليه، ممّا يؤدّي ذلك إلى أن يظلموك ويتعدّون عليك، فلا بدّ من الوقاية قبل العلاج، والحزم والعزم ووضع الشيء في موضعه، وهذا من كمال العقل والعدل.

(عادل)

فصل ١٠

التحريم

مما حرّم الله تبارك وتعالى على الرجال هو بعض النساء، فلا يجوز للرجل نكاحهن أبداً، فمن خالف وعصى فإنّ عذاب ربك لشديد، ولكلّ حدّ محدود يقام عليه، وليرجع إلى كتاب الحدود في الفقه.

١- يقول عزّ من قائل: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١٠﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴿١١﴾ إِلَى آخِرِهِ.

٢- وقال جلّ وعلا: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (١٢).

(١) النساء: ٢٣ - ٢٤.

(٢) النساء: ٢٢.

٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الشَّاهِ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَامِدٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو يَزِيدَ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحِ الثَّمِيمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ : يَا عَلِيُّ ! إِنَّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَمْسَ سِنِينَ أَجْرَاهَا اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ : حَرَّمَ نِسَاءَ الْأَبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عِزًّا وَجَلًّا : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ (١) (٢).

(١) النساء : ٢٢ .

(٢) الخصال : ٢٥٤ ، باب الخمسة ، الحديث ٩٠ .

فصل ١١

الغيرة

من أحسن الصفات عند الرجال : الغيرة . فإنَّ غيرة الرجل هي التي تدفعه إلى كلِّ خير ، إلى الإنسانية ، إلى الوجدان ، إلى الدين ، إلى إحقاق حقِّه ، إلى حفظ ماله وناموسه ، إلى حفظ حقوق الآخرين . إلى حفظ أُمَّته وبلده ، وبالأخير إلى ما لا يوصف من جوامع الخيرات والسعادات ، وإلى مجامع المبرّات والحسنات .

١ - لذا ترى أمير المؤمنين عليه السلام يقول : غيرة الرجل إيمان ... (١) (*) .

(*) أقول : لا شك أنَّ غيرة الرجل إيمان ، فإنَّ الله غيور ، والغيرة صفة من صفات الله ، كما أنَّه ورد في الحديث النبوي الشريف : كان إبراهيم الخليل عليه السلام غيوراً وأنا أكثر منه غيرة ، فالغيرة من صفات الله وأخلاق الأنبياء وعلامة الإيمان عند الرجل ، إلاَّ أنَّه كما يلزمه أن يكون غيوراً على زوجته يلزمه أن يكون ذا حياء من ربه ، فلا ينظر إلى نساء الآخرين ، فكيف يكون غيوراً على أهله ولا يكون غيوراً على عرض الناس وأهلهم ، بل من طرق باب الناس طرق

الناس بآبه، ومن نظر إلى بنت الناس نظر الناس إلى بنته، وبسبب ذلك عني العيور حقاً أن ينظر إلى بنات الناس، هيئات هيئات لا يفعله إلا الذئب الذي لا غيرة له، فالغيرة والحياء في الرجل جناحان لا بدّ منهما، وبأحدهما يستدلّ على الآخر.

وأما غيرة المرأة، فإن كان المقصود منها أن تغار على زوجها بأن لا يتزوج أخرى في ما إذا تمكّن من مراعاة العدالة بينهما - وهذا من الصعب المستصعب جداً إلا يبلغه إلا الأوحدي من الناس - فهذا من الكفر، لأنه يتنافى مع شرع الله الحكيم في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾^(١)، ولمثل هذا ورد في الحديث الشريف: « غيرة المرأة كفر »، أي جحود وستر على الحقّ الذي أقرّ الله سبحانه وتعالى، فتدبر.

(عادل)

فصل ١٢

راحة المؤمن

قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: لا راحة في الدنيا، وهو كما قال عليه السلام، فالدنيا دار المكاره، لا راحة فيها ولا استراحة، وإنما التعب يختلف بالنسبة، فهناك تعب منهك مضني إلى أبعد الحدود، وبعضه أقل منه. كما قيل: إنَّ بعض الشرِّ أهون، وهذا الأهون هو المسمى بالراحة - أي الراحة النسبية ^(١) -.

١ - حدثنا أبي بشبهه، قال: حدثني محمد بن علي بن الصلت، عن أحمد بن محمد بن علي بن خالد، عن منصور بن العباس، عن سعيد بن جناح، عن مطرف مولى معن، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ثلاثة للمؤمن فيهن راحة: أ - دار واسعة توارى عورته وسوء حاله من الناس. ب - وامرأة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة. ج - وابنة أو أخت يخرجها من منزله بموت أو بتزويج... ^(٢).

(*) نعم، من زهد في هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها فقد استراح من همها وغمها، ولم يكن له إلا همٌّ واحد وهو همُّ الآخرة، وما أجمل هذا الهمَّ.

(١) الخصال، ١٢٦، باب الثلاثة، الحديث ٢٠٦.

«اللهم سرحنا من الهموم والغموم ووحشته الصدر ووسوسه الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين».

وقد جمع الزهد في كلمتين : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (١).

راجع كتب الأخلاق كجامع السعادات والمحجّة البيضاء.

(عادل)

فصل ١٣

نقص العيش

توجد أمورٌ تنقص وتنقص عيش المرء، وهي كثيرة في هذه الحياة الخطيرة، وأهمها أمورٌ قرّرها أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فينبغي للعاقل النابه أن يتعلمها، ويبقى نفسه عنها على قدر المستطاع كي يسعد إن شاء الله تعالى.

١ - حدّثنا أبي بصير رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطار، عن محمّد بن أحمد، قال: حدّثني أبو عبد الله الرازي، عن سجادة، عن درست، عن أبي خالد السجستاني، عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام، قال: خمس خصال من فقد واحدة منهن، لم يزل ناقص العيش، زائل العقل، مشغول القلب، فأولها: صحّة البدن. والثانية: الأمن. والثالثة: السعة في الرزق. والرابعة: الأئيس الموافق. قلت: وما الأئيس الموافق؟ قال عليه السلام: الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والخليط الصالح. والخامسة - وهي تجمع هذه الخصال -: المدعة... الخ.

فصل ١٤

الأثر العقلي

كثيراً ما يتأثر الإنسان بالمصاحب، حتى تراه تظهر عليه عاداته وأقواله وأفعاله، وحتى أذواقه وطريقة تفكيره ومستوى عقله، فإذا أطال الرجل مصاحبة المرأة لا بد له من التأثر بها، وهنّ كما قال مولانا أبو السبطين رحمته نواقص العقول. فعقلية المداوم صحبتها لا تخلو من تحجر على الأقل.

١- لذا قال رحمته: من استمتع بالنساء فقد عقله رحمته.

٢- قال رسول الله ﷺ: ثلاثة مجالستهم تميمت القلوب: الجلوس مع الأندال، والحديث مع النساء، والجلوس مع الأغنياء رحمته.

٣- قال أمير المؤمنين في وصية لابنه الحسن عليه السلام: وإياك ومشاورة

(١) درر الكلم: باب ما جاء بلفظ من.

(٢) غوالي الدرر: ٣٤، حرف أثناء الحديث ٢٢ من أحاديث نجف العنول: ٣٦، مواضع

٥٦ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

النساء، فإن رأيهن إلى الألف، وعرفهن إلى الوهن ... إلى أن قال عَلَيْهِ : ... ولا تطل
الخلوة مع النساء، فيملنك وتملنهن ... الخ

فصل ١٥

الاتكاء

إنّ بعض النساء يترجّلون ويطمعون بإدارة الرجل والرجال، وقد لعنهم رسول الله ﷺ حيث قال: لعن الله الرجلَةَ من النساء.

وبالعكس بعض الرجال يتخثّثون ويوكلون أمورهم إلى المرأة حيث ذهبت بهم، وهؤلاء لن يفلحوا.

١- قال الرسول الكريم ﷺ: لن يفلح قوم أسدوا أمرهم إلى امرأة... (١) (*)

(*) أقول: والمفروض كما في تعاليم السماء أن يكون الرجل هو القائم بإدارة شؤون المرأة، فإنّ الرجال قوامون على النساء، أي قيمومة النساء في كلّ المراحل النسوية - الأمّ والأخت والبنات والزوجة - أن يكون بالرجال، فإنّ أنوثة المرأة تكمل برجوليّة الرجل، كما أنّ رجولة الرجل تكمل بالنسبة للمرأة، إذ كلّ منهما مكمل الآخر، فإنّ الرجل يملك قوّة العقل والإرادة والخشونة الجسدية،

(١) تحف العقول: ٢٥، مواظب النبي

٥٨ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

كما أن المرأة تمتلك قوة العاطفة والأحاسيس المرهفة والتعومة الجسدية،
مما يؤدي إلى كمال أحدهما بالآخر.

(عادل)

فصل ١٦

الإماتة

الموت تارة يقابل الحياة، وأخرى يقابل الفائدة، مثلاً: إذا قيل: إن قلب فلان ميّت، لا يُقصد من هذا الموت ما يقابل الحياة، وإنما يُفصد منه الكسل وعدم الفائدة وقلة الشعور وما إلى ذلك. لذا ترى في بعض الحديث يعبر بموت القلب.

١- قال رسول الله ﷺ: ثلاثة مجالستهم تميّت القلب:

أ- الجلوس مع الأندال.

ب- الحديث مع النساء.

ج- الجلوس مع الأغنياء...

(١) تحف العقول: ٢٦، مواظب النبي ﷺ: ونحوها في التور: ٢٤، حرف الناء، حديث ٢٢

ونقلنا هذا الحديث في فصل الأثر العنبي بالسناسد

فصل ١٧

الحبّ

هذه الكلمة (الحبّ) محبوبية عند الجميع، وهو - أي الحبّ - إن كان في ما له قيمته فهو عظيم بعظمة المحبوب، وإن كان في التوافه فهو أيضاً تافه لا قيمة له، وأعظم الحبّ وأحسنه وأوّلّه هو حبّ الله جلّ وعلا ذكره. وعكسه وهو الأدنى الأخصّ هو حبّ النساء، وهناك حبّ محبوب لا بأس به وهو بالنسبة إلى ما حول الإنسان مشروط بعدم العصيان لله تعالى.

١ - حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه، قال: حدّثنا عليّ بن الحسين السعد آبادي. قال: حدّثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن زياد بن المنذر، عن سعد بن طريف، عن الأصبع بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه أفضل السلام: الفتن ثلاث:

أ - حبّ النساء، وهو سيف الشيطان.

ب - وشرب الخمر، وهو فمّ الشيطان.

ج - وحبّ الدينار والدرهم، وهو سهم الشيطان.

فمن أحبّ النساء لم يتنفع بعيشه، ومن أحبّ الأشرية حرمت عليه الجنّة.

ومن أحب الدينار والدرهم فهو عبد الدينار والدرهم.

٢- حدّثنا أبو أحمد محمد بن جعفر البندار الشافعي بفرغانة، قال : حدّثنا أبو العباس الحمادي، قال : حدّثنا صالح بن محمد البغدادي، قال : حدّثنا علي بن الجعد، قال : أخبرنا سلام بن المنذر، قال : سمعت ثابت البناني ولم أسمع من غيره، يحدث عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال : حبّ إليّ من الدنيا [ثلاث] : النساء، والطيب، وقرّة عيني في الصلاة...^(١)

٣- حدّثنا أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عمر العطار ببلخ، قال : حدّثنا أبو مصعب محمد بن أحمد بن مصعب بن القاسم السلمي بترمذ، قال : حدّثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إسحاق بن هارون الأملّي بأمل، قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن غالب البصري الزاهد ببغداد، قال : حدّثنا يسار مولى أخا [أخ] أنس بن مالك، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال : حبّ إليّ من دنياكم :
أ- النساء.
ب- والطيب.

ج- وجعل قرّة عيني في الصلاة...^(٢)

أقول : أمّا النساء فلاجل أنّ ركعتين من صلاة المتروّج سبعين ركعة. وأمّا

(١) الخصال : ٨٩، باب الثلاثة، الحديث ٩١

(٢) الخصال : ١٣١، باب الثلاثة، الحديث ٢١٧

(٣) الخصال : ١٣١، باب الثلاثة، الحديث ٢١٨

٦٢ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

الطيب فلان ركعتين من متطّيب أفضل من سبعين ركعة، فتبين أنّ النساء والطيب لأجل قرّة العين وهي الصلاة، وإلا لانسأ ولا طيب. وقد علّق الصدوق رحمه الله أكثر من هذا، فراجع^(١).

٤ - حدّثنا أبي بصير، قال : حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنن، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : قال رسول الله ﷺ : أوّل ما عصى الله تبارك وتعالى بستّ خصال :

أ - حبّ الدنيا.

ب - وحبّ الرياسة.

ج - وحبّ الطعام.

د - وحبّ النساء.

هـ - وحبّ النوم.

و - وحبّ الراحة...^(٢)

٥ - يا أبا ذر : إنّ الله [تعالى] بعث عيسى بن مريم بالرهبانية، وبعث بالحنفية السمحة، وحبّب إليّ النساء والطيب، وجعل في الصلاة قرّة عيني...^(٣).

٦ - ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

(١) الخصال : ٢٦٩. أبواب السنّة، الحديث ٢٧.

(٢) بندهاقى ترجمانه تفسير الطبرسي : ١٧، الحديث ٢٧.

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَزْرَتِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٧﴾

(*) أقول : لا بد من الجمع بين روايات حب النساء ، فإن فيها ما يذم حب النساء كما نقلها الوالد رحمته ، وفيها ما يمدح حب النساء - كما ذكرته بالتفصيل في كتاب (تربية الأسرة على ضوء القرآن والعقيدة) - فإنه ورد في الحديث الشريف : «كلما ازداد الرجل إيماناً ازداد حباً للنساء» فجعل حب النساء علامة زيادة الإيمان .

ويبدو لي أن الجمع بين الروايات هو القول بأن حب النساء إن كان مقدّمةً لطاعة الله كالصلاة ، فإنه بلا شك من ازداد إيماناً ازداد حباً ، فإن المقدّمة بحكم ذبيها ، وإن كان حب النساء مقدّمةً لعصيان الله سبحانه كما هو الظاهر من الأخبار الدائمة ، فهذا يعدّ مذموماً وقبيحاً ، فإنه ممّا يوجب الوقوع في الحرام والشبهات والمتاعب

(عادل)

فصل ١٨

المراعاة

ينبغي لكل إنسان أن يراعي الغير جهد إمكانه، والأولى بالمراعاة هنّ النساء، لأنهنّ أسرى الرجال، ولأنهنّ مهما أوتين من قوّة حسب ما يتصوّرن لكنهنّ ضعيفات، وقد ييكن لأقلّ ما يورد عليهن من محنة أو نائبة، وهذه من المجربات التي لا غبار عليها.

١ - حدّثنا أحمد بن محمّد بن يحيى العطار رحمته الله، قال : حدّثني أبي، عن محمّد بن أحمد، عن علي بن السندي، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، قال : اتقوا الله في الضعيفين، يعني بذلك :

أ - اليتيم.

ب - النساء... (*)

(*) أقول : هذا من أروع التعابير في رعاية حقوق المرأة وعواطفها وأحاسيسها، فإنّ الضعيف هنا لا يعني الاحتقار وتكبر الرجال والتطاول على المرأة، وأنّه

(١) الخصال : ٣٠، باب اليتيم والنوعط تعدد : ٤٩، الفصل السابع، في الثنائيات.

أفضل منها .

هيهات ، فكم من امرأة أفضل من آلاف الرجال ، كما ضرب الله مثلاً للمؤمنين الرجال امرأة فرعون ، ويكفيك شاهداً مقارنة النساء مع اليتيم ، فالعطف على اليتيم ورعاية حقوقه وعواطفه لا يعني أنه محقر عند الناس وفي المجتمع ، بل من المودّة والرحمة والإحسان أن تكرمه وتعطف عليه .

وما أجمل ما حدث أمامي من دخول (الدلاك في الحمام) على سيدنا الأستاذ آية الله العظمى السيد النجفي المرعشي رحمته وقال له - وأنا أسمع - : سيدنا هل تتذكّر في أيام شبابك عندما دخلت الحمام في يوم من الأيام وكان فيه أطفالاً صغاراً فسألته عنهم فقلت : إنهم يتامى ، وكان أولادك معك فقلت لهم : لا تتادوني بكلمة (بابا) كي لا يتأثر اليتامى بذلك ثم أعطيتني نقوداً وقلت لي : اشتر لهم الأقلام والدفاتر لمدارسهم .

فهل هذا يعني احتقار اليتيم؟! كلاً كلاً ، بل هو من آيات الرحمة والعطوفة والشفقة التي هي مظهر الرحمة الإلهية . وكذلك الحكم في المرأة ، وهذا من العدل الإسلامي .

(عادل)

فصل ١٩

المصيبة

لا بد للإنسان الحي من فقدان بعض ما حوله وبعض ما يتعلّق به، فتارةً يفقد المال، وأخرى يفقد العزيز - والعياذ بالله - وهكذا بالنسبة للوالد والولد والأخ والأخت والصديق والجار إلى آخره، وممّن يفقدهم، هي المرأة، فوا حزناه على هذا المفقود، إنّما هو حزن ساعة.

١ - روي عن الحسن بن علي عليه السلام أنّه قال : مصائب الدنيا أربع - إلى أن قال : - وموت المرأة حزن ساعة...^(١)

٢ - وفي أمالي الصدوق، بإسناده عن ابن سنان، عن الصادق عليه السلام، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له : إنّ سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أصحابه معه، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلمّا أن حنط وكفن وحمل على سريره، تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله بلا حذاء ولا رداء، ثمّ كان يأخذ يمنة السرير مرّة ويسرة السرير مرّة، حتّى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) معدن الجواهر : ١٢، باب ذكر ما جاء في أربعة.

حَتَّى لَحْدَهُ وَسَوَى الثَّلْبِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: نَاوَلُونِي حَجْرًا، نَاوَلُونِي تَرَابًا رَطْبًا، يَسُدُّ بِهِ مَا بَيْنَ الثَّلْبِ، فَلَمَّا أُنْفِرَ وَحُشِيَ التَّرَابُ عَلَيْهِ وَسَوَى قَبْرِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُنَى وَيُصَلُّ الْبَلَى إِلَيْهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ عَبْدًا إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَحْكَمَهُ، فَلَمَّا أُنْفِرَ التَّرَابُ عَلَيْهِ قَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: يَا سَعْدُ هَنِينًا لَكَ الْجَنَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أُمَّ سَعْدُ! مَهْ، لَا تَجْزِمِي عَلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ سَعْدًا قَدْ أَصَابَتْهُ ضَمَّةٌ. قَالَ: فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَعَ النَّاسُ، فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ عَلَى سَعْدٍ مَا لَمْ تَصْنَعْهُ عَلَى أَحَدٍ، إِنَّكَ تَتَّبِعُ جَنَازَتَهُ بِلا رَدَاءٍ وَلا حِذَاءٍ؟ فَقَالَ ﷺ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ بِلا رَدَاءٍ وَلا حِذَاءٍ، فَتَأَسَّيْتُ بِهَا. قَالُوا: وَكُنْتَ تَأْخُذُ يَمِينَةَ السَّرِيرِ مَرَّةً وَيَسْرَةَ السَّرِيرِ مَرَّةً؟ قَالَ: كَانَتْ يَدِي فِي يَدِ جَبْرَائِيلَ أَخَذَ حَيْثُ يَأْخُذُ. قَالُوا: أَمَرْتَ بِغَسَلِهِ وَصَلَّيْتَ عَلَى جَنَازَتِهِ وَلَحَدْتَهُ فِي قَبْرِهِ ثُمَّ قُلْتَ: إِنَّ سَعْدًا قَدْ أَصَابَتْهُ ضَمَّةٌ؟ قَالَ: فَقَالَ ﷺ: نَعَمْ، إِنَّهُ كَانَ فِي خَلْقِهِ مَعَ أَهْلِهِ سَوْءٌ... (١) (*)

(*) أقول: الحذار الحذار من سوء الأخلاق، لا سيّما مع الأهل والعيال، فإن من أهمّ مميزات فلسفة البعثة النبويّة الشريفة هو تنميط مكارم الأخلاق كما قال ﷺ: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» وكان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ. والمفروض من كلّ مسلم ومسلمة أن يتأسوا بنبيتهم الأكرم ﷺ ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢)، فهو القدوة والأسوة، وكان خيراً لأهله وعياله،

(١) تسليمة الفؤاد: ٨٦، في أحوال البروج

(٢) الأحراب: ٢١.

٦٨ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

وكذلك المؤمن المسلم، فإنَّ سوء الأخلاق يُؤدِّي بالمرء إلى جهنم وسقر،
كما أنَّ حسن الأخلاق ينتهي إلى الجنة وحسن مأب.

ولا تنس قصة سعد وضغطة القبر، فإنه كان في خلقه مع أهله سوء...

رزقنا الله وإياكم حسن الخلق وطيب المعاشرة والمعروف، لا سيَّما مع

الأهل والعيال.

(عادل)

المرأة

فصل ١

المرأة بين الكفر والإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم .

إنّ هذه الآية الكريمة تدلّ على الوحدة الكاملة في الكيان البشري بين الرجل والمرأة وقد أقرّها الإسلام قبل ١٤ قرناً تقريباً، وهو نصّ كامل في كتابه التشريعي (القرآن الكريم).

أمّا المرأة في أجواء الكفر، فلو سبرنا غور التاريخ وتأمّلنا قليلاً لرأيناها إلى أمسنا القريب والقريب جداً كانت مهملة، وتتضارب آراء فلاسفة وعلماء أهل الكفر في هل أنّها جسم ذات روح أم لا؟ وإن كانت ذات روح، هل هي حسّاس أم لا؟ وعلى فرض أنّها جسم حسّاس، هل إنّها ذات روح إنسانية أم لا؟ ولو كانت ذات روح إنسانية، هل هي تساوي الرجل أم لا؟

٧٢ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

وبنيت المرأة المعذبة مضغه أفواه الرجال ومحور القيل والقال، وبعد ذلك كله رفع شأنها وارتفع مقامها وأفرّوا لها بعض الشيء، ثم جعلت أداةً للتفريج عن الشهوات الجنسية وللتترف، فالرجل لا ينظر إليها إلا كآلة متى ما شاء استعمالها، ومتى ما شاء تركها، ولم يكن يحترمها قط كمخلوق إنساني له قيمته وكرامته الإنسانية. هكذا بقيت المرأة تعاني الأمرين بين الرجال مرارة الشقاء ومرارة العناء، ولا مجيب لصوتها في مجتمع الكافرين.

ولما كانت الثورة الصناعية في الغرب كانت الطامة الكبرى، إذ أن الثورة فرضت على المرأة أن تكذب وتعمل جنباً لجنب الرجل، ومن لم يعمل ليس له أن يعيش مع الأحياء. ومع ذلك لا تحترم كاحترام الرجل، ولنا أدلة على ذلك.

منها: تشغيلها ساعات أكثر من الرجل، إعطائها أقلّ من أجور الرجل، تحطيم روابط أسرتها، حلّ كيانها، إفشاء الفساد الخلقي عندها وعند من يعمل معها.

ومن جرّاء كلّ هذا وقعت المسكينة في هوة المتاعب والردائل، وفقدت بيتها وأنووتها وزوجيتها وكرامتها وشرفها وكلّ شيء وإلى الآن. ولأجل التلافي لما فاتها أخذت تستخدم كلّ الوسائل كي ما تتمكن من استدراك بعض ما فاتها واستحصال بعض حقوقها، وهيئات أن يكون لها ذلك إلا تحت ظلّ الإسلام والإسلام وحده.

استخدمت التظاهر والخطابة في المجتمعات، والأحزاب، والصحافة، وما أشبه. ولكن لم تجد ضالتها المنشودة إلا في الإسلام.

فلنرجع الآن إلى آيتنا الكريمة:

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (١)

لماذا تتعب المرأة نفسها وهذه حقوقها مضمونة عند الإسلام، حيث جعلها شقياً آخراً للرجل :

﴿ وَبَتَّ مِنْهُمَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (٢)

لماذا تظلم المرأة وجعل الإسلام لها حق التملك والتصرف بجميع أنواعها - طبعاً مع مراعاة الطرق الشرعية - :

﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ (٣)

﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَ ﴾ (٤)

وبالنسبة إلى التصرف (لا يتم العقد إلا بإذنها). وأكثر من ذلك أمرت بما أمر به الرجل : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ».

إذاً هي مساوية للرجل تماماً.

هنا نساء بعد هذه المقدمة الوجيهة :

أيهما أفضل، أن تعيش المرأة في أحضان الكفر أم الإسلام ؟

أيهما أقدر، المرأة في الإسلام أم الكفر ؟

أيهما أكثر اطمئناناً للمرأة، قوانين الكفر أم الإسلام ؟

فلتخساً الأفكار المسمومة، ولتخساً الألسن المأجورة، ولتخرس أبواق

الشقاق والنفاق دعاة التقدم الزائف، فما هي والله إلا مكر وخدعة، وإلا محو لكل

(١) النساء : ١

(٢) النساء : ٧

(٣) النساء : ٣٢

فصيلة، وترويح لكل رذيله، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.
وبعد هذا وذاتك نسأل أن يسأل: لماذا لا تعمل المرأة في الزراعة
والتجارة والصناعة والسياسة والاجتماع، بعدما قررت أنها كالرجل بمثابة الندى
للندى...

نقول في الجواب: إن الجهاز التركيبي في جسم المرأة يختلف كل
الاختلاف عن الرجل. وهذا يحدّد موقف المرأة والرجل من العمل، ولولا
التحديد لانفصمت عرى المجتمع، وتهدّم صرح البيت والأسرة، كما شوهد بالفعل.
مثلاً: إن الأجهزة الجسمية للمرأة مستعدة كل الاستعداد للحمل والوضع،
وهل الرجل كذلك؟ كلا. وهذا ممّا يجعلها تستعدّ لبناء البيت وتربية الأولاد
وتشييد الأسرة.

وتقابلها الأجهزة الرجالية بقوة الاستعداد للصراع مع الحياة لتكفل العائلة
وتجهيز وسائل العيش والراحة لها، وهذه لها أهمية لا تنكر.

ثانياً: إن هذه الرقة والعاطفة والانفعالات السريعة التي اختمرت في الجهاز
التركيبي عند المرأة هي التي تجعلها أن تهب نفسها للبيت وتجعلها تستقرّ في
علاقتها العاطفية تجاه الرجل، وهي بالأخير وظيفتها التي تقوم بها على أحسن
ما يرام، ويقابلها الجهاز التركيبي الرجولي بالفكر الجبار الذي يواجه قوى الطبيعة
بكلّ مجالات الحياة، فتارةً يفكر باختراع آلة، وأخرى بوضع خطة حربية أو
سياسة حكم، أو الخروج إلى الصحاري والبراري لاصطياد السباع الضارية،
وهلم جرّاً.

وقس على هذين المثالين مئات الأمثلة التي لا تعدّ ولا تحصى، وكلّ ذلك
برهان على أن للمرأة وظيفة لا يتمكّن الرجل القيام بها، وكذلك للرجل وظائف

لا تترك المرأة من الإيمان بها على الوجه اللئيم، وهذا أعطى الإسلام العظم لكلٍ منهما حصته، فحصة هذه البيت :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

وحصة ذلك خارج البيت، وبكليهما يؤسس المجتمع الصالح وتفتح الحياة أبواب السعادة والهناء والرفاء عليه، وهذا هو المطلوب.

الآن حصحص الحق، أين المتمشdqون؟ أين الخداعون؟ أين المزيفون؟ أين من ينادون بحقوق المرأة؟ فليأتوا ويحتكموا للإسلام، ويأخذوا منه ضالتهم المنشودة إن كانوا صادقين، وإلا فليلقموا بحجر الحق وليخرسوا أمام صوت العدالة، وليسحقوا تحت أقدام أهل القرآن، القرآن الذي ضمن حقوق المرأة قبل ما يقارب الألف والأربعمئة سنة، وجعلها ملكة البيت وأساس الأسرة ثم المجتمع.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلًا عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾

وقفنا الله لفهم الإسلام والعمل على ما يرام، إنه العزيز العلام، والسلام.

فصل ٢

الحجاب

لَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَطَهِّرَ الْبَيْتَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَيُزِيلَ عَنْهَا كُلَّ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ وَالْفَوْضَى، شَرَعَ قَانُونَ الْحِجَابِ بِأَمْرٍ مِنْهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ نِسَاءَهُ وَبَنَاتَهُ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً. إِذَا خَرَجْنَ لِحَاجَتِهِنَّ أَنْ يَعْطِينَ أَجْسَامَهُنَّ رِوُوسَهْنَ وَجِيُوبَهُنَّ - وَهِيَ فَتْحَةُ الصَّدْرِ مِنَ الثَّوْبِ - بِجَلْبَابٍ كَاسٍ، فَيُمَيِّزُهُنَّ هَذَا الرِّيزِ وَيَجْعَلُهُنَّ فِي مَأْمَنِ مِنَ مَعَابَثَةِ الْفَسَاقِ، فَإِنَّ مَعْرِفَتَهُنَّ وَحَشْمَتَهُنَّ مَعًا تَلْقِيَانِ الْخِجْلَ وَالتَّحْرِجَ فِي نَفُوسِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَ النِّسَاءَ لِمَعَابَثَتَهُنَّ... فَهَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

١- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ (١)

٢- ﴿ وَقُرْآنَ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (٢)

(١) الأحزاب: ٥٦

(٢) الأحزاب: ٣٣

٣- ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٣١)

٤- ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ (٣٢)
هذا، ومن أراد الاستزادة فليراجع كتابنا (العفاف على مذبح التبرج).

٥- قال أمير المؤمنين في وصيته للحسن السبط عليه السلام: واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب خيرٌ لك ولهن من الارتياح، وليس خروجهن بأشد من دخول من لا يوثق به عليهن، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك من الرجال فافعل... إلخ (٣١).

(١) النور : ٣١ .

(٢) النساء : ٣٤ .

(٣) سفينة البحار : باب النون بعده السين

فصل ٣

الستر

لكل شيء ساتر، وأفضل الستور ما تستر العورات، ثم إن العورات كثيرة، منها في الأفعال، ومنها في الأقوال، ومنها في الأبدان، ومنها في الصفات، وهلم جرا، وكلُّ يمكن أن يحوي أعداداً منها.

أما المرأة فقد حوت عشرة، على حدِّ قول سيّد العارفين أمير المؤمنين عليه السلام:

١- قال أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام: للمرأة عشر عورات، فإذا زوّجت سُتِرتْ لها عورة، وإذا ماتت سُتِرتْ عوراتها كلّها...^(١)

(١) سنن أبي داود، باب ثوب بعد السنين

فصل ٤

بلا قيد

من الأمور التي لا قيد فيها ولا شرط، طلاق بعض النساء الموصوفات في الأحاديث الشريفة، منها:

١ - حدثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خمس يطلقن على كل حال:

أ- الحامل.

ب- والتي قد ينست من المحيض.

ج- والتي لم يدخل بها.

د- والغائب عنها زوجها.

هـ- والتي لم تبلغ المحيض... (١)

(*) أقول: والمقصود من طلاقهن أنه إذا أراد الزوج أن يطلق - ولا يخفى أن

(١) الخصال: ٢٤٦، باب خمسة، الحديث ٨٠.

٨٠ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

أبعض الحلال عند الله الطلاق - فإنه يطلق هذه النساء من دون اشتراط أن يكون طلاقهن في طهر، كما يشترط ذلك في غيرهن، وهذه من المسائل الفقهية كما هي مذكورة بالتفصيل في الرسائل العملية والكتب الفقهية، فراجع.

(عادل)

فصل ٥

النكد

ما كلّ ما يحصله الإنسان هو طيب، بل بالعكس يمكن أن يكون أكثر ما يحصله نكد وسحت، إن لم يتوجّه ويفحص ما يأتيه. ولا فرق بين الرجل والمرأة من هذه الناحية، فإنّ المرأة يمكن أن يكون لها مورد كسب وأرباح ومحصول، فينبغي لها التوجّه كي لا تقع في فخّ الشيطان وتلتهم السحت وهي لا تدري.

١- حدّثنا محمّد بن الحسن رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطار، عن محمّد بن أحمد، عن موسى بن عمر، عن ابن المغيرة، عن السكوني، عن جعفر بن محمّد رضي الله عنه، عن أبيه رضي الله عنه، عن آبائه رضي الله عنهم، عن عليّ عليهم الصلاة والسلام والتحيّات، قال: السحت:

أ- ثمن المينة.

ب- وثمان الكلب.

ج- وثمان الخمر.

د- ومهر البغي.

هـ- والرشوة في الحكم.

٨٢ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

و- وأجر الكاهن ...

٢- حدثنا أبي رضي الله عنه، قال : حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي أيوب، عن عمّار بن مروان، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : السحت أنواع كثيرة : منها ما أصيب من أعمال الولاة الظلمة، ومنها أجور القضاء، وأجور الفواجر، وثمان الخمر، والنيذ المسكر، والربا بعد البيئة، فأما الرشا - يا عمّار - في الأحكام فإن ذلك الكفر بالله العظيم ورسوله ...^(١)

٣- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثمن الخمر حرام، ومهر البغي حرام^(*)، وثمان الكلب حرام...^(٢)

(*) أقول : والسحت أكل المال بالباطل، أي ما يكون فيه المال ولا شيء يقابله مما يقبله الشرع المقدس، كأجور الفواجر، فما تأخذه الفاجرة والفاحشة في قبال الفجور والزنا - والعياذ بالله - إنما هو مال سحت، فأكله محرّم كفعله المحرّم.

(عادل)

(١) الخصال : ٢٦٩، باب النسفة، الحديث ٢٥

(٢) الخصال : ٢٦٩، باب النسفة، الحديث ٢٦

(٣) غوالي الدرر : ٢٧، حرف التاء.

فصل ٦

التحديد

لكل شيء حدّ، وما جاوز حدّه انقلب إلى ضده، فالعقل يلتزم بالحدود ويحدّد ما يخصّه كي لا ينقلب الزين إلى الشين، ومما يجب تحديدها محافظة عليها من التآثر بالحادثات، هي المرأة، فإنّها رقيقة، والمخاوف عليها عميقة، والأمور حولها دقيقة.

١- قال رسول الله ﷺ: النساء عورات، احبسوهنّ بالبيوت، واستعينوا عليهنّ بالعرى^(١).

٢- النبوي ﷺ: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخرجنّ بفلات - أي غير متطيّبات -^(٢).

٣- عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ليس على النساء أذان ولا إقامة، ولا جمعة،

(١) كتاب سفينة البحار، باب: انون بعده الشين

(٢) نفس المصدر.

٨٤ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

ولا جماعة، ولا عيادة المريض، ولا اتباع الجنازة^(١).

٤- إن النبي ﷺ مشى مع جنازة، فنظر إلى امرأة يتبعها، فوقف ﷺ حتى رجعت المرأة، ثم مضى ﷺ^(٢).

٥- في وصايا النبي ﷺ لعلي عليه الصلاة والسلام: يا علي، ليس على النساء جمعة، ولا جماعة، ولا أذان، ولا إقامة، ولا عيادة مريض، ولا اتباع جنازة، ولا هرولة بين الصفا والمروة، ولا استلام الحجر، ولا الحلق، ولا تولي القضاء، ولا استشارة، ولا تدبح إلا عند الضرورة، ولا تجهر بالتلبية، ولا تقيم عند قبر، ولا تسمع الخطبة، ولا تتولّى التزويج، ولا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنها الله وجبرئيل وميكائيل، ولا تعطي من بيت زوجها إلا بإذنه، ولا تبيت وزوجها عليها ساخط وإن كان ظالماً لها...^(٣).

٦- عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول:

١- ليس على النساء أذان.

٢- ولا إقامة.

٣- ولا جمعة.

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر وفي المواضع العددية: ٢٦٨، باب المواضع.

- ٤- ولا جماعة .
- ٥- ولا عبادة المريض .
- ٦- ولا اتباع الجنائز .
- ٧- لا إجهار بالتلبية .
- ٨- ولا الهرولة بين الصفا والمروة .
- ٩- ولا استلام الحجر الأسود .
- ١٠- ولا دخول الكعبة .
- ١١- ولا الحلق، إنما يقصرن من شعورهن .
- ١٢- ولا تتولى المرأة القضاء .
- ١٣- ولا تولى الإمارة .
- ١٤- ولا تستشار .
- ١٥- ولا تذبح إلا من اضطرار .
- ١٦- وتبدأ في الوضوء من باطن الذراع، والرجل بظاهره .
- ١٧- ولا تمسح كما يمسح الرجال، بل عليها أن تلقي الخمار عن موضع مسح رأسها في صلاة الغداة والمغرب، وتمسح عليه في سائر الصلوات، تدخل إصبعها فتمسح على رأسها من غير أن تلقي عنها خمارها .
- ١٨- فإذا قامت في صلاتها ضمت رجليها، ووضعت يديها على صدرها، وتضع يديها في ركوعها على فخذها، وتجلس إذا أرادت السجود، وسجدت لاطية بالأرض، وإذا رفعت رأسها من السجود جلست، ثم نهضت إلى القيام، وإذا قعدت للتشهد رفعت رجليها وضمت فخذها .
- ١٩- وإذا سبحت عقدت الأنامل لأنهن مسؤولات .
- ٢٠- وإذا كانت لها إلى الله حاجة صعدت فوق بيتها وصلّت ركعتين ورفعت

٨٦ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

[كشنت] رأسها إلى النساء، فإنها إذا فعلت ذلك استجاب الله لها ولم يخيبها.

- ٢١- وليس عليها غسل الجمعة في السنن.
- ٢٢- ولا يجوز لها تركه في الحضر.
- ٢٣- ولا يجوز شهادة النساء في شيء من الحدود.
- ٢٤- ولا تجوز شهادتهن في الطلاق.
- ٢٥- ولا في رؤية الهلال.
- ٢٦- وتجوز شهادتهن في ما لا يجوز للرجال النظر إليه.
- ٢٧- وليس للنساء من سراوات الطريق شيء ولهن جنبتاه.
- ٢٨- ولا يجوز لهن نزول الغرف.
- ٢٩- ولا تعلم الكتابة.
- ٣٠- ويستحب لهن تعلم المغزل وسورة النور.
- ٣١- ويكره لهن تعلم سورة يوسف.
- ٣٢- وإذا ارتدت المرأة عن الإسلام استنبتت، فإن تابت، وإلا خلدت في السجن، ولا تقتل كما يقتل الرجل إذا ارتد، ولكنها تستخدم خدمة شديدة وتمنع من الطعام والشراب إلا ما تمسك به نفسها، ولا تطعم إلا جشب الطعام، ولا تكسى إلا غليظ الثياب وخشنها، وتضرب على الصلاة والصيام.
- ٣٣- ولا جزية على النساء.
- ٣٤- وإذا حضر ولادة المرأة وجب إخراج من في البيت من النساء كيلا يكن أول ناظر إلى عورتها.
- ٣٥- ولا يجوز للمرأة الحائض ولا النجس الحضور عند تلقين الميت، لأن الملائكة تنأذى بهما.
- ٣٦- ولا يجوز لهما إدخال الميت قبره.

٣٧- وإذا قامت المرأة من مجنسها فلا يجوز لرجل أن يجلس فيه حتى

يبرد.

٣٨- وجهاد المرأة حسن التبعل.

٣٩- وأعظم الناس حقاً عليها زوجها.

٤٠- وأحق الناس بالصلاة عليها إذا ماتت زوجها.

٤١- ولا يجوز للمرأة أن تتكشف بين يدي اليهودية والنصرانية؛ لأنهن

يصفن ذلك لأزواجهن.

٤٢- ولا يجوز لها أن تتطيب إذا خرجت من بيتها.

٤٣- ولا يجوز لها أن تتشبه بالرجال، لأن رسول الله ﷺ لعن المشبهين

من الرجال بالنساء، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال.

٤٤- ولا يجوز للمرأة أن تعطل نفسها، ولو أن تعلق في عنقها خيطاً.

٤٥- ولا يجوز أن ترى أظفيرها بيضاء ولو أن تمسحها بالحناء مسحاً.

٤٦- ولا تخضب يديها في حيضها؛ لأنه يخاف عليها من الشيطان.

٤٧- وإذا أرادت المرأة الحاجة وهي في صلاتها صفقت يديها والرجل

يومئ برأسه وهو في صلاته ويشير بيده ويسبح جهراً.

٤٨- ولا يجوز للمرأة أن تصلي بغير خمار، إلا أن تكون أمة، فإنها تصلي

بغير خمار مكشوفة الرأس.

٤٩- ويجوز للمرأة لبس الديباج والحرير في غير صلاة وإحرام، وحرّم

ذلك على الرجال إلا في الجهاد.

٥٠- ويجوز أن تتختم بالذهب وتصلي فيه، ويحرم ذلك على الرجال، قال

النبي ﷺ: يا علي عليه السلام! لا تتختم بالذهب، فإنه زيتك في الجنة، ولا تلبس

الحرير فإنه لباسك في الجنة.

- ٥١- ولا يجوز للمرأة في مالها عتق ولا برّ إلا بإذن زوجها.
- ٥٢- ولا يجوز أن تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها.
- ٥٣- ولا يجوز للمرأة أن تصافح غير ذي محرم إلا من وراء ثوبها.
- ٥٤- ولا تباعع إلا من وراء ثوبها.
- ٥٥- ولا يجوز أن تحجّ تطوعاً إلا بإذن زوجها.
- ٥٦- ولا يجوز للمرأة أن تدخل الحمام، فإن ذلك محرّم عليها.
- ٥٧- ولا يجوز للمرأة ركوب السرج إلا من ضرورة وفي السفر.
- ٥٨- وميراث المرأة نصف ميراث الرجل.
- ٥٩- وديتها نصف دية الرجل.
- ٦٠- وتعاقل المرأة الرجل في الجراحات حتّى تبلغ ثلث الدية، فإذا زادت على الثلاث ارتفع الرجل وسفلت المرأة.
- ٦١- وإذا صلّت المرأة وحدها خلف الرجل قامت خلفه ولم تقم بجنبه.
- ٦٢- وإذا ماتت المرأة وقف المصلّي عليها عند صدرها، ومن الرجل إذا صلّى عند رأسه.
- ٦٣- فإذا أدخلت القبر وقف زوجها في موضع يتناول وركها.
- ٦٤- ولا شفيع للمرأة أنجح عند ربّها من رضا زوجها. ولما ماتت فاطمة عليها السلام قام عليها أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيّك، اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيّك، اللهم إنّها قد أوحشت فأنسها، اللهم إنّها قد هُجرت فصلها، اللهم إنّها قد ظلّمت فاحكم لها وأنت خير الحاكمين... (١).

(١) المواعظ العددية: ٢٨٥، باب السبعين.

فصل ٧

الجزاء

كُلٌّ مَنْ يَعْمَلُ بِحَسَبِ رُبِّكَ لِالْمَرْصَادِ. فَمَنْ عَمِلَ الْخَيْرَ، فَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ عَمِلَ الشَّرَّ، وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. فَالْأَعْمَالُ مَنْوُطَةٌ بِالْجَزَاءِ، وَلَمَّا ثَبَتَ هَذَا يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ أَنْ لَا يَقْطَعَ حَبْلَهُ مِنْ عَرَى الْخَيْرِ، وَإِلَّا فَالنَّارُ مِثْوَاهُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ!^(١)

١- قَالَ ﷺ: ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَبَدًا: الدِّيُوثُ، وَالرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ، وَمَدْمَنُ الْخَمْرِ.^(٢)

٢- وَفِيهِ أَيْضًا: لعن الله الرجلة من النساء...^(٣)

٣- وَفِيهِ أَيْضًا: وَيَلُّ لِلنِّسَاءِ مِنَ الْأَحْمَرِيِّينَ [يَعْنِي الذَّهَبَ وَمَلَابِسَ الزَّيْنَةِ] ^(٣).

(١) غوالي الدرر من كلام سيّد البشر: ٣٣، حرف الناء.

(٢) نفس المصدر: ١٤٣، حرف اللام.

(٣) نفس المصدر: ١٦٩، حرف الواو.

٤ - قال تعالى : ﴿ وَاللّٰتِي يٰٓاتَيْنِ الْفٰجِحٰتِ مِنْ نِّسَابِكُمْ فَاَشْتَشٰهَدُوْا عَلَيْنِهِنَّ اَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَاِنْ شٰهَدُوْا فَاْمْسِكُوْهُنَّ فِى الْبُيُوْتِ حَتّٰى يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ اَوْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لِهِنَّ سَبِيْلًا ۗ ﴾ (١)

٥ - وقال العليّ جلّ وعلا - بالنسبة إلى ما ملكت اليمين - : ﴿ فَاِذَا اُحْصِيَ فَاَنْ اَتَيْنَ بِفٰجِحَةٍ فَعَلَيْنَهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصِنٰتِ مِنَ الْعَدَابِ ۗ ﴾ (٢)

(*) أقول : الدنيا دار مكافاة، فمن يزرع الحنطة يحصد الحنطة، فما تزرعه تحصده، وما تعطيه تأخذه. فالحياة منشار، كما أن الآخرة دار الجزاء، فالمطيع يثاب على طاعته جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار، والعاصي يعاقب على إثمه وذنبه الذي لم يثب ولم يستغفر منه، فوجوه يوم القيامة ضاحكة مستبشرة، ووجود يومئذٍ مكتهرة عليها غبرة ترهقها فترة - والعياذ بالله - والشقي من كان الجحيم مثواه، والسعيد من كانت الجنة مأواه، أمّا الذين شقوا فني النار، وأمّا الذين سعدوا فني الجنة...

(عادل)

(١) النساء : ١٥

(٢) النساء : ٢٥

فصل ٨

الوفاء

من الصفات المحمودة والخصال المدوحه هي صفة الوفاء^(*)، ومع الأسف الشديد، إن في عصرنا هذا لا يوجد إلا في الأوحدي من الناس، وهو كالكبريت الأحمر، وأما بالنسبة إلى الجنس اللطيف فكأنه لم يخلق فيهن، والعياذ بالله.

١- حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمته، قال: حدثنا علي بن الحسين السعدآبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، بإسناده يرفعه إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: خمس من خمسة محال: التصحح من الحاسد محال، والشفقة من العدو محال، والحرمه من الفاسق محال، والوفاء من المرأة محال، والهيبة من الفقير محال...^(١)

(*) أقول: الوفاء من جنود العقل الذي خلقه الله أولاً من نوره وجعل له سبعين جندياً، كما أنه خلق الجهل من الظلمة، وجعل له سبعين جندياً أيضاً. والصراع بين العقل والجهل وجنودهما منذ اليوم الأول، ولا يزال هذا

(١) الخصال: ٢٦٩، باب الخمسة، الحديث ٥

الصراع في وجود الإنسان، فيبين جذبه العطل ونوره وجنوده المباركين،
ووسوسة الشيطان ودعوة الجهل وجنوده الملعونين.

وقد هدى الله الإنسان سبيله، وأراه التجدين، وألهم نفسه فجورها وتقواها،
فالإنسان مختار إما أن يكون شاكراً مطيعاً، وإما أن يكون جاحداً كافراً،
عاصياً. ومن لطف الله سبحانه - واللفظ ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن
المعصية لا على حد الإلجاء والقهر - أن أرسل إليه الرسل وبعث الأنبياء وأنزل
الكتب، والله الحجة البالغة، فمن اهتدى فلنفسه وسعد، ومن ضلّ فعليها وشقي،
وما الله بظلام للعبيد، والعاقبة للمتقين.

(عادل)

فصل ٩

الطاقة

لقد تختلف الطاقات والقوى في الأشياء، فبعض ذو طاقةٍ ضئيلة. وبعض ذو طاقةٍ جبّارة، مثل الحديد فيه بأسٌ شديد. ومن جملة ذوي الطاقات هو الإنسان، والطاقة تكون في نفسه، وهو من أجلّ وأعظم وأكبر ذوي الطاقات، حيث أنّ طاقته أعجزت كلّ طاقة واستولت عليها، فتراه يتصرّف بهذه الطاقة الجبّارة في هذا الكون الواسع، ويستخرج منه كلّ خيراته ليصرفها في ما يسعده، وهذه الطاقة والقوّة وُزعت بين الجنسين الخشن واللطيف، وللّطيف الحظّ الأوفر. ١ - فقد جاء في الحديث الشريف عن الصادق، عن أبيه عليه السلام، إنّ الله تبارك وتعالى جعل للمرأة صبر عشرة رجال، فإذا حملت زادها قوّة عشرة رجال أخرى^(١).

(١) سفينة البحار: باب النون بعدة السن

فصل ١٠

السلطة

إن السلطة من الأمور التي تتوق لها النفوس، وتتجه إليها الأهواء، فما من نفسٍ إلا أن تطبّ التعلّي على غيرها من الأنبياء كلِّها^(١). ويتمثّل هذا الطلب بالنفس الأنتوي أكثر من غيرها، فأياك والخطل في الرأي والقول والعمل.

١ - عن الرسول الأكرم ﷺ: لن يفتح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة^(٢). وقال ﷺ أيضاً: هنّ أغلب...^(٣).

٢ - قال رسول الله ﷺ: إذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاؤكم، وأموركم إلى نساءكم، فبطن الأرض خيرٌ لكم من ظهرها^(٤).

(١) غونى الدرر: ١٤٥. حرف نلام.

(٢) نفس المصنف: ١٦٣.

(٣) نفس المصنف: ١٦٥.

(٤) سقينه نبحر: ١٠٠. ثوبن عهد السنن.

(*) أقول : كما أنه ورد في الحديث الشريف : « آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حبّ الرئاسة ». والصديق صيغة مبالغة، أي من كان كثير الصدق في أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته، فالكل يحبّ الرئاسة والتفوق على الغير، والكل يودّ الإمارة ولو على الحجارة، وإنّ النفس الأمّارة بالسوء ترغب التفرعن وتدّعي الربوبية، فما من أحد إلا ونفسه تحكي في ضميرها اللاشعوري مقولة فرعون الطاغية (إني أنا ربكم الأعلى) إلا أنّ الظروف سمحت لفرعون في دعوته، ولم يكن مهذباً لنفسه فادّعى الربوبية على قومه وشعبه، وكلّ واحد ممّن لم يهذب نفسه، ويخرج حبّ الرئاسة من قلبه، فإنّه يبتلى بالنفس الفرعونية فيتفرعن ولو في داره، وكم من الرجال من هو فرعون زوجته؟! أعاذنا الله وإياكم من التفرعن وسوء الأخلاق.

(عادل)

فصل ١١

النقص التكويني

لو لم يكن النقص في المرأة تكوينياً، لماذا يحكم عليها بأحكام لا يُحكم بمثلها على الرجال، حتى في القوانين الوضعية، هذه التي تساوي بين الرجل والمرأة، وفي عين الوقت تفارقهم في الأحكام وفي بقية الأمور، فليتنبه الشعوب إلى أغلاط القوانين الوضعية الكافرة.

١ - قال سيّد الحكماء وإمام البلغاء والفصحاء الوصيّ المعظم صلوات الله وسلامه عليه وعلى الطاهرين من أبنائه المعصومين : معاشر الناس، إن النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول. فإما نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن، وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين فيهن كشهادة الرجال. وأما نقصان حظوظهن فمواريثهنّ على الإنصاف من مواريث الرجال... إلخ^(١).

(١) سنن البحار باب النون بعدة السنن وفي نهج البلاغة : ١٢٩، الخطبة ٧٨

فصل ١٢

المصيدة

كلّ من في الوجود يطلب صيداً إنّما الاختلاف في الشبكات لكلّ شبكة يتصيّد بها، وشبكة إبليس النساء، فاحذر من الوقوع فيها.
١ - قال النبي ﷺ: النساء حبال الشيطان... (١) *

(*) أقول: وإذا كان كيد الشيطان ضعيفاً، فإنّ كيدهنّ كان عظيماً، فإنّه إذا أردنّ شيئاً فإنّهنّ يجعلنّ القطن فحماً والفحم قطناً، والأسود أبيضاً والأبيض أسوداً، والنهار ليلاً والليل نهاراً - وهذه كنايات عن شدة مكرهنّ وشبكاتهنّ، لا سيّما في مقام صيد قلوب الرجال، فإنّه حتى مثل برسيس العابد يقع في كيدهنّ وافتتانهنّ وحبال عشقهنّ ومكرهنّ وشهواتهنّ -.

فالحذار الحذار من كيدهنّ ومن حبال الشيطان، ولا يعني هذا أن يسيء الرجل بالمرأة ظناً، ويبنى على سوء الظنّ والتوهّمات والأوهام حياته الأسروية، بل المقصود أن يحذر، فإنّ سوء الظنّ الذي يوجب الحذر من حسن

(١) سفينة البحار، باب النون بعد السين والمواعظ العددية: ٣

التطن ومن كياسه المرء، والشيطان يسغل أنفوسه من الإنس من ضعفاء العقول
- أعم من أن يكون رجلاً أو امرأة - فإن الرجال أيضاً حباثل الشيطان كاتساء
إذا كانوا ضعيفي العقول، يميلون مع كل ربح وينعقون مع كل ناعق، كالأنعام بل
هم أضل سبيلاً، فالمقياس هو العقل ونوره، والعدل وحكمه.

(عادل)

فصل ١٣

للحوامل

عندما تحمل المرأة يتغير مزاجها، فيلزم مداراتها، وإعطاؤها ما يلائم مزاجها من المآكل والمشرب حتى تضع حملها، وقد كتب في هذا الصدد عدة أسفار، ولنا من كلمات وتعاليم أئمتنا عليهم السلام ما يعني المراجع لها، فهم عليهم السلام لهم اليد الطولى في كل مرافق الحياة من البدو إلى الختم، فإنك إياك أن تميل عنهم إلى غيرهم، فوالله بهم بدأ الله وبهم ختم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عليهم السلام.

١- علم أمير المؤمنين أصحابه: ما تأكل الحامل من شيء، ولا تتداوى به أفضل من الرطب، قال الله تعالى لمريم عليها السلام: ﴿ وَهَزِيْ اِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا حَلِيًّا ۗ فَكُلِيْ وَاشْرَبِيْ وَرَاقِيْ عَيْنًا ۗ ﴾ عليها السلام.

(*) أقول: طلب الهداية من غيرهم عليهم السلام مساوغة لإنكارهم، كما ورد عن صاحب الأمر عليه السلام، ففي بيوتهم نزل الكتاب، وعندهم فصل الخطاب، وهم

(١) مريم: ٢٥-٢٦.

(٢) المواعظ العددية: ٣٠٧، باب الأربعين.

١٠٠ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

معادن العلوم والمعارف والفنون . فمن أراد الله بدأ بهم وقيل عنهم وتمسك بهم
ولجأ إليهم ، فالحق معهم وفيهم وإليهم ، ولولاهم ما عرف الله ، وما عبد حق
عبادته .

(عادل)

فصل ١٤

الملعونات

نعوذ بالله من اللاتي لُعنوا على لسان النبي الكريم ﷺ، وكم كثروا في عصرنا هذا، المسمّى بعصر النور، وأي نورٍ في الخروج عن طاعة الله تعالى، والدخول في ذلّ معصية الله تعالى، أعاذنا الله جلّ وعلا من نسيان أنفسنا، ونشوز نساتنا.

١ - إن النبي ﷺ في حديث، قال: نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهنّ كأسنمة البخت العجاف، العنوهنّ فإنهنّ ملعونات (*)... الخ^(١).
بيان: الأسنمة جمع، مفردة سنام، وهو سنام البعير، يقول على رؤوسهنّ ما يشبه سنام البعير، وهو المسمّى في زماننا هذا بـ (الباروكة).

(*) أقول: اللعن: بمعنى الطرد عن الرحمة الإلهية، كما لعن إبليس وكان رجيماً ومطروداً عن رحمة الله سبحانه.

(عادل)

(١) ذرائع البيان: ٢١٧، في التعليقة. نقلاً عن المستدرک للحاكم ٤: ٤٣٦، من حديث

فصل ١٥

الشبع

الشبع من الغرائز^(١) التي لا بدّ منها، وهو ضدّ الجوع، فكلّ من يجوع لا بدّ أن يشبع، ولكن توجد ما لا تشبع.

وقد ذكر بعضها معلّمو البشريّة، رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرون من ذريّته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

١ - عن البرقي، رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أربعة لا يشبعن من أربعة: الأرض من المطر، والعين من النظر، والأنثى من الذكر، والعالم من العلم...^(٢)

(*) أقول: للإنسان أربعة عشر غريزة، منها الغريزة الجنسيّة، وغريزة الأكل والشرب، ومنها غريزة حبّ الجمال، وحبّ الاستطلاع، وحبّ الخلود، وغيرها.

فالشبع والجوع تارةً يراد منهما ما يتعلّق بالأكل والشرب، فهذا من الغرائز،

(١) المحاسن ٧، كتاب الأسكندر وتقران، الحديث ٦٤

المرأة / الفصل الخامس عشر - الشيع ١٠٣

وأخرى ما هو بالمعنى الأعم، كإطلاق الشيع على الأرض بأنها لا تشيع من المطر، فهذا من المعنى اللغوي وليس من الغرائز، فتدبر.

نعم، الظاهر من عدم شيع الأنثى من الذكر إشارة إلى الغريزة الجنسية، فإن المرأة العادية ترغب إلى الزوج في كل ساعتين مرة بعد أن تفرغ شهواتها السبعة - كما عند الأطباء - أو التسعة - كما ورد في الروايات - . وأما الرجل العادي ففي كل أربع وعشرين ساعة يرغب المضاجعة والعمل الجنسي، إلا أن يكون سبقاً شهوانياً يختلف عن عادة الرجال، فهذا من الشواذ.

والكل عام خاص، ولكل قاعدة شواذ، وتبقى المرأة أكثر شهوة من الرجل، كما أنها أكثر حياة، وحياتها يمنعها أن تطلب من الرجل فتبقى جائعة، ولا تشيع الأنثى من الذكر، والله المستعان.

(عادل)

فصل ١٦

هنيئاً لأرباب النعيم

لو تعب الإنسان في هذه الحياة تعباً لا بعده تعب، وجاهد جهاداً لا بعده جهاد، حتى أنه قُطِعَ بالسيوف، ورُفِعَت أوصاله على الرماح، أو قُطِعَته وأكلته عسلان الفلوات، وكان بعد كل ذلك الجنة لهانت، وقيمة الجنة أكثر وأكثر، والخلود فيها أهم وأهم، اللهم ارزقنا الجنة تحت لواء محمد وآل محمد صلواتك عليهم أجمعين.

١ - يا أبا ذر، لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت من سماء الدنيا في الليلة الظلماء لأضاءت لها الأرض أفضل مما يضيء بالقمر ليلة البدر، ولو جد ريح نشرها جميع أهل الأرض، ولو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم... (١) (*)

(*) أقول: لغة يوم القيامة وما فيه - وفي جناته ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ولم يخطر على قلب بشر - تختلف عن لغة الدنيا، كاختلاف لغة الجنين في

(١) بندهای کرانمایه پیغمبر: ٣٤، الحدیث ٦٥.

رحم أمه عن لغة الدنيا، فلو أخبر الجنين وهو في الظلمات الثلاث أن هناك دنيا فيها ما فيها من الغابات والأشجار والبساتين والنساء الجميلات والولدان الحلوين والأنهار وتغريد البلابل وصدح العندليب وغير ذلك، ما كان يصدق، إذ لغته لغة ضيقة وتختص برحم أمه فلا يعرف إلا ما هو حوله من الدم والعروق والجدار الرحيمي والظلمات، وكذلك لغة الدنيا بالنسبة إلى ما في الآخرة، فإنها لغة ضيقة جداً، وربما الإنسان لا يصدق ما يقال عن معالم الآخرة وعوالمها في جهنمها ونيرانها وفي جنتها ونعيمها، فينكر ذلك ويراه خرافات وأساطير الأولين، وكيف تكون امرأة من الجنة لو اطلعت في سماء الأرض لأضاءت الأرض أفضل من القمر في ليلة بدره، وإنكاره هذا تضيق دنياه وقلّة عقله وعلمه ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾^(١) إلا أنه لما أخبرنا القرآن الكريم والنبى الصادق المصدق وعترته الأطهار عن الآخرة وما فيها، فإنّ العاقل المؤمن يؤمن بها ويصدقها، إذ يعتقد أنّ الوحي أوسع من العقل، وأنّ ما وراء الطبيعة وما في الغيب أوسع بكثير من الطبيعة وما فيها وما في عالم الشهود، بل لاقياس بينهما إلا قياس الرحم والدنيا، فتدبر.

(عادل)

فصل ١٧

الحراجة

الواقع توجد مواقف حرجة جداً بحيث لا يجد الإنسان مندوحةً منها مهما تحيل لها، وبالأخير يُجبر على أن يضع حبلها على غاربها أينما أشرق وأغربت، أمّا أنه يرتاح فكلاً، وإنما لا مندوحة له سواه، فيظل بين بين حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين. ومن هذه المواقف، بل وأهمّها، هو موقف الرجل مع المرأة، هذه المخلوقة العجيبة التي لا يُستغنى عنها فتترك، ولا يحال إليها فتريح. ولقد صدق من قال: (زنده بلا، مرده بلا) (*) أي حياة بلاء وموت بلاء.

١ - قال رسول الله ﷺ: إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج، إن تركته انتفعت به، وإن أقمته كسرته... الخ.

(*) من الأمثال الفارسية، وهو عبارة أخرى عن الشر الذي لا بد منه. فلا يمكن الاستغناء عن المرأة بوجه من الوجود، فإنها النصف الآخر للمجتمع، كما أنّها مكملّة الرجل، ومن أحضانها يعرج الرجال إلى أوج الرفعة وقمة الشموخ.

(١) الأخلاق: ١١٩، الباب الثاني عشر

المرأة / الفصل السابع عشر - الحراجه ١٠٧

سواء في الدنيا ونيل الشهرة والمقام والجاه العلمي أو الاجتماعي أو الأخلاقي أو الثقافي والنفسي، أو في الآخرة، فإنه من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليثق الله في النصف الآخر، وهذا يعني بوضوح مقدار قيمة المرأة في حياة الرجل المعنوية والأخروية، فيها يصون الرجل نصف دينه وتقواه، فهي مكتملة الرجل، وما من رجل عظيم إلا وخلفه امرأة مطلقاً بكل أدوارها سواء الأم أو الأخت أو البنت أو الزوجة، وسعد من فاز بزوجة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه وآخرته.

(عادل)

فصل ١٨

المختارات

لكلّ شيءٍ في العالم أدون وأحسن ومفضول، وأفضل وأشرّ، وأخير، ولكلّ هذه حدّ وسط كـ (لا بأس) وحسن وفاضل... إلى آخره. وأمّا الأنثاء فشرارهن أكثر من خيارهن، ولا تفضّل إلاّ من عصم الله تعالى. أجارنا الله تعالى من الشرار.

١ - أخبرني محمّد بن عليّ بن إسماعيل، قال: أخبرنا أبو القاسم بن منيع، قال: حدّثنا شيبان بن فروخ، قال: حدّثنا داود بن أبي الفرات، قال: حدّثنا علباء ابن أحمرة، قال: حدّثنا عكرمة، عن ابن عباس، قال: خطّ رسول الله ﷺ أربع خطط في الأرض، وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.

فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء [أهل] الجنّة أربع:

أ - خديجة بنت خويلد.

ب - وفاطمة بنت محمّد.

ج - ومريم بنت عمران.

المرأة / الفصل الثامن عشر - المختارات ١٠٩

د - وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون...^(١)

٢ - قال رسول الله ﷺ : رأيت خديجة على نهر من أنهار الجنة^(٢)

(١) الخصال : ١٦٤ ، باب الأربعة ، الحديث ٢٢ .

(٢) غوالي الدرر : ٧٤ ، حرف الراء .

فصل ١٩

همّ النساء

كلّ فردٍ في هذه الحياة لا بدّ أن يهتمّ بشيءٍ، العالم يهتمّ بالعلم، والتاجر يهتمّ بالتجارة، وهكذا كلُّ يهتمّ بما يعنيه، وكلُّ يعمل على شاكلته. والنساء لا همّ لهنّ إلّا أنفسهن، وزينتهن، وتنفيذ إرادتهن، والإفساد بكلِّ معقول ومجهول، فلهذا درّ بعضهن كيف يدرّسن الشيطان ويعلمنه ويساعدهن على كثير مما يعجز عنه. لذا يقول عليه اللعنة: إنّ النساء قرّة عينه.

١- قال أمير المؤمنين عليه السلام في قصار كلماته: إنّ النساء همّهن زينة الحياة الدنيا، والفساد فيها... (*)

(*) أقول: لا يخفى أنّ ما يذكر في النساء مثل هذه العبائر لا يعني ذلك على نحو العلية الثابتة والطبيعة الثابتة التي لا تتغير. بل المراد على نحو الافتضائية والعلّة الناقصة، فإنّ الغالب في النساء على نحو التضيّة المهملة التي هي بحكم الجزئية أنّهنّ يحبين زينة الدنيا وزبرجها، لتعومتهن ولطافتهن وطبيعتهن الأنثوية، إلّا

(١) درر ندوم، ١٣٥، ص ١٠٥، ورد في حرف الألف

أنه مع تزكية النفس وتهذيب الروح يعرجن إلى مقام الولايه، فتكون المرأة التي كانت من ضيعتها انفساد في الدنيا من وليات الله وجنده، وخدمة دينه، ودعاة إسلامه، وحملة كتبه، وحملة مبادئه وقيمه، وتسال العز والكرامة والشرف في الدنيا والآخرة، وكم من النساء من بلغن قمة العلم والجهاد والتضحية والفداء في سبيل الله، وكم من النساء من حاربن الطغاة والجبابرة وفاقن الرجال في نضالها وجهدها العلمي والثقافي والفني، وفي جهادها وتحمل المصائب والسجون والرنزانات والتشريد والنفي والقتل والإعدام، كل ذلك في سبيل الله سبحانه وإعلاء كلمته ومن أجل دينه القيم، وحفاظاً على كرامتها وعنتها وشرفها ووطنها، وكم من النساء من كانت جنباً لجنب الرجل تواكبه وتسايره في كل أدوار حياته وتتحمل المصاعب والآلام، وتبذل ما في وجودها من أجل سعادة زوجها وأسرته ومجتمعها، كما نرى ذلك في كل المؤمنات والمسلمات المعتقدات والمتمسكات بما دلهن وقيمن.

فلا ريب أن المؤمنة مع تهذيبها وتربيتها في ظلال القرآن الكريم وستة الرسول الأكرم ﷺ وعترته الأطهار عليهم السلام تحارب الفساد والإفساد في الدنيا، وإنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتسعى من أجل طهارة المجتمع وقداسة الأسرة، وروحانية حياتها ومن يلوذ بها، والعروج إلى رب العالمين، فمثل هذه المرأة المؤمنة همها الحياة الإيمانية الطيبة التي ينفوح منها عطر الولاء وحب الله، لا زينتها والفساد فيها.

نعم، يبقى أنها في القلة، ولكن هذا لا يختص بها، بل ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١)

١١٢ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

وقد ورد في الحديث الشريف : «المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر» ومن خواصّ هذا الكبريت أنّه إذا ضرب بالحديد صار ذهباً. ثمّ قال عليه السلام : «فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟» ثمّ قال : «والمؤمنة أعزّ من المؤمن» والعزيز هنا بمعنى الفرد النادر الوجود جداً، والله المستعان.

(عادل)

فصل ٢٠

الجهنميات

أعاذنا الله من النساء الجهنميات، وهنّ البذيئات اللاتي لا حياءَ لهنّ ولا يردعن أنفسهن من الكلام البذيء، واللاتي يعشن بالخلاء والكبرياء ولا يرين للرجل قيمة، واللاتي يفجرن - أي يكذبن ويعملن الفحشاء - ومثل هذه شرُّ كلِّها ولا خير فيها، فاتَّقوهن ولا تقربوهن، ففيهن فساد الدنيا والآخرة.

١ - حدّثنا محمد بن الحسن رضي الله عنه، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد

ابن محمد بن خالد، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن العلاء بن فضيل، عن أبي عبد الله عليه أفضل التحيات، قال: ثلاث إذا كنّ في الرجل فلا تخرج أن تقول أنّه في جهنّم، الجفاء والنجبن والبخل، وثلاث إذا كنّ في المرأة فلا تخرج أن تقول أنّها في جهنّم:

أ - البذاء.

ب - الخيلاء.

ج - الفجر...^(١)

(١) الخصال: ١٢٦، باب الثلاثة.

فصل ٢١

الشؤم

معاذ الله أن يُبتلى الإنسان بالشؤم، فإنه نحس منحوس، فقد يعمى ويصم، ويسلب الراحة والطمأنينة، أجازنا الله تعالى وإياكم والمؤمنين، وأكثره في النساء.

١ - عن الصادق جعفر بن محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، قال: في كتاب عليّ صلوات الله وسلامه عليه الذي أملى رسول الله ﷺ: إن كان الشؤم في شيء ففي النساء...^(١)

٢ - حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن بكر بن صالح، عن سليمان الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الشؤم في خمسة للمسافر [في طريقه]:

أ - الغراب الناقع عن يمينه.

ب - و [الكلب] الناشر لذنبه.

(١) سفينة البحار: باب التون بعده السنن

اليوم طيلة السنة.

ومثل هذه الظواهر بين الأمم متفشية حتى في البلاد المتقدمة في الصناعة والتكنولوجيا، إلا أن الإسلام قد أنكر كثيراً من ذلك، وأمرنا أن نتفائل بالخير دائماً، كما ورد في الحديث والمثل المعروف «تفاءلوا بالخير تجدوه»، ومع هذا جعل لأولئك الذين يتطبرون ويتشاءمون علاجاً للخلاص من الوسواس، وهو الدعاء، فإنه مفتاح كل خيرٍ وصلاح، ومن هذا المنطلق نجد كيف يوصي بالدعاء ويعلم ذلك لمن يتشاءم من امرأة شمطاء، أي عجوزة كريهة المنظر قد ابيض شعر رأسها - تلقي فرجها - ربما كناية عن نومها على بطنها وأنه من نوم الشيطان، كما ورد الدم فيه، أو كناية عن عدم عفتها واشتهارها بذلك.

(عادل)

اليوم طيلة السنة.

ومثل هذه الظواهر بين الأمم متفشية حتى في أبلاد المتقدمة في الصناعة والتكنولوجيا، إلا أن الإسلام قد أنكر كثيراً من ذلك، وأمرنا أن نتفاهل بالخير دائماً، كما ورد في الحديث والمثل المعروف «تفاهلوا بالخير تجدوه»، ومع هذا جعل لأولئك الذين يتطعمون ويتشاءمون علاجاً للخلاص من الوسواس، وهو الدعاء، فإنه مفتاح كل خيرٍ وصلاح، ومن هذا المنطلق نجد كيف يوصي بالدعاء ويعلم ذلك لمن يتشاءم من امرأة شمطاء، أي عجوزة كريهة المنظر قد ابيض شعر رأسها - تلقي فرجها - ربما كناية عن نومها على بطنها وأنه من نوم الشيطان، كما ورد الدم فيه، أو كناية عن عدم عفتها واشتهارها بذلك.

(عادل)

فصل ٢٢

المرأة والإيمان

بُعث الرسول الأكرم ﷺ إلى البشرية كافة. فلا فرق في اختلاف الألسن، ولا الجنسيات، ولا البلاد، والأجناس. فكما أن الإيمان بالإسلام الذي جاء به هو ﷺ يجب على الرجال، كذلك يجب على النساء.

ثم إن الإيمان بالله لم يكن يخص الإسلام والبعثة النبوية فحسب، بل كان يجب على الإنسان، سواء الذكر أو الأنثى، من لدن آدم على نبيتنا وعليه السلام إلى الخاتم صلوات الله وسلامه عليه وعلى الطاهرين من ذريته. فعند تصفح التاريخ، ترى المؤمنين كثيرين رجالاً ونساءً. كما أن غيرهم أكثر منهم، لذا ترى القرآن الكريم يقول: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾. وفي قصة نوح ولوط ترى امرأتين خانتا، كما في قصة فرعون ترى امرأة واحدة مؤمنة ترجو الله تبارك وتعالى الجنة.

١- القرآن الكريم: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِّنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ

(﴿١﴾) أقول : وهذا من أروع ما يقال في عظمة المرأة المؤمنة والصابرة في سبيل الله، فإن الله يفتخر بها ويضربها مثلاً للرجال المؤمنين على طول التاريخ البشري.

فما أعظم المرأة لو كانت مؤمنة حقاً بالله سبحانه واليوم الآخر، وتطلب من الله الجنة والنجاة من الطغاة والظالمين. وفي عصرنا هذا كفرعون زمانه صدام اللعين، والتاريخ الإنساني والديني يحكي لنا شواهد وقصص عن حياة المؤمنات الصابرات القاتنات المجاهدات العابדות والعالمات، وإنهن فخر الإنسانيّة والبشريّة جمعاء.

(عادل)

فصل ٢٣

لطف

إنَّ الطَّافَ المولى جَلَّ جلاله على عباده لا تعدّ ولا تحصى، فكم من مشمولٍ للطفه وهو لا يدري، أو يدري ولا يبالي لأنّه كفور، ومن الطّافه الشاملة، لطفه على الصبيان والنساء بحيث يغضب لهما، ويرأف بهما، وهما لا يدريان. أمّا الطفل فلقلة إدراكه، وأمّا المرأة فلنقصها التكويني، فإنّها لا تكاد ترى لأحد فضل عليها مهما كان، وحتى بالنسبة إلى الخالق عزّ اسمه، تكاد تنكر فضله ولطفه، ولكن الله تعالى اللطيف من لطيف، وأرأف من كلّ رؤوف مهما كلف الأمر.

١ - كليب الصيداوي، قال: قال لي أبو الحسن [موسى] عليه السلام: إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم، فإنهم يرون أنكم الذين ترزقونهم، إن الله عزّ وجلّ ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان... (١)


(*) أقول: إذا كان الله يحامي عن المرأة ويدافع عنها ويغضب لها عند مظلوميتها،

(١) مرآة الكسالى: ٢٧، الحضارة، في التعيينة

١٢٠ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

فما بان الرجال؟! وما تكليف المؤمنين لبقاء النساء، وهل يحق له أن يشتمها أو يؤذيها أو يجرح عواطفها وأحاسيسها المرهفة التي هي أرق من نسيم السحر ولطافة أوراق الزهور؟!

(عادل)

A decorative rectangular border with intricate floral and geometric patterns surrounds the central text.

المشترك بين الرجل والمرأة

فصل ١

الحذار الحذار

لا يخفى على ذوي اللب أنه يلزم التجنب عما يشين، وأي شين أكثر من أن الرجل يقع في حبال بعض ما يسمون بقرة عين أبي مرة، فينبغي لنا به الفطن أن يقي نفسه، ويكن على حذر دائم، وقد أمرنا بذلك.

١- قال سيد الفصحاء عليه أفضل التحيات والثناء: اتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر^(١).

٢- قال إبليس لنوح على نبينا وآله وعليه السلام: اذكرني في ثلاث مواطن، فأني أقرب ما أكون إلى العبد إذا كان في إحداهن: إذا ذكرني إذا غضبت، وإذا حكمت بين اثنين، وإذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحدان^(٢).

٣- أيضاً قوله لعنه الله لموسى عليه السلام: لا تـخلو بامرأة لا تحل لك، فأبأه

(١) درر الكلم: باب ما جاء بلفظ ثلاث

(٢) سفينة البحار: باب نساء بعدد اللام

١٢٤ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

لا يخلو رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي^(١).

٤- إن عيسى لقي إبليس، وهو يسوق خمسة أحمره، عليها أحمال، فسأله
عن الأحمال؟

فقال : تجارة أطلب لها مشتريهن .

فقال عليه السلام : وما هي التجارة؟

قال : إحداها الجور .

قال عليه السلام : ومن يشتريه؟

قال : السلاطين .

ثم ذكر الكبر والحسد والخيانة والكيد، وأنّ مشتريها الدهاقين والعلماء
والتجّار والنساء^(٢).

أقول : إنّ هذه الأربعة تخصّ الأربعة على الترتيب، ويشترك بعضهم مع
الآخر على بعض المواضيع، فمن هذا ظهر أنّ بينها وبينها عموم وخصوص من
وجه .

٥- كان إبليس لعنه الله يأتي الأنبياء عليهم السلام، ولم يكن لأحد منهم أشدّ أنساً
منه بيحيى بن زكريا، فسأله يحيى يوماً أن يعرض عليه مصائده وفخوخه التي
يصطاد بها بني آدم؟ فقال له إبليس : حباً وكرامة . وواعده لغد، فلما أصبح يحيى،

(١) سفينة البحار

(٢) سفينة البحار

قعد في بيته ينتظر الموعد. وأغلق عليه الباب إغلاقاً، فما شعر حتى ساواه من خوخة (كوة) كانت في بيته، فإذا وجهه صورة وجه الفرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً، وإذا أسنانه وفمه مشقوقاً طولاً عظيماً واحداً بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيدي، يدان في صدره، ويدان في منكبه، وإذا عراقبيه قوادمه، وأصابه خلفه، وعليه قباء، قد شدت وسطه بمنقطة، فيها خيوط معلقة بين أحمرٍ وأصفرٍ وأخضرٍ وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم، وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكُّلاب (قُلاب)، فلما تأمله يحيى عليه السلام قال له: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟

فقال (الملعون): هذه المجوسية، أنا الذي سنتتها وزينتها لهم.

فقال له: ما هذه الخيوط الألوان؟

قال لعنه الله: هذه جميع أصناع النساء، لا تزال المرأة تصنع الصنيع حتى يقع مع لونها فأفتن الناس بها.

فقال عليه السلام له: فما هذا الجرس الذي بيدك؟

قال لعنه الله: هذا مجمع كلِّ لذة، من طنبور وبربط ومعزقة وطبل وناي وحرناي، وإنَّ القوم ليجلسون على شراهم فلا يستلذونه، فأحرك الجرس في ما بينهم، فإذا سمعوا استخفهم الطرب، فمن بين من يرقص، ومن بين من يفرق أصابعه، ومن بين من شقَّ ثيابه.

فقال عليه السلام له: أي الأشياء أقر لعينيك؟

قال (اللعين): النساء فخوخي ومصائدي، فإني إذا اجتمعت عليّ دعوات الصالحين ولعناتهم، صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن.

فقال له يحيى (على نبينا وآله وعليه السلام): فما هذه البيضة التي على

رأسك ؟

قال (أبو مرة) لعنه الله : بها أتوفى دعوة المؤمنين .
قال عبيد الله : فما هذه الحديد التي أرى فيها ؟
قال لعنه الله : بهذه أقلب قلوب الصادقين .
نقلنا القصة بتامها لكثرة فائدتها ، فليحذر المؤمنون .

٦- عن أبي عبد الله ع في حديث . قال : قال رسول الله ﷺ : وتعودوا بالله من شرارهن ، وكونوا من خيارهن على حذر .

٧- قال أمير المؤمنين ع في خطبة له : فاتقوا شرار النساء ، وكونوا من خيارهن على حذر ، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر .

(*) أقول : الظاهر من روايات أمير المؤمنين ع التي تذر النساء - حسب التسع الإجمالي - أنها صدرت أيام واقعة الجمل ، ومن باب الكناية وإيحاء أعني واسمعي يا جارة ، كان أمير المؤمنين ع يحذر أصحابه من صاحبة الجمل ، كما في نهج البلاغة ، وأن النساء ناقصات العقول والإيمان والحظوظ .

(١) سفينة البحار

(٢) ذرائع السنن ، عن البحار ، كتاب الناس

(٣) نهج البلاغة : ١٢٩ ، الخطبة ٧٨

نعم، الأعم الأغلب على النساء وضيعتهن الأوليته على نحو الافتضائية
- كما ذكرنا سابقاً - إنما يميل إلى الفساد، فلولا تهذيب النفس والتربية والتعليم
فسرعان ما تقع المرأة في الهواية والانحطاط، والمفروض من العاقل أن يكون
حذراً دائماً من كل شرٍّ وشرير سواء المرأة أو الرجل . والله المستعان .
(عادل)

فصل ٢

الرجولة

ليس الرجولة من الرجل أن يكون ذو نحيين وشارب فقط، وإنما الرجولة أن تكون له فتوة وشهامة وهيبة وسخاء وشجاعة وبتية الصفات التي تدل على رجولة الرجل^(١)، فإن ملك هذه الصفات الحميدة والسجايا الطيبة فهو الرجل كل الرجل، وعندما يكون حصناً حصيناً لأهله، وهذا هو المطلوب.

١- عن النبي ﷺ: هيبة الرجل لزوجته تزيد في عفتها...^(٢).

(*) أقول: كما قال الله سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣)، ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٤)، ﴿رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾^(٥)، ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾^(٦)، فهؤلاء الرجال حقاً، وأما غيرهم فكما قال

(١) غوالي الدرر من كلام سيد نبشر: ١٦٥. حرف نهاء.

(٢) النور: ٣٧.

(٣) الأحزاب: ٢٣.

(٤) نوح: ٢٥.

(٥) توبة: ١٠٨.

أمير المؤمنين عليه السلام : « يا أشباه الرجال » وإن المؤمن عزيز بعزة الله ، وعليه هيبة الله ، فهو مهيب . وإن هيبته في عين زوجته تزيد في عفتها وحفظ كرامتها وشرفها ، وأما شبه الرجال فهيبته - إن كانت - فهي ظاهرة تزول عند الاختبار والامتحان كاللون المتغير الذي يزول بأدنى ماء أو نار أو ريح أو احتكاك أو عصر .

(عادل)

فصل ٣

الفروق

هناك فروق في الطبائع والأفكار والأعمال بين الرجال والنساء، فما يحسن منهن لا يحسن منهم. لذا قال سيّد الموحّدين أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام في القصار من كلماته :

١ - خيار خصال النساء، شرار خصال الرجال - وتمايز الحديث من سفينة البحار - الزهو، والجبن، والبخل، فإذا كانت المرأة ذات زهو لم تمكّن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرقت - أي خافت - من كل شيء، يعرض لها^(١).

٢ - ﴿ وَلَا تَمَتَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٢).

(١) درر الكلم : ما جاء بلفظ نساء .

(٢) النساء : ٣٢ .

٣- ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (١).

٤- عن أبي جعفر عليه الصلاة والسلام، قال في حديث: إن المرأة إذا كبرت ذهب [خير] شطريها، وبقي شرّها. ذهب جمالها، وعقم رحمها، واحتدّ لسانها. وإن الرجل إذا كبر ذهب شرّ شطريه، وبقي خيره، وثبت عقله، واستحکم رأيه، وقلّ جهله (٢).

٥- عليّ، عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبع بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كتب الله الجهاد على الرجال والنساء، فجهاد الرجل بذلّ ماله ونفسه حتّى يُقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته (٣).

٦- قال رسول الله ﷺ: غيرة الرجل إيمان، وغيرة المرأة كفر... (٤).

(١) النساء : ٣٤.

(٢) ذرائع البيان، عن ابن حبان.

(٣) النوافي ٣: ١١٤، الباب ١١٨ حقّ الزوج على امرأته، عن الكافي.

(٤) غوالي الدرر: ١٢٦، حرف العين.

فصل ٤

بلا اختيار

يقال : إن الإنسان مختار في حركاته وسكناته، وهو كذلك، وحيث ما تحرّكه إرادته ويدفعه شوقه فهو سائر نحوه.

ومع كلبية هذه القاعدة، نرى أن بعض اللوازم تحدده وتسلب منه الاختيار، فمثلاً: الملتزم بالشرع المقدس يسلب عنه اختيار الأكل في يوم شهر رمضان المبارك بلا عذر، وهذا لازم التدين، وهكذا في أكثر الأمور.

فعليه، ينبغي للعاقل أن يسلم زمامه بيد الشارع فيسلم، ويسعد في الدارين.

١ - حدّثنا أبي عليه السلام، قال : حدّثنا محمّد بن يحيى العطار، عن محمّد بن أحمد، عن أحمد بن محمّد، بإسناده رفعه إلى أبي عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أميران وليسا بأميرين : ليس لمن تبع جنازة أن يرجع حتّى تدفن أو يؤذن له . ورجل يحجّ مع امرأة، فليس له أن ينفر حتّى تقضي نسكها... وغيره.

(*) أقول : يبقى معها إلى أن تكمل مناسكها وحجّها، فيرجع معها كالأمّ التي تذهب مع ولدها، أو الزوجة التي تذهب مع زوجها، أو أيّ شخص رافق امرأة تحلّ عليه لأداء حجّها.
والمسألة المذكورة في الكتب الفقهيّة، فراجع.

(عادل)

فصل ٥

آخر الزمان

إنَّ لآخر الزمان علامات كثيرة، وقد ظهرت بعضها وسوف تظهر ما بقي منها، ويعجل الله تعالى في فرج وليه وابن أوليائه صاحب العصر والزمان إمامنا المنتظر الحجة الثاني عشر عليه السلام، ومن العلامات ما جاء في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري، وفيها رثة النساء على الرجال.

قال (أي جابر): دخلت على فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ ورأيت في يديها لوحاً أخضر، ظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس. فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله ﷺ، ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله [تعالى] إلى رسوله ﷺ، فيه اسم أبي ﷺ واسم بعلي عليه السلام واسم ابني عليه السلام، واسم الأوصياء من ولدي عليهم السلام، وأعطانيه أبي ليبشرنني بذلك. إلى أن قال جابر: فأشهد بالله هكذا رأيته في اللوح مكتوباً.

ففي الكتاب بعد الكلام مع النبي ﷺ، يُعدّد أسماء الأوصياء إلى أن يصل إلى بقية الله القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف، فيصفه بأنه رحمة للعالمين، عليه كمال موسى عليه السلام، وبهاء عيسى عليه السلام، وصبر أيوب عليه السلام.

ثم يقول الله عز وجل: فَيُذَلُّ أوليائي في زمانه، وتتهادى رؤوسهم

كما تتهادى رؤوس الشرك والذئب، فيقتلون ويُسحَرَفُونَ ويكونون خائفين
مرعوبين وجلين، تُصِغ الأَرْضُ بدمائهم.

وهنا يأتي دور النساء الصالحات اللاتي يواكبن ركب الرجال في المآسي
والآلام وانتظار الفرج القريب إن شاء الله تعالى.

يقول جلّ وعلا شأنه عنهن: ويفشوا الويل والرنة في نساتهم، أولئك
أوليائي حقاً... إلى آخره^(١).

فصل ٦

التشبه

أعاذ الله تعالى رجالنا من التشبه بالنساء، ونساءنا من التشبه بالرجال، فإنه سبب هلاك قوم لوط، وينبغي التنبيه عليه، سيما في هذا الزمان الذي حلّ فيه كلّ حرام، وفشا فيه كلّ فاحشة وفحشاء، فتعسّأ لمن اختلط مع أهل المنكرات، ومرحى بمن انفرد بالحسنات.

١ - عنه - أي البرقي - عن عليّ بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن محمّد، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وآله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، قال عليه السلام: وهم المختنون، واللاتي ينكح بعضهن بعضاً، وإتما أهلك الله قوم لوط حين عمل النساء مثل ما عمل الرجال، يأتي بعضهم بعضاً... (*)

(*) أقول: إتيان الرجال بالرجال (النواط) والنساء بالنساء والمسمّى بـ (المساحقة) من أعظم الذنوب وأكبر الفواحش وأخطر الجرائم الاجتماعية،

(١) المحاسن: ٨٦، عقاب من أمكن من نفسه يؤسى، تحديث ١٠٨.

فإنَّ فيهما الانحطاط الخلقِي وطباع النوع الإنساني وتفسي الأمور على النفسِيَّة والخلقيَّة والجسديَّة، وإنَّ خطر (الأبدن) يدق أجراسه في كلِّ العالم .
ومن عقوبة العاصي باللواط نفهم فباحة هذا العمل الشنيع وردَّ الله، فإِنَّه يُقتل أو يُحرق أو يُلقى من جبل شاهق ليكون عبرةً للآخرين ، و قطعاً لجدور الفساد في المجتمع الإنساني والإسلامي .

(عادِل)

فصل ٧

المعفوون

قد عفا الله تعالى عن بعض، فلم يوجب عليهم الأعمال الشاقّة كالجهاد وما أشبهه، ومن ثمّ أخذ أناس يتشبّهون بكلّ حشيش، ويضعون عن أنفسهم كلّ تكليف، ضنّاً منهم بأنّ الأعدار تدفع الواجبات، وإن كانت الأعدار غير واقعيّة! وما علموا أنّ المولى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنّ المقتضيات لا تُمنع بالأعدار، وعدم الموانع لا يمنع الاعتذار، فالتكليف موجود، والمكلف موعود، والعامل محمود، والتارك مردود، والمكابر مطرود، والعمل مشهود، والموقف محدود، والحاكم معبود، ولا حول ولا قوّة إلّا به. وقد قال جلّ وعلا ذكره:

١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٠١﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٠٢﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴿١٠٣﴾﴾

فصل ٨

الاتكال

لكل إنسان وظيفة، وينبغي للعاقل، بل لا بد له من تأدية وظيفته على أحسن ما يرام، وكل ما قام بالواجب الملقى عليه كان أكمل وأرزن وكان مجتمعه أوفق وأسعد، فعندها الحياة المريحة المستريحة.

وأما إذا تكاسل وتقاوس الإنسان عن واجبه فيذل في الحياة وليس له ولمجتمعه سوى الخذلان. فعند ذلك يكون الموت الوحي^(١) خير من العيش الشقي، فلا حياة ولا سعادة، بل مذلة وخمادة، فيعبث الغاشم ويظلم الحاكم ويجور الظالم لما يروونه من اتكال الشعب على غير ذوي اللياقة، وتصدي الأغيار لأعمال الأحرار، فيسدل الظلام ستاره، وتخط الأمة عشواء حندساً، فالويل لهم والتعاسة، وقد جاء في الحديث الشريف :

١ - قال ﷺ : إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها. وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نساءكم، فبطن الأرض خير لكم من

(١) الوحي : الشقي.

(*) أقول : لا يستهان بدور المرأة في القضايا الاجتماعية، وما يتعلّق بمصيرها ودولتها وحكومتها ووطنها وأسرتها ومجتمعها، فعلى كلّ حال هي نصف المجتمع ونها أدوار فعّالة في سعادته وشفائوته، فإنّها كما تكون عاملاً لترويج الفساد واستغلال نعمتها وأثوتتها وعفتها من قبل الاستكبار والاستعمار العالمي الغربي والشرقي، فكذلك تكون عاملاً لتحرير المجتمع من برائن الجهل والانحطاط الخلفي بجهادها وجهودها واشتراكها في أداء الوظائف المشتركة بينها وبين الرجل - كما قرّر ذلك الشارع المقدّس - فإنّها في إطار الشرع ومن خلال أداء الوظيفة الدينية والاجتماعية مع رعاية الحقوق والواجبات تسعى لسعادتها وسعادة أسرتها ومجتمعها، وتشارك الرجال في ميادين العمل الصالح والعلم النافع مع حفظ الشؤون ورعاية الحجاب والعفاف والعدالة الاجتماعية.

(عادل)

(١) تحف العنوق : ٢٦، خطبه تبيينه في حجة نوداع، ومنتخب المواعظ : ٤٠.

فصل ٩

التعدي

لا يجوز التعدي شرعاً وعقلاً على كلِّ أحد، حتّى الحيوان، وهو من أخسّ الطبائع - أجازنا الله تعالى - ومن الموارد التي يقبح التعدي فيها أكثر من غيره، هو التعدي على المرأة، فإنها مهما أوتيت من قوّة لا تتمكّن من صرع الرجل إن كان ذي شهامة ورأي، فعليه يجب أن لا يتعدّى عليها، وقد ورد النهي الشديد في الشرع المقدّس عن أذاها والتعدي على ناموسها خصوصاً.

١ - قال رسول الله صلّى الله عليه وآله الطاهرين : من قذف امرأة بالزنا خرج من حسناته، كما تخرج الحية من جلدها، وكُتِبَ له بكلِّ شعرة على بدنه ألف خطيئة^(١).

٢ - وعنه عليه السلام أيضاً، قال : إنّي أتعجب ممّن يضرب امرأته، وهو بالضرب أولى منها. لا تضربوا نساءكم بالخشب، فإنّه فيه القصاص... إلخ^(٢).

(١) سفينة البحار : باب النون بعده السن.

(*) أقول : لا يخفى أنه ورد في الشرع المقدس (الضرب) كما في قوله تعالى : ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ﴾^(١)، وذلك إن نشزت الزوجة وخرجت عن طاعة الزوج، فإنه في المرحلة الأولى لا بد من الوعظ والإرشاد والنصيحة سواء من قبل الزوج أو من غيره كعالمه البلد أو كبير الأسرة والشيخ الحكيم الطاعن في السن الذي عليه هيبة الصالحين، فإنه يقوم بإصلاح المرأة بوعظها وإرشادها وتذكيرها بآيات الله وستة نبيه ﷺ وأحاديث عترته الأطهار عليهم السلام وقصص العلماء وحكايات الناس ونقل التجارب وما شابه ذلك، وإن لم ينفع فحينئذ يأتي دور الهجران في المضاجع، فإن المرأة مهما يكن منها فإنها تشتت الرجل، وإن الأنثى لا تشع من الذكر - كما ورد في الخبر - وإن لم ينفع وتبقى المرأة في غيها وكبريائها الموهوم ولا ينفعها الزعل الليلي، فحينئذ يأتي دور الضرب، إلا أنه يضربها كما ضرب أيوب النبي زوجته وذلك بضغت ﴿ وَخَذُ بِيَدِكَ ضِغْتًا ﴾^(٢) وهو قبضة ريحان أو حشيش لا يوجب اسوداد الجسد أو احمراره عند ضربه، فيكون الضرب حينئذ مما لا يوجب القصاص أولاً، كما أنه فيه جانب التنبيه والاعتبار والتذكّر، وربما يؤخذ منه جانب الإهانة النفسية، بأن يقال : ضربها زوجها، وبهذا تتعظ وترجع إلى رشدها وعقلها فتتصرف بحكمة وتديب من دون أن تفصم عرى الأسرة، أو تهدم بنيانه الشامخ وصرحه الجميل وعشه الذهبي. أمّا

(١) النساء : ٣٤

(٢) ص : ٤٤

المشترك بين الرجل والمرأة / الفصل التاسع ١٤٣

الضرب بالخشب أو ما شابه، وحسب الصنفعة باليد على الخد الذي كان المفروض أن يقبله ويشمه، فهذا مما يوجب الذية والتقصاص في ما لو تغير لونه، وكيف بك إذا جرحت أو أخرج الدم أو كسر العظم فهنا الطامة الكبرى، وما الحكم إلا الإحسان والعفو أو القانون والعدل. راجع كتابنا (تربية الأسرة على ضوء القرآن والعنرة).

(عادل)

فصل ١٠

المآثم

المآثم - والعياذ بالله - كثيرة، لكنّها من الكلّي المشكك^(١)، فإنّ فيها الشدّة والضعف، فبعضها أهون، وتسمّى الصغائر، وبعضها أصعب، وتسمّى الكبائر، فالكيس كلّ الكيس يترك الكبائر، ويتجنّب - مهما أمكن - الصغائر، وإذا ترك رأس الخيط وفلت من يده لا سمح الله، فله الويل من الوقوع في حبال الشيطان وتسلّط النسوان.

١ - عن النبيّ ﷺ في حديث: وأيما رجل تتزّين امرأته وتخرج من باب دارها فهو ديوث، ولا يأنم من يسميه ديوثاً، والمرأة إذا خرجت من باب دارها متزينة متعطرة، والزوج بذلك راضٍ، يبنى لزوجها بكلّ قدم بيت في النار، فقصروا أجنحة نساءكم، ولا تطولوها، فإنّ في تقصير أجنحتها رضًى وسروراً ودخول الجنة بغير حساب، احفظوا وصيتي في أمر نساءكم حتّى تنجوا من شدّة الحساب، ومن لم يحفظ وصيتي فما أسوأ حاله بين يدي الله جلّ جلاله^(٢).

(١) سفيه البحار: باب الثون بعده السن.

٢- أيما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت منك خيراً قط، أو من وجهك خيراً، فقد هبط عملها. وأيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق، لم تقبل منها صلاة، حتى يرضى عنها. وإن خرجت من غير إذنه، لعنتها ملائكة السماء والأرض وملائكة الأرض، وملائكة الغضب، وملائكة الرحمة، حتى ترجع إلى بيتها...^(١)

(*) أقول: الكلّي المشكك من المصطلحات المنطقية والفلسفية. والكلّي ما لا يمتنع فرض صدقه على كثيرين، ويقابله الجزئي كالإنسان وزيد، فالإنسان كلّي يصدق على كثيرين.

ثمّ ينقسم الكلّي إلى متوازي ومشكك، والأول يتساوى فيه مصاديقه من حيث المفهوم كزيد وعمرو وبكر، فإنهم في مفهوم الإنسان وهو (حيوان ناطق) يتساوون، وأمّا الثاني فتختلف مراتبه بالشدة والضعف أو بالأولوية كالبياض فإنّ مصاديق الأبيض يختلف فمنها شديد البياض كالقطن ومنها دون ذلك، وكالنور فمنه شديد النور كالشمس ومنه الضعيف كنور الشمعة، وعند صدر المتألهين في الكلّي التشكيكي ما به الامتياز عين ما به الاشتراك، وما به الاشتراك عين ما به الامتياز، إنّما الاختلاف في المراتب في الشدة والضعف أو الأولوية أو التقدّم والتأخّر كوجود واجب الوجود لذاته وممكن الوجود

(١) ذرائع البيان، نقلاً عن التوسيد الكبرى لأنه الله تعظي سيّد أبي الحسن الموسوي

الإصفهاني، الأخلاق، الباب الثاني عشر، الصفحة ١٦

لذاته، والتفصيل يرجع فيه إلى كتب المنطق والفلسفة كالشفاء والأسفار.
 ثم المرأة إنما تتزين لزوجها، أما إذا تزينت لخارج البيت، فإنه يسلب منها
 الحياء أولاً، كما يلزم أن يكون زوجها لا غيره له على حرمة زوجته، فيكون
 ديوثاً، والديوثية من صفات الخنزير، وكما يقال إن الخنزير تعتمد عليه أُنثاه
 حين يفعل بها خنزير آخر، فلا غيره له، ومن أكل لحم الخنزير فإنه يصاب
 بالديوثية وعدم الغيرة، كما يتضح هذا في العالم الغربي والذي يأكل لحم
 الخنزير، فالمؤمن الغيور لا يرضى لزوجته أن تخرج من دارها متعطّرة
 ومترينة ينظر إليها الرجال ويشتمون رائحتها، فهذا ما يخالف الشريعة المقدّسة
 والفترة السليمة والعقل النير وحكومة العدل.

(عادل)

فصل ١١

المخالفة

أيها الرجال المسلمون: أتريدون أن تتعايشوا مع النساء كما يعلمكم الإسلام؟ هل تثقون بأن الإسلام العظيم الذي قرّره جبار السماوات والأرضين هو فوق ما تتصوّرون وتعتقلون؟ إن كنتم تريدون وتثقون؟ تعالوا معي نطالع، نطالع ونحفظ، نحفظ ونعمل، نعمل ونسعد، وهي الغاية القصوى.

١- كان النبي ﷺ إذا أراد الحرب، دعا نساءه فاستشارهن، ثم خالفهن^(١).

٢- من حديث لأمير المؤمنين ع: إن أمرنكم بالمعروف فخالقوهن، كيلا يطمعن منكم في المنكر^(٢).

٣- عن أبي جعفر عليه الصلاة والسلام، قال: لا تشاوروهن في النجوى، ولا تطيعوهن في ذي قرابة... إلخ^(٣).

(١) ذرائع البيان، عن بحار الأنوار ٢٣ : ٥٣، نقلًا عن مكارم الأخلاق.

(٢) سفينة البحار : باب النون بعدة السنين.

(٣) ذرائع البيان، عن البحار

٤- عن عمي عليه الصلاة والسلام في خلافهن بركة.

٥- قال رسول الله ﷺ : شاوروا النساء وخالفوهن، فإن خلافهن

بركة...^(١)

(*) أقول : المنفروض من القارئ الكريم عند مطالعته مثل هذه الأحاديث الشريفة أن لا يتناقم من النساء ويستهن بهن أو يحتقرهن - والعياذ بالله - بل هناك أحاديث أخرى كما ذكرها الوائد العلامة رحمته تشير إلى مكان المرأة وعظمتها ومنزلتها الرفيعة، وأنها نصف المجتمع، وتكمل نقص الرجل، كما أن الرجل يكملها، فكل واحد منهما فيهما النقص، فإن الكمال المطلق ومطلق الكمال لله سبحانه وأجب الوجود لذاته بذاته في ذاته، مستجمع لجميع صفات الجلال والجمال والكمال، وما دونه من الممكن فيه شائبة النقص، إذ أنه مركب من وجود وماهية، فيلزمه النقص مهما بلغ في الكمال والجمال، فالإنسان بشرطية الرجل والمرأة فيه النقصان، وقد خلق الله كل شيء زوجين وجعل أحدهما يكمل الآخر ويرفع نقص الآخر، وتنتهي الكثرة إلى الوحدة، والاثنتين إلى واحد، فمن أبرز صفات المرأة العاطفة، وبها تكمل نقص الرجل، حينئذ لو أراد الرجال أن يشاورون النساء فمن الطبيعي بحسب طبيعتها ستشير إلى ما فيه العاطفة الخالصة، وهذا يتنافى مع حكومة العقل الذي يضع الأشياء في مواضعها، كما في الحرب فإن مشورة النساء ستؤدي إلى أن تشير المرأة

(١) نفس المصدر

(٢) نوالى الدرر : ٩١، حرف النون.

إلى التفاعس والتخاذل وعدم الإقدام ومجابهة العدو، لأنها ترى اليتيم والأرملية وضياعها مع أولادها بعد الحرب وفقد زوجها، فعاطفتها تدعو إلى عدم خوض المعارك، ومن ثم بطبيعتها تشير إلى إيقاف الحرب أو ما شابه ذلك، ولمثل هذا يستشيرهم النبي الأكرم ﷺ ثم يخالفهن، وكذلك في الموارد الأخرى، أما في القضايا التي تتعلق بتربية الأسرة وأجواء البيت ومحيط العائلة، فالأفضل المشاورة مع كل أفراد العائلة حتى الصغار ذكورا وإناثا، كالوالد الذي يريد السفر مع عائلته، فالمفروض منه أن يستشيرهم ويشاركهم في معالم السفر ووظائفه وآدابه، فتكون المشاورة من خير الأسرة حتى مع الزوجة فإنها ربّة البيت، ولها دور بارز ومهمّ وفعال في روابط الأسرة وتربيتها وتمشية الأمور على ما يُرام، فمن أراد أن يهملها أو يخالفها في كل شيء، فإنه يلزمه ضياع الأسرة والقبل والقيل مما يوجب انهزام المعنويات وانحطاط الأخلاق وتضعيف الاستعدادات المكونة في نفوس أعضاء الأسرة، وربما ينتهي الأمر إلى الانفصال - والعياذ بالله - فالزوج العاقل والحكيم عليه أن يحكم قانون المشاورة في الأسرة في القضايا التي تخص كل العائلة، نعم، يبقى القرار النهائي والتصميم الأخير بيده، فإنه القوام عليهم ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(١)، فهو الذي يقوم بتنظيم حياة الأسرة بعد أخذ آرائهم ومعرفة الصواب في أقوالهم، بلا ديكتاتورية ولا تجبر ولا تكبر على الأولاد والزوجة، بل بكلّ رحمة ومودة ولطف وشفقة، وحينئذٍ مثل هذه الحياة يحكمها السعادة والعقل والعدل.

(عادل)

فصل ١٢

العِظَة

الموعظة أُسٌّ من أُسس الإسلام العظيم، بالموعظة يُقَاد الجاهل إلى شاطئ الخير والسلامة، بالموعظة تليق القلوب، الموعظة هي العمل الرئيسي للأنبياء وخلفائهم عليهم السلام، الموعظة هي البذرة التي إن زُرعت في أرض خصبة أنتجت النتائج الحسن وزيد منها الحسنات، الموعظة كتاب لا ينفد، ودستور لا يجمد، وقانون لا يُجحد.

فيا أيها الناس، كونوا وعظاًً أتقياء، واجعلوا نقطة الانطلاق أنفسكم لعلمكم ترحمون، ولا تنسوا الوعظ مع النساء، فإنهن أولى من سواهن، عسى أن يفيد.

١- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النساء، فقال: عظوهن بالمعروف قبل أن يأمرنكم بالمنكر... إلخ ^(١).

(١) ذرائع البيان : ٢١٦، نقلاً عن البحار : ٢٢ : ٥٢، من كتاب النيباس .

فصل ١٣

المنافع والمضارّ

لكلّ ما في الوجود منافع ومضارّ، وإنّ الفكر المستقيم يحوم حول المنافع، ويبعد عن المضارّ جهد الإمكان، ولا خير في الرجل إن عاش الحياة متعامياً، ولا يقصد موضع خطاه، فإنّه لعمرى أقرب إلى الشقاء منه إلى السعادة، وهذا كلّ ما يخافه الإسلام على المسلمين.

١ - قال ﷺ: ثلاثة أخافهنّ على أمتي من بعدي: الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة الفرج والبطن^(١).

٢ - أيضاً: ثلاثة حقّ على الله تعالى عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف.

٣ - أيضاً: حقّ على الله عون من نكح التماس العفاف عمّا حرّم الله تبارك وتعالى^(٢).

(١) غوالي الدرر من كلام سنّد البشر.

(٢) نفس المصدر: ٤٩، حرف الحاء

٤- حدَّثنا جعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنه ، قال : حدَّثنا الحسين بن محمد ابن عامر ، عن عمه عبد الله بن عامر ، قال : حدَّثنا أبو عامر ، قال : حدَّثنا أبو أحمد ابن محمد بن زياد الأزدي ، عن أبان بن عثمان الأحمر ، عن أبان بن تغل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : خمس خصال تورث البرص :

أ- النورة يوم الجمعة ويوم الأربعاء .

ب- والتوضي والاعتسال بالماء الذي يسخنه الشمس .

ج- والأكل على الجنابة .

د- وغشيان المرأة في أيام حيضها .

هـ- والأكل على الشبع...^(١)

٥- قال رسول الله ﷺ : تزوجوا ، فإن التزويج سنة رسول الله ﷺ ، فإنه كثيراً ما كان يقول : من كان يحب أن يتبع سنتي فليتزوج ، فإن من سنتي التزويج...^(٢)

(١) الخصال : ٢٢٠ ، باب الخسة ، لحديث ٩ .

(٢) المواعظ العديدة : ٢١٩ ، باب لأربعمائة .

الزوج

فصل ١

الغموم

لا بدّ للإنسان من الغمّ، بل وأكثر مرافق الحياة ممزوج بالهمّة والغمّ، لأنّها بنيت وأسست على الهموم والغموم، ولكن تختلف النسب بالنسبة إلى الأمور التي يغمّ لها الإنسان، فالذي ينبغي هو الاعتناء بأمور الآخرة أكثر، ولكن متى يمكن ذلك وكلنا ملوّث بالدنيا ومبتلى بالأهل والعيال، لذا ترى غمّها أكثر.

١- قال رسول الله ﷺ: غمّ العيال شرٌّ من النار...!!*

(*) أقول: الفرق بين الهمّ والغمّ، أنّ الغمّ يكون على ما مضى وما فات، والهمّة على ما يستقبل، لأنّ المستقبل مجهول فيه المرء عليه، أمّا من زهد في الدنيا، والزهد - كما مرّ - قد جمع في كلمتين: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(١)، كما ورد في الخبر: «لا تحزن على ما مضى، ولا تفرح بما أتى، واغتنم الساعة التي أنت فيها»، وحسب مثل هذا الزاهد

(١) غوالي الدرر: ١٢٥، حرف الغين.

(٢) الحديد: ٢٣.

يخلص من همتها وغمها ويبني له هم واحد، وهو هم الآخرة، وهذا مما يوجب كماله وتكامله.

نعم، الدنيا بما هي دنيا فيها الهمم والغمم، فإنها دار الامتحان والبلايا والمكارة، ولمثل هذا عندما سقط مولانا وسيدنا علي الأكبر سلام الله عليه في كربلاء شهيداً، قال سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام: «لقد استرحت من هم الدنيا وغمها، وبقي أبوك وحيداً فريداً»، فالدنيا فيها الهمم والغمم، ومن أكبر الهموم والغموم ما يتعلق بأقرب الناس إليه وهم العيال، وذلك من نواحي متعددة، حيث الأمور المالية والاقتصادية والقضايا التربوية والأخلاقية وغير ذلك، فربما يوجب الاضطراب في الحياة مما يجعل العيش جحيماً، ويشعر الإنسان كأنه في النار، ويحترق ألماً ومصيبة، حتى يرى أن غم العيال شر من النار - والعياذ بالله - والله المستعان.

(عادل)

فصل ٢

الخطبة

من المسلم أن على الزوج أن يتقدم بخطبة، وذلك حسب المتعارف بالنسبة للزمان والمكان والوضع والأوضاع، ولا ينبغي أن يتخلف إنسان من هذا الطرز في الخطبة، كما لا ينبغي أن يعمل سرّاً بينه وبين من يحبها، فإن فيها ما لا يصلح، وكم رأينا من تفاهات سرّية أدت إلى ما لا يمدح ذكره، ولا تستسيغ إفشاءه، وكلّ ذلك لا شيء سوى عدم المشي الصحيح، ولأجل اللقاءات الغير العلنية، فعلى الآباء والأمهات أن يراعوا هذا الجانب من حياة أولادهم وبناتهم، فإنّه أشدّ وأصعب وأزحم دور يجتازه الشباب، وما هو القرآن الكريم يعلمنا كلّ ذلك بإيجاز واختصار.

١- ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَدْرُكُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

فصل ٣

إرث الزوج

إنَّ الزوج يرث زوجته كما ترثه هي ، ولكلَّ فريضة مقدّرة من العليّ القدير على طبق مصالح العباد ، والفقه الإسلامي تكفل بيانه على طبق الشرع المقدّس ، ونحن أفردنا كتاباً في الإرث موسوم بمخطّط كتاب الإرث ، وهو شرح اللمعة الدمشقيّة للشهيد الأوّل رحمته .

١- قال المولى جلّ وعلا : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ ^(١) .

٢- قال العليّ القدير : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ ^(٢) .

(١) النساء : ١٢ .

(٢) النساء : ١٩ .

فصل ٤

العدل

إن من أجمل وأحسن وأكمل الصفات الإنسانية، هي صفة العدالة، فإنها من صفات المولى العليّ والأنبياء والأولياء والصلحاء والصدّيقين، وهي ملكة نفسانيّة ملكوتيّة، لا يملك زمامها إلا الأوحديّ من أرباب النفوس المهذّبة، وقد أرادها الله تعالى لهذا البشريّ يفوق بها على القدّوسيين والكرّوبيين، فيها يرتقى مدارج العليّ، وبها يطأ الإنسان أعلى مراتب السموّ، ويجلس على عرش إمارة الكائنات، بها يطاع الله تعالى حقّ إطاعته، ويصبح مشمولاً لحديث «عبيدي أطعني أجعلك مثلي (أو مثلي) تقول للشيء كن فيكون».

فأيّها الإنسان ريّض نفسك للعدالة، فبريضة النفس تنل ما يناله العارفون المخلصون، فينتهي بك والعدالة طوع أمرك، فالله جلّ شأنه خلق الاستعداد في النفوس ولم يتركها سدى، وهذا الاستعداد من أكبر النعم، فأياك أن تهمله، فإنك إن أهملته تشقى والعياذ بالله.

ومن العدالة أن تعدل بين النساء، فقد ذكرنا كتاب الله تعالى ذلك.

١- ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١٠٠﴾ وَإِنْ

يَتَفَرَّقُ يَعْزَمُ اِبْنُ كَلْبَةَ مِنْ سَعْتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٢٩﴾

(*) أقول : يقصد من العدل والعدالة تارة التساوي بين الاثنين ، فإن معنى العدل أن يكون كل طرف عدل لظرفه الآخر كطرفي الحمولة على الحيوان ، فلكي لا يعبل أحدهما ويستتظ لا بد من رعاية التساوي بين الطرفين ، ويقال : أحدهما عدل الآخر ، أي يساويه ، كما في حديث الثقلين الثابت عند الفريقين - السنة والشيعه - عن رسول الله ﷺ قائلاً : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فأحدهما عدل الآخر ، وبهذا نقول عنهما : القرآن الصامت والقرآن الناطق ، وكل ما في الصامت بالمطابقة هو في الناطق بالالتزام وكذلك العكس ، فكل ما في الناطق بالمطابقة هو في الصامت بالالتزام ، وإن ورد أن أحدهما أكبر من الآخر ، إلا أنهما في حقيقتهما وجوهريتهما بينهما التساوي والاعتدال .

وتارة يقصد من العدل بمعنى وضع الشيء في موضعه ، مثلاً : إذا كان عندنا قرصان من الخبز وعندنا جائعان أحدهما رجل كبير والآخر طفل صغير ، فليس من العدل أن نعطي لكل واحد منهما قرصاً من الخبز على نحو التساوي ، بل من العدل أن يعطى الكبير بمقدار بطنه ، كما يعطى للصغير بمقدار ما يشبع به . وأما بالنسبة إلى النساء : فمن جهة المأكل والملبس والمسكن تارة يقصد من العدل بينهما لمن كان عنده زوجات متعددة أن يساوي بينهما في الملابس

(١) النساء : ١٢٩ - ١٣٠

(٢) إذا أردت التفصيل فراجع شابتا في رحاب حديث الثقلين .

والمأكل وما شابه بأنه إذا اشترى لإحداهن ثوباً يشترى للأخرى أيضاً. وأخرى يقصد من العدل بينهن أن يتعامل معهن كلٌّ واحدة بحسب شأنها الاجتماعي فيضع الشيء في موضعه، فإذا تزوج بنت الفقير وبنت الغني الثري، فليس من العدل أن يلبسهما بشكل واحد، ومثل معرفة هذه العدالة صعب مستصعب، كما أن من العدل أن يساوي بين حبهما في من كان متزوجاً من امرأتين، وهذا ممّا لا يستطيع عليه الرجل، فإنّه بلا شك سيميل في حبه إلى إحداهما أكثر من الأخرى، فلن يستطيع الزوج أن يعدل بينهما في محبة القلب، وحينئذٍ عليه أن لا يميل كل الميل إلى إحداهما ويهمل الأخرى، بل يراعي العدالة وإن لم يتمكن فواحدة، ولمثل هذا يقال بصعوبة التعدّد في الزوجات لا سيّما في عصرنا الحاضر، فلا تورّط نفسك واستقم كما أمرت، وعليك بالعدل.

(عادل)

فصل ٥

ماذا نختار ؟

الإنسان مختار في كل ما يرى من الأمور، فيتمكن من اقتناء الطيب كما يتمكن من اختيار الرديء، ولكن الكيس الفطن العاقل لا يختار إلا الطيب الممتاز مهما كلفه ذلك، لأن الخير كله في الطيب الجيد، والرديء لا يخرج منه إلا النكد، والنكد غير قابل للتتيم.

فعلى الإنسان أن يختار الطيب من كل شيء، لا سيما النساء، فالطيبات منهن نعمة من نعم الله تعالى، والخبيثات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

١- النبوي ﷺ : لا تزوجن شهرة - أي الزرقاء البذيئة - ولا لهبرة - أي الطويلة المهزولة - ولا نهرة - أي القصيرة الذميمة - ولا هيدرة - أي العجوز المدبرة - ولا لفتاً - أي ذات الولد من غيرك - ... إلخ^(١).

٢- أيضاً قال ﷺ : إياكم وخضراء الدمن، سئل ﷺ : ما هي؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء^(٢).

(١) الخصال - ٢٥٨، باب الخمسة. الحديث ٩٨ سفينة البحار : باب النون بعده السين.

(٢) نفس المصدر.

٣- أيضاً، عن أبي يعفور، عن الصادق عليه السلام، قال : قلت له : إني أريد أن أتزوج امرأة، وأبوي أراد غيرها ؟ قال عليه السلام : تزوج التي هويت، ودع التي هوى أبواك...^(١).

٤- أيضاً، النبوي : اختاروا لنطفكم، فإن الخال أحد الضجيعين، وتزوجوا الزرق فإن فيهن يمناً، وإذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها، كما يسأل عن وجهها، فإن الشعر أحد الجمالين...^(٢).

٥- أيضاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام : عليكم بالبكر وإن بارت، والجادة وإن دارت، وبالمدينة وإن جارت...^(٣).

٦- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تخيروا لنطفكم، فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن...^(٤).

٧- أيضاً، قال عليه السلام : تزوجوا النساء، فإنهن يأتين بالمال - أي الزواج

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) غوالي الدرر : ٢٢، حرف نساء، الحديث ١٣.

١٦٤ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

يكون سبباً لازدياد المال والرزق والبركة... (١٣)

٨- قال الصادق عليه السلام : النساء ثلاث : فواحدة لك ، وواحدة لك وعليك ، وواحدة عليك لا لك ... فأما التي لك فالمرأة العذراء ... وأما التي لك وعليك فالتيب ... وأما التي هي عليك ، فهي التبع التي لها ولد من غيرك ... (١٤)

٩- تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثركم الأنبياء ... (١٥)

١٠- تزوج ، وإلا فأنت من إخوان الشياطين ... (١٦)

١١- تزوجوا للرزق ، فإن التزويج بركة ... (١٧) (*)

(*) أقول : لقد ذكرت في كتاب (تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتره) فصلاً تتعلّق بهذا الفصل ، فمنها (بواعث الزواج في السنّة الشريفه) استخرجتها من الروايات ، وهي : التوحيد والتقوى والبناء المحبوب لله وإحياء سنّة النبي

(١) نفس المصدر .

(٢) البحار : باب النون بعده السين .

(٣) غوالي الدرر : ٢٣ ، حرف ناء ، الحديث ١٧

(٤) نفس المصدر .

(٥) المصدر السابق

وزيادة الرزق وزيادة الإيمان والتكاثر وزيادة العبادة والصيانة وصلته الرحم والتدين والأنس. وفي فصل آخر بعنوان (النساء الفاضلات) أصبحهنّ وجهاً وأقلهنّ مهراً وقلّة المؤونة وتيسير الولادة، ثمّ أصناف النساء في أخلاقهنّ المحمودة، ثمّ ذكرت نساء السوء. وفي فصل آخر بعنوان (الكفاءة في الزواج). وفي آخر (الرضا شرط في الزواج) وفي آخر (الزواج المبكّر) وفي آخر (العوامل التربويّة والوراثيّة والكوينيّة في الزواج) العرق والقمصر في العقرب والمحيط والبيئة. وفي آخر (بواعث الزواج وأهدافه في الإسلام) التكامل في الزواج. وغير ذلك من المباحث التي تتعلّق بالزواج وبالزوجين في خصائصهما وفي حياتهما المشتركة، فراجع.

(عادل)

فصل ٦

سماح

إن الله تبارك وتعالى سامح العباد في أشياء، حيث لا يحاسب عليها ذلك الحساب العسير، وبالجملة أعطى الحق لعبده أن يتمتع نوعاً ما بملككم الأشياء، هذا كله منوط ومشترط بأن يكون بطريق مشروع عينه المولى عزّ وعلا، لا أنه يفعل العبد ما يشاء حتى في الأمور المباحة من دون أن يتعين المقدار والحدّ من الشارع المقدّس:

﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ ﴾ (١)

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۖ ﴾ (٢)

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۖ ﴾ (٣)

فعليه، لا يمكن التخلّي عن القيود الشرعيّة كلياً، وإنّ ما سامحه الشرع فهو المسموح لا يُتعدّى منه قيد شعرة، ولا يضاف عليه مقدار ذرّة، وممّا لا يحاسب

(١) الطلاق : ٣

(٢) الرعد : ٨

(٣) القمر : ٤٩

الله تعالى عليها المؤمن هو ما جاء في الأخبار والروايات.

١- حدثنا محمد بن الحسن رضي الله عنه، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن

يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن علي، عن ابن زياد، عن الحلبي، قال: قال:

أبو عبد الله عليه الصلاة والسلام: ثلاثة أشياء لا يحاسب الله عليها المؤمن:

١- طعام يأكله.

٢- وثوب يلبسه.

٣- وزوجة سالحة تعاونه وتحصن فرجه... الخ.

فصل ٧

طاعة النساء

إنَّ في طاعة النساء أضراراً ومفاسد، يبتئها عليها الكتاب والسنة، من أقوال وأفعال نبينا ﷺ، وأقوال وأفعال أئمتنا عليهما السلام، وكذا العلماء والحكماء.

١- وممَّا جاء في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: ثلاث مهلكات: طاعة النساء^(١)، وطاعة الغضب، وطاعة الشهوة^(٢).

٢- طاعة النساء غاية الجهل^(٣).

٣- قال أمير المؤمنين عليه السلام: معاشر الناس، لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذرهن يدرن أمر العيال، فإنهن إن تركن وما أردن، أوردن المهالك، وعدون أمر المالك... إلخ^(٤).

(١) درر الكلم، بلفظ ثلاث

(٢) نفس المصدر: ما جاء بلفظ طاعة.

(٣) سفينة البحار: باب النون بعده السين.

٤- قال عليه السلام : ثلاث من كنّ فيه فقد خسر خسرانا مبينا : طاعة الغضب ، وطاعة النفس في الشهوة ، وطاعة النساء...^(١)

٥- طاعة النساء جهل ... طاعة المرأة ندامة...^(٢)

٦- عن أبي عبد الله ، عن آيائه ، عليه وعلى آيائه وأبنائه الصلاة والسلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : من أطاع امرأته أكبه الله على وجهه في النار...^(٣)

٧- في ما أوصى به النبي ﷺ : يا علي ، من أطاع امرأته أكبه الله [تعالي] على وجهه في النار...^(٤)

٨- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، عن آيائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : من أطاع امرأته أكبه الله على وجهه في النار.

قيل : وما تلك الطاعة ؟

قال عليه السلام : تطلب إليه الذهاب إلى العرسات ، والعيدان ، والمناسبات ،

(١) غوالي الدرر من كلام سيّد البشر : ٣٥ ، حرف التاء .

(٢) نفس المصدر : ١٠٧ ، حرف الطاء .

(٣) ذرائع البيان : ٢١٦ ، من البحار : ٢٣ : ٥٦ .

(٤) البحار : ٣٥ ، نقلاً عن الخصال .

٩ - حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الشَّاهِ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو يَزِيدَ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ الْخَالِدِيِّ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحِ التَّمِيمِيِّ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مُحَمَّدِ أَبُو مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ : يَا عَلِيُّ، مَنْ أَطَاعَ أَمْرَانَهُ أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ، فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَمَا تِلْكَ الطَّاعَةُ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا ذَنْ لَهَا فِي الذَّهَابِ إِلَى الْحَمَامَاتِ، وَالْعَرَسَاتِ، وَالنِّيَاحَاتِ، وَلِبَسِ الثِّيَابِ الرَّقَاقِ... (٢١).

١٠ - حَدَّثَنَا أَبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْرُوفٍ، عَنْ أَبِي هَمَّامِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ : مَنْ أَطَاعَ أَمْرَانَهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ، أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ. قِيلَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِي الثِّيَابِ الرَّقَاقِ، وَالْحَمَامَاتِ، وَالْعَرَسَاتِ، وَالنِّيَاحَاتِ... (٢٢).

(١) البحار ٢٣ : ٥٣.

(٢) الخصال : ١٥٦، باب الأربعة، الحديث ٢.

(٣) الخصال : ١٥٧، باب الأربعة، الحديث ٣.

(*) أقول : مثل هذه الروايات في أوّل وهلة من مظانعتها توحى إلى القارئ الكريم إساءة الظنّ بالنساء والتفاقم منهنّ ، والخوف من بطشهنّ ومكرهنّ ، وإنّه لا بدّ من مخالفتهنّ على كلّ حال ولو أدّى ذلك إلى تخريب العرش الذهبي وتهديم بنيان الأسرة ، والحال ليس الأمر كما يتصوّر قطعاً ، فإنّ الإسلام دين المحبّة والموادّة ، والصفاء والتّلامح والتّلاحم والتّفاهم ، والاحترام المتقابل ، وأداء الواجبات ، وحفظ الحقوق ، ورعاية الآداب وحكومة العدل والإحسان والأخلاق الطيّبة ، لا سيّما في الحياة الزوجيّة المشتركة ، فإنّ المدينة الفاضلة في الإسلام وفي ظلّ تعاليمه المقدّسة ، وقد أكرم المرأة غاية الإكرام ، وأخرجها من حضيض الجهل والظلم بها والاعتداء عليها ، وسماها إلى أوج الكرامة والرفعة والمقام المحمود ، فشاركت الرجال في الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح والتقوى والولاية الإلهيّة العظمى .

صحيح أنّه أغلق عليها باب النبوّة والإمامة فلا تكون نبيّة ولا إماماً ، إلاّ أنّه فتح لها أبواب الولاية ، فأنتها بتقواها تصل إلى قاب قوسين أو أدنى من ولاية الله سبحانه ، فتكون وليّةً من أولياء الله ، لا يضع الله عملها ، ويستجاب دعاؤها ، وتخدمها الملائكة وحوار العين والولدان المخلدون ، وتقول للشيء كن فيكون ، فتطيعها الكائنات في إرادتها ، فكيف لا يطيعها زوجها ، فلا يمتاز الرجل عليها في هذه المقامات الربانيّة التي توجب السعادة بدخولها الجنّة ، وأمّا الذين سعدوا - من الرجال والنساء - ففي الجنّة هم فيها خالدون .

ولا يخفى أنّ الله عزّ وجلّ جعل بين الزوجين الموادّة والرحمة بجعل

نكويي، والمودة غير السحيبة، فإنها تزيد على المحبة بالطاعة، فإن المودة بمعنى الحب المقترن بالطاعة، ولهذا كان أجر الرسالة المحمدية المودة في القربى ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (١١)، أي حب العترة الطاهرة الأئمة المعصومين عليهم السلام وإطاعتهم، فإن الحب لا يكفي بل لا بد أن يقترن بالطاعة والاعتقاد بأنهم أئمة مفروضو الطاعة، فيجب إطاعتهم عقلاً وشرعاً، فالمودة بين الزوجين هو الحب مع طاعة أحدهما للآخر، إلا أنه خرج بالدليل أن الواجب على الزوجة أن تطيع زوجها لا سيما في طلب الفراش إلا في الأيام التي حرّمها الله كأيام الحيض، وأمّا الزوج فقد سقط عنه إطاعة زوجته، فلا يطيعها، بل عليه المودة الحب مع الرحمة والإحسان والعطف والشفقة والحنان.

ثم كل شيء إذا جاوز حده انقلب إلى ضده، فلا بد من تلبية الشهوة بالمقدار المطلوب شرعاً وطبيعيةً، فإن زاد وأطاع شهوته على كل حال، فإن شهوته استدعوه إلى الحرام، وبلا شك مثل هذه الإطاعة تستوجب الهلاك والنار، وكذلك إطاعة الغضب، وفي رديفهما إطاعة الزوجة، فإذا أراد أن يطيعها على كل حال فلها رغبات وشهوات - كالذهاب إلى الأعراس التي فيها الحرام كشرب الخمر أو الرقص المختلط أو الأغاني والموسيقى المحرّمة - مما يؤدي إلى الهلاك، فلا يطيعها حينئذٍ على كل حال، ولكن هذا لا يعني أن يخالفها على كل حال وفي كل شيء أيضاً، بل لها مطالبات شرعية وقانونية

وطبيعته لا بد أن يستجيب لها حتى يته الفاهم والاحترام المتبادل بينهما،
فيسعد كل واحد بالآخر، وهذا من الشقوى، وكما ورد: «زَوْجُوا بِنَاتِكُمْ
الْمُتَّقِي، فَإِنَّهُ إِنْ أَحَبَّهَا أَكْرَمَهَا، وَإِنْ أَبْغَضَهَا لَمْ يَظْلَمَهَا»، وعلى كل حال تكون
زوجة المتقي سعيدة به، فإنه يراعي شعورها وعواطفها وأحاسيسها ولطافتها،
وهذا من حكومة العدل، فتدبر.

(عادل)

فصل ٨

الاحتساب

كثيراً ما لا يجد الإنسان بدءاً إلا أن يحتسب ما يعاينيه عند الله، وإن لم يتخذ هذا المسلك قد يقع في هوة لا ينجيه منها سوى المولى جلّ وعلا، فلا ملجأ ولا منجى سوى الصبر والاحتساب، وأما المكارة التي تواجه الإنسان فهي كثيرة وكثيرة جداً، لأن الدنيا دار محفوفة بالمكارة، ولكنها تختلف بالصغر والكبر والشدة والضعف، وأكبرها وأشدّها - بشهادة كل الرجال - هو سوء خلق المرأة^(*) - أعادنا الله وإياكم منه بمحمد وآله الطاهرين - فمن صبر عليه واحتسب فقد وقع أجره على الله، ومن لم يصبر فساعدته الله تعالى وألهمه الصبر والسلوان.

١ - قال رسول الله ﷺ: من صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر أعطاه الله تعالى ثواب الشاكرين...^(١).

(*) أقول: من سعادة المرء أن تكون له زوجة صالحة حسنة الأخلاق تعينه على أمر دينه ودنياه وآخرته، ومن باب المقابلة: من شقاوة المرء أن تكون له

(١) الأخلاق: ١١٩، الباب الثاني عشر

زوجة بذيئة سيئة الأخلاق تشبذ عزيمته في أمور دينه وأخلاقه ودينه، ومثل هذه والعيش معها يحتاج إلى صبر أيوب إذا أراد أن يستمر معها في الحياة، وقد ورد في ذيل الآية الشريفة - كما في تفسير السيد شبّر - في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) إن الحسنه في الدنيا المرأة الصالحة، وعذاب النار المرأة سيئة الأخلاق، فمن كان مبتلى بامرأة سيئة الأخلاق، فربما يكون سبباً لتكامله وذلك إذا صبر عليها، وكما قال نوح النبي ﷺ لما ابتلاه الله بامرأة سيئة: «إِنَّ عَدُوَّ تَحْتَ يَدِي خَيْرٌ مِنْ عَدُوِّ فَوْقَ يَدِي»، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَبْتَلَى بِالْعَدُوِّ، فَمَنْ الْجَمِيلُ حِينَئِذٍ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ سَيْطَرَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَيَدَهُ. فَمَنْ صَبَرَ عَلَى امْرَأَتِهِ السَّيِّئَةِ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ فَإِنَّهُ يُجْزَى بِأَجْرِ الشَّاكِرِينَ، جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، فَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ.

(عادل)

فصل ٩

حق الزوج

إن الإسلام العظيم دين الحق والحقوق، فمن الحقوق، حقّ الزوج على الزوجة، كما أنّ هناك حقّ للزوجة على الزوج، وإنّ حقّهما على الآخر كثير وكثير جداً بحيث لو تهاون أحدهم أقلّ القليل لخسرت صفقته، ولكن من الجدير بالذكر أنّهما يتوافقان على ما هما عليه، فكلّ يراعي صاحبه، ويغضّ النظر عن بعض حقوقه، وبذلك تتلائم معيشتهم، ويصفوا عيشتهم، ويقضوا الحياة الهادئة الهانئة إلى ما شاء الله تعالى. وممّا جاء عن النبي ﷺ في حجة الوداع، ما يلي:

١- قال ﷺ: أيها الناس - إلى أن قال - : ولكم عليهن حقاً، حقّكم عليهن أن لا يوطئن أحداً فرشكم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، وآلاياتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله فدأذن لكم أن تعضوهنّ وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح - إلى آخره -... (١).

٢- حدّثنا أبي ﷺ، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى،

(١) بحف العنبر : ٢٤، خطته بئمة في حجة الوداع

عن القاسم بن يحيى ، عن جدّه ، عن يعنوب الجعفرى ، قال : سمعت أبا الحسن عليه الصلاة والسلام يقول : لا بأس بالعزل ^(١) في ستّة وجوه :

أ- المرأة التي أيقنت أنّها لا تلد .

ب- والمسنة .

ج- والمرأة السليطة .

د- والبديئة .

هـ- والمرأة التي لا ترضع ولدها .

و- والأمة... ^(١) .

٣- عن عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله ﷺ ، أيّ الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال ﷺ : زوجها... ^(٢) (**).

(*) أقول : المقصود من العزل أن يعزل الرجل منيّه عن زوجته ، فلا يلقيه داخل الفرج ، وبما أنّ الأخلاق يرثها الطفل من أمّه وأنّ العرق دسّاس فالمرأة السليطة والبديئة من جهة خلقها السيء ستؤثّر ولو على نحو الاقتضاء والعلّة الناقصة في خلق جنينها وطفلها ، ولما كان الوالد لا يريد ذلك فمن حقّه أن يعزل منيّه عنها ، حتّى لا تحبل وتلد سيء الأخلاق .

(**) أقول : لقد ذكرت بالتفصيل حقوق الزوجين المختصّة بكلّ واحد منهما

(١) الخصال : ٢٦٨ . أبواب الستّة . الحديث ٢٢ .

(٢) ذرائع البيان : ١٩٧ . الآفة الثامنة . نقله عن المستدرک للحاكم .

والمشتركة بينهما، إلا أن هذه الحقوق منها شرعية ومنها أخلاقية، كما أنه أينما يكون الحق يكون الواجب أيضاً، فمن كان له حق فعليه واجب، فإذا كان للزوج على زوجته حقاً، فعليه في فيال ذلك الحق واجباً أيضاً، فمن يطالب بالحقوق عليه أن يراعي ما وجب عليه أيضاً، وهذا أمر مهم في الحياة الحقوقية، والأولى بين الزوجين أن تكون حياتهما حياة الحب والعشق ومكارم الأخلاق، وأن يسعى كل واحد أن يقدم هوى صاحبه على هوى نفسه، لا أن يطالبه بالحقوق حتى يطالبه الآخر بالواجبات، ولكن مع هذا رعاية للحقوق والواجبات ذكرت حقوقهما من خلال الآيات والروايات ومن أهمها :

الحقوق المختصة بالزوج : الإطاعة الخالصة، والإذن في التصرف وفي الأعمال، والرفق بالزوج، والاهتمام بداخل الدار ولوازم البيت، والاهتمام بأداء الحقوق، والجماع، والتزيين، وعفة الكلام، وغير ذلك.

وأما الحقوق المختصة بالزوجة، فمنها : غفران الخطايا، والعفو، والسماح، وتحمل الأذى، والإنفاق، والسعة، والحنان، وعدم الظلم، وعدم الضرب المبرح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصيانة، والإحسان، والمدارة المطلقة، وحسن السميت والصورة.

وأما الحقوق المشتركة بينهما، فمنها : الصبر وعدم الظلم وترك الأذى وغير ذلك. فراجع لتقرأ تفصيل كل عنوان وأحاديثه الشريفة.

(عادل)

فصل ١٠

التوصية

بما أنّ المرأة ضعيفة^(*)، ضعيفة في القوى والعقل والنفس والإيمان والإرادة والحظّ، ضعيفة في كلّ ذلك، وممّا يزيد في الخطب أنّها لا تدري أو تتجاهل ذلك، لذا يوصينا ساداتنا صلوات الله عليهم أجمعين بها خيراً، كي لا يؤثّر علينا أذاها من نقصها، فنكون بصدد التقاصر منها، فننظر إليها بعين العطف والعنوّ، ونتوكّل على الله.

١- في الخبر عن سيّد البشر ﷺ، كما قاله صاحب الوسيلة الكبرى آية الله العظمى السيّد أبو الحسن الإصفهاني: أوصاني جبرئيل بالمرأة، حتّى ظننت أنّ لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة ميّنة، وعيال الرجل أسراؤه، وأحبّ العباد إلى الله تعالى أحسنهم صنعاً إلى أسرائه... إلخ.

(*) أقول: إذا كانت المرأة ضعيفة، فإنّ الرجل كذلك خلق ضعيفاً، لأنّ الإنسان بما هو إنسان - أعمّ من الرجل أو المرأة - خلق ضعيفاً كما في قوله تعالى:

(١) ذرائع البيان: ١١٩، الأخلاق، الباب الثاني عشر، مع اختلاف سير

﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾^١ . ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾^٢ .
فالرجل خلق ضعيفاً كما خلقت المرأة ضعيفة، إلا أن للمرأة قوّة في مجالات من الحياة كما مرّ، فإنها تزيد على قوّة الرجال عشرين، كذلك للرجل قوّة في مجالات أخرى من الحياة، وكلّ واحد يكمل الآخر في قوّته، وفي المجالات التي تحددها الظروف والبيئة والمعيشة.

نعم، يبقى أن المرأة لنعومتها وجنسها اللطيف وعواطفها المرفهة سرعان ما تتأثر ويظهر ضعفها للعيان، فما أن ترى بكاء اليتيمة ودموعها الساخنة إلا وتنحدر دموعها من عينيها، والرجل لقوّة قلبه ولإدارة الأمور وتوليه شؤون اليتيم واليتيمة يكفّ عن الدموع، ويتولّى أمرهما في معيشتهما، وحينئذ يرى الرجل ضعف المرأة، وترى المرأة قوّة الربط والجأش من الرجل، فيكون الرجل بعينها قوياً، كما تكون المرأة بعينه ضعيفة، فيكون الضعف والقوّة من الأمور النسبية أولاً، والاعتباريّة في بعض الموارد ثانياً، ويبقى الإنسان في أصل خلقته مخلوقاً ضعيفاً، لا حول ولا قوّة له إلا بالله جلّ جلاله.

(عادل)

(١) النساء : ٢٨ .

(٢) الروم : ٥٤ .

الزوجة

فصل ١

ما يمنع على الزوجة

كما أوجب الله تعالى على الرجل أشياء يجب أن يقوم بها تجاه الزوجة كالنفقة وما أشبهه، كذلك منعه من أمور لا ينبغي أن يقوم بها ويجعلها على حساب الزوجة، كأعطاء الحقوق الشرعية مثلاً، من الزكوات وغيرها.

١- حدّثنا محمّد بن الحسن رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطار، عن محمّد بن أحمد، عن أبي إسحاق إبراهيم بن هاشم، عن أبي طالب عبد الله بن الصلت القمي، عن عدّة من أصحابنا، يرفعونه إلى أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال: خمسة لا يعطون من الزكاة:

أ- الولد.

ب- الوالدان.

ج- المرأة.

د- المملوك؛ لأنّه يجبر [الرجل] على النفقة عليهم...^(١)

بيان: لا يفوت عليك أنّ العدد أربعة، لأنّ الوالدين اثنان، فيكون المجموع

(١) الخصال: ٢٣٥، باب الخمسة، الحدّث ٥٥

(*) أقول : إنما لا يعطي الزكاة أو الخمس من الزوج للزوجة ، إذ أنها واجبة النفقة عليه .

نعم ، يجوز إعطاءهما للزوجة في ما إذا كان عليها دين ، إذ وفاء الدين ليس من المؤمن التي يجب على الزوج أن يتكفل بها ، فيجوز حينئذٍ للزوجة أن تشتري شيئاً بدين ثم تأخذ من زكاة أو خمس زوجها لأداء دينها ، كما يفعله بعض من يبحث عن الحيل الشرعية ، وإن كان الأولى الاجتناب عنها إلا في مقام الضرورة .

(عادل)

فصل ٢

العفة

من أهم ما تزين المرأة، هي عفتها، وهي الرأسمال العظيم الذي لا ينفذ ما دامت التقوى لباسها، وما دامت تؤمن بأنها الجوهرة الثمينة إن حافظت على نفسها، وعرفت واجبها وما يراد منها، فقد ذكرها ربها جلّ وعلا تقديراً لإحصانها وحياتها، وليت علمن النساء ما يزيد في جلالهن وجمالهن.

١ - جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (١).

٢ - حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمته الله، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن عبد الجبار، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن الحسن بن علي بن رباط، عن أبي بكر الحضرمي، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: يزوا آباءكم يبرّكم أبناءكم، وعفوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم... (٢) (*).

(١) التحريم: ١٢.

(٢) الخصال: ٤٤، باب الاثنين.

٣- قال العزيز عزّ شأنه : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

اللهُ ﴾ (١)

(*) أقول : لا تنحصر العفة ورعايتها بالنساء فقط ، بل هي من الملكات الراسخة والأخلاق الفاضلة التي يبحث عنها علماء الأخلاق والعرفان . فإنها الحدّ الوسط في القوّة الشهوانيّة - راجع في تفصيل ذلك جامع السعادات للمحقّق النراقي رحمته الله ، المجلّد الأوّل - فلا بدّ للرجل من رعاية العفة أيضاً ، بأن يكون عفيفاً في حركاته وسكناته ، في كلامه ونظره وبطنه وعورته ، وفي كلّ مجالات الحياة التي تسودها العدالة .

(عادل)

فصل ٣

حقّ الزوجة

لا توجد صغيرة ولا كبيرة إلا ويشملها ترصيف وتنسيق الإسلام، لأنه لا يهمل شيئاً في الحياة، ومن أهمّ الأشياء عنده الحقوق، فالحقوق بمثابة الحجر الأساسيّ فيه، ومن أهمّ الحقوق هو ما يتعلق بالحياة الزوجية، فهناك حقوق للزوج، وهنا حقوق للزوجة، وهكذا.

١- قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: أيها الناس، إنّ لسائكم عليكم حقاً - إلى أن قال - فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكتاب الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً.

٢- يقول عزّ من قائل: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۗ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ

١٨٨ الحسنان : الرجل والمرأة في الميزان

وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

٣- وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣١﴾

٤- وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٣١﴾

٥- وقال جلّت عظمته: ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٤١﴾

٦- وقال عظم شأنه: ﴿ وَابْتُلُوا النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ

(١) النساء : ٢٤ - ٢٥ .

(٢) النساء : ٣٢ .

(٣) النساء : ٤١ .

(٤) النساء : ٥١ .

غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَبِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٢١﴾

٧- وقال المولى القدير : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ ﴿٢١﴾

٨- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذَّبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٣١﴾

٩- ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ ﴿٤﴾

(١) النساء : ٦ .

(٢) النساء : ٢٠ .

(٣) النساء : ١٩ .

(٤) النساء : ١٢٧ .

فصل ٤

إرث الزوجة

الزوجة التي هي شريكة حياة الرجل ، تشاركه في السراء والضراء وحين البأس ، لها من الحقوق ما تتعلق بعد لموت . منها أنها ترثه الفريضة المقدرة في الكتاب الكريم من المولى العظيم جلّت عظمته .

١ - قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ (١)

فصل ٥

شؤم الزوجة

إنَّ الزوجات في بعضهن الشؤم والعياذ بالله، وفي بعضهن اليمن، فينبغي لمن يروم التزويج أن يتوسل إلى الله تعالى ليختار له ذات اليمن، ويبعده عن الشؤم، ولو ابتلى العبد بها - لا سمح الله - فإنَّ حياته تنقلب إلى انتحار تدريجي، أجاز الله تعالى المؤمنين، وأنجاهم من شرِّ إبليس اللعين.

١ - حدَّثنا محمد بن علي ماجيلويه، قال: حدَّثنا محمد بن يحيى العطار، عن سهل بن زياد الأدمي، قال: حدَّثني عثمان بن عيسى، عن خالد بن نجیح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: تذكروا الشؤم عنده، فقال عليه السلام: الشؤم في ثلاثة: في المرأة والدابة والدار.

١ - فأما شؤم المرأة فكثرة مهرها، وعقوق زوجها.

ب - وأما الدابة فسوء خلقها، ومنعها ظهرها.

ج - وأما الدار فضيق ساحتها، وشرَّ جيرانها، وكثرة عيوبها...^(١)

(١) الخصال: ٧٩، باب الثلاثة.

١٩٢ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

٢- قال رسول الله ﷺ في حديث : إن شؤم المرأة غلاء مهرها، وعسر ولادتها... إلخ^(١).

(١) سفينة البحار : باب التون بعدة السنين .

فصل ٦

الحسنات والخير

من حسنات المرأة وخيراتها أن تكون مبروكة وذات يُمن، وبما أن الله تبارك وتعالى جعل لكلّ شيءٍ سبباً، جعل بركتها في أشياء، منها: ما ورد عن النبي ﷺ.

١- قال في سفينة البحار: والنبويّ، في حديث إلى أن يقول: وبركة المرأة خفة مؤونتها، ويُسر ولادتها^(١).

١- أيضاً: خير نسائكم الولود، الودود، العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلمها، المتبرجة مع زوجها، الحصان عن غيره، التي تسمع قوله، وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها.

٣- قال عليه وعلى ذريته آلاف التحيات والثناء: جهاد المرأة حسن

(١) سفينة البحار: باب النون بعده السين.

١٩٤ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

التبعل ...

٤- وفيه، عنه عليه السلام : خير الصداق أيسره، الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة

الصالحة عليها السلام.

(١) غواني الدرر من كلام سيد البشر : ٤٢، حرف الجيم.

(٢) نفس المصدر : ٦٣، حرف الدال.

فصل ٧

إطاعة الزوج

إنَّ من أهمِّ واجبات المرأة إطاعة زوجها، وبها يكون البيت عساً ذهبياً، وجنيته ذات بهجة موفقة. ودار حضانة لإنجاب الأطفال، ومدرسة نموذجية لتربيتها، وإذا بإعطاء الجامعة البشرية بنين وبنات عليها الاعتماد في مستقبل هذا العالم، لأنَّ الحياة الزوجية هي بمثابة التخطيط الأوَّل والأخير لتشكيل المجتمع الإنساني والعالمي، ولهذا التخطيط الحظُّ الأوفر في بناء هذا المجتمع وتخلُّقه بأيِّ خلقٍ شاء.

وإذا كانت المرأة من النواشز اللاتي يتمرّدن على أزواجهن - لا سمح الله - هنا يتقلب البيت إلى جحيم لا يوصف، فتتعدم الموازين الخلقية، وتصكَّ الخيرات أبوابها فيه، ولا تنزل ملائكة الرحمة فيه، فيحتله الشيطان فيسرح ويمرح كما يهوى ويريد، فالعيش سقيم، والحبّ عديم، والمآل وخيم، ألا لعنة الله على الشيطان الرجيم. وإليك نصوص في هذا الباب.

١ - عن أبي جعفر عليه السلام، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوم النحر إلى ظهر المدينة على جمل عاري الجسم، فمرَّ بالنساء، فوقف عليهن، ثمَّ قال صلى الله عليه وآله: يا معاشر النساء، تصدقن وأطعن أزواجكن، فإنَّ أكثركن في النار، فلمَّا سمعن

ذلك بكين، ثم قامت إليه امرأة منهن، فقالت: يا رسول الله، في النار مع الكفار؟ والله ما نحن بكفار فنكون من أهل النار. فقال لها رسول الله ﷺ: إنك كافرات بحق أزواجكن^(١).

٢- قال رحمه الله تعالى - أي آية الله العظمى السيد أبو الحسن الإصفهاني في كتابه (الوسيلة الكبرى) الجزء ٢، الصفحة ٣٥٠، الطبعة التاسعة - لكل واحد من الزوجين حق على صاحبه، يجب عليه القيام به، وإن كان حق الزوج أعظم، حتى أنه قد ورد عن سيد البشر: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.

ومن حقه عليها: أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، ولو إلى أهلها، ولو لعيادة والدها أو في عزاء له، بل ليس لها أمر مع زوجها: في عتق، ولا صدقة، ولا تديير، ولا هبة، ولا نذر في مالها إلا بإذن زوجها، إلا في حج أو زكاة، أو برّ والديها، أو صلة قرابتها. انتهى^(٢).

٢- وفيه أيضاً، ما روي في الجزء الثاني الصفحة ٣٠ من الوسائل عن الكافي مسنداً عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيته إلا بإذنه، ولا تمنعه

(١) سفينة البحار: باب النون بعده النسين.

(٢) ذرائع البيان

نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت بغير إذنه، لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض، وملائكة الغضب، وملائكة الرحمة، حتى ترجع إلى بيتها.

فقلت: يا رسول الله، من أعظم الناس حقاً على الرجل؟
قال ﷺ: والده.

قلت: فمن أعظم الناس حقاً على المرأة؟
قال ﷺ: زوجها.

قلت: فما لي عليه من الحقّ مثل ما له عليّ؟

قال ﷺ: لا، ولا عن كلّ مائة واحدة... الحديث (١).

٤ - وفيه نقلاً عنه: في رواية أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام، قال: أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: ما حقّ الزوج على المرأة؟

فقال ﷺ: أن تجيبه إلى حاجته وإن كانت على ظهر قتب، ولا تعطي شيئاً إلا بإذنه، فإن فعلت، فعليها الوزر وله الأجر، ولا تبيت ليلة وهو عليها ساخط.

فقلت: يا رسول الله، وإن كان ظالماً؟

قال ﷺ: نعم.

قلت: والذي بعثك بالحقّ لا تزوّجت زوجاً أبداً.

(١) نقل بعضه في كتاب الأخلاق.

٥ - حدثنا أحمد بن هارون القاضي رحمته ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا محمد بن الحسن الصفار ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن الحسن بن أبي الحسن الفارسي ، عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : من سلم - إلى أن قال - : ومن سلم من نساء أمتي من أربع خصال فلها الجنة :

أ - إذا حفظت ما بين رجليها .

ب - وأطاعت زوجها .

ج - وصلت خمسها .

د - وصامت شهرها...^(١)

(*) أقول : لا يخفى أن الكفر لغةً بمعنى الستر ، فالكافر بمعنى من يستر على الحق ولا يظهره .

واصطلاحاً ينقسم إلى قسمين : الكفر في العقيدة ، بأن ينكر الله سبحانه - كالزنادقة والشيوعية في عصرنا - ، أو يشرك به كالمجوسية ، أو ينكر رسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ كاليهود والنصارى ... أو كفر في العمل ، كتارك الحج إن كان مستطيعاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) ، وكذلك ورد في السنة :

(١) الخصال - ١٨٠ ، باب الأربعة ، الحديث ٥٤

(٢) آل عمران : ٩٧

« تارك الصلاة كافر »، فهذا من الكفر في العمل ويكون فاسقاً، وإن كان مؤمناً بالله واليوم الآخر وبمحمد ﷺ فهو طاهر لإسلامه، إلا أنه يدخل النار ولا يدخل فيها نفسه وذنوبه التي لم يستغفر ولم يتب منها، وأما الكافر في العقيدة فإنه يدخل في نار جهنم، وهذا من العدل الإلهي كما هو ثابت في محله، فالمرأة المسلمة المؤمنة التي لا تطيع زوجها كفرت في العمل، وفسقت عن أمر ربها، فإذا لم تتب وترجع وتطيع، فإنها تدخل النار كما يدخلها الكافر، إلا أنها لا تدخل فيها، بل تلبث في النار لسنين وربما مئات أو ألوف أو ملايين، وكل يوم من أيام القيامة ألف سنة مما تعدون، أعتق الله رقابنا من النار وأدخلنا جناته الوسيعة برحمته ولطفه، إلهي عاملنا بلطفك ولا تعاملنا بعدلك.

(عادل)

فصل ٨

الخدمة

كَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِنْسَانُ - بِلِ وَكُلِّ شَيْءٍ - لِلْخِدْمَةِ، حَتَّى أَنْتَ لَوْ أَمَعَنْتَ النَّظَرَ الدَّقِيقَ إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ أَجْمَعَ لَرَأَيْتَ أَنَّهَا خَلَقَتْ بَعْضُهَا لِبَقَاءِ الْبَعْضِ، وَبَعْضُهَا لِنَشْوءِ الْآخَرِ، وَبَعْضُهَا لِنَمُوِّ الْغَيْرِ، وَهَكَذَا.

وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنْ كُلَّهَا وُضِعَتْ بِخِدْمَةِ الْإِنْسَانِ، حَتَّى نَفْسَ الْإِنْسَانِ مَوْضُوعٌ لَخِدْمَةِ الْآخَرِينَ.

سُبْحَانَكَ يَا لَطِيفَ، وَأَنْتَ بِلَطْفِكَ أَوْجَدْتَ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْعَدَمِ، فَتَشَرَّفْتَ بِالْوُجُودِ، بِتَدْبِيرِكَ دَبَّرْتَهَا فَاسْتَقَامَتْ، وَبِحِكْمَتِكَ حَكَمْتَ عَلَيْهَا فَاطَاعَتْ، إِلَّا ابْنَ آدَمَ ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ ﴿١١﴾، بَعَثْتَ إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءَ، وَمَدَدْتَهُ بِالْعَقْلِ، وَهَدَيْتَهُ الطَّرِيقَ، فَضلاً مِنْكَ وَرَحْمَةً، لَكِنَّهُ لَمْ يَطِعْ حَقَّ الْإِطَاعَةِ، فَضَلَ الْأَكْثَرُونَ، وَرَاحُوا فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْجَمُونَ، وَبَقِيَ الْقَلِيلُونَ، يَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُونَ، يَشْكُرُونَ وَيَعْبُدُونَ، وَلِغَيْرِهِمْ فِي اللَّهِ يَخْدُمُونَ، أَوْلَئِكَ حَقًّا هُمُ الرَّابِحُونَ، وَمِنَ النِّسَاءِ الْعَالِمَاتِ، الْعَابِدَاتِ، الرَّائِعَاتِ، السَّاجِدَاتِ، وَالْأَزْوَاجِ خَادِمَاتِ، هُنَّ حَقًّا

محسنات، وأجروهن من المولى التقدير واصلات.

١ - فما جاء عن النبي ﷺ، قال: أئما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً عن موضع تريد به صلاحاً، نظر الله عزّ وجلّ إليها، ومن نظر إليه لم يعدّبه (١) (*).

(*) أقول: لا تنحصر الخدمة في الحياة الزوجية بالزوجة لزوجها، بل المطلوب من الزوج أيضاً أن يخدم زوجته متقرباً بذلك إلى الله سبحانه، فإذا كان أجر وثواب خدمة الزوجة لزوجها أن ينظر الله إليها، فلا ترى العذاب حينئذٍ، فاقراً معي ما جاء من الثواب في خدمة الزوج لزوجته ولعياله، وهذا كله يعني الحبّ المتبادل بين الزوجين، والتفاني وقبول الرحمة منهما للوصول إلى الرحمة والمودة التي جعلها الله سبحانه بينهما، وإئما يُذكر الأجر والثواب في الروايات ليتسابق كلّ واحد من الناس لنيل رضوان الله وفضله ولحصول الأجر والثواب والجنان، وتكون حينئذٍ الحياة الطيبة المتمثلة بالمسابقة إلى الخيرات والإحسان، فينال الزوجان رضا الله سبحانه والعيش الرغيد الذي يسوده الهناء والاطمئنان والسعادة.

وأما الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عيّلاً بعدما رآه في البيت ينقي العدس - أي ينظف العدس، كما ورد أنه كان عيّلاً يكنس الدار - وفاطمة عيّلاً جالسة عند القدر: «إسمع مني يا أبا الحسن، وما أقول إلا من أمر ربي: ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان بكلّ شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين وداود النبي ويعقوب وعيسى عليمًا. يا علي، من كان في خدمة

(١) سفينة البحار: باب النون بعده السبعين.

العيال ولم يأنف. كتب الله اسمه في ديوان الشهداء، وكتب له بكل يوم وليلة ثواب ألف شهيد».


والحديث طويل، ونولا خوفاً على الفارسي الكريم لذكرت له ما فيه من الثواب والأجر. ومما جاء فيه :

« يا عليّ، ساعة في خدمة البيت خيرٌ من عبادة ألف سنة وألف... ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة. يا عليّ، من لم يأنف من خدمة العيال - أي لا يستكف وتأخذ الأنفة والعزة على أنه هو رجل وكيف يخدم في البيت ويخدم العيال بل الرجال قوامون فالمفروض المرأة والأولاد يخدمونه وهو سلطان الدار، فمن لم يأنف من خدمة العيال - «دخل الجنة بغير حساب. يا عليّ، خدمة العيال كفارة للكبائر» - من الذنوب - «وتطفي غضب الرب، ومهور حور العين، وتزيد في الحسنات والدرجات. يا عليّ، لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة»^(١).

ولا يخفى أن هذا الثواب كله إنما هو مشروط، فلا ينال الثواب إلا بشرطها وشروطها، كالإيمان الكامل والتقوى والولاية لأهل البيت عليهم السلام والإخلاص والتقرب إلى الله سبحانه وغير ذلك، كما هو مذكور في الكتب الفقهية والأخلاقية والعقائدية.

(عادل)

(١) جامع السعادات ٢ : ١٤٢. وفي جامع الأخبار الباب ٨ الفصل ٣. ومستدرک الوسائل في مقدمات التجارة الباب ١٧. وكتابنا (تربية الأسرة على ضوء القرآن والعقيدة : ٢٥٥)، فراجع.

A decorative rectangular border with a repeating geometric pattern surrounds the central text.

المشترك بين الزوج والزوجة

فصل ١

بقاء النسل

ما دامت إرادة الله تبارك وتعالى باقية بأن يبقى النسل، يتحتم بقاء سنّة التناسل الذي جعله جلّت قدرته في الذكر والأنثى :

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾^(١).

فالسبب الرئيسي في بقاء نوع الإنسان الذي خُلق لأجله الكائنات هو الإنسان بجنسيه، أي المرأة والرجل، فهذان يترتب عليهما ما لا يترتب على غيرها من الأحكام، وقد اهتم الإسلام بهما كلّ الاهتمام، وبين الصالح والطالح منهما، واعتنى بتربيتهما وإرشادهما حسب ما تقتضيه الفطرة. وقصّ عنهما الأفاصيل، وأظهر ما فيهما من الخير والشرّ، كي يُقرب من الخير ويُبعد عن شرّهما.

فهذا القرآن الكريم ينطق بأبلغ بيان لتوجيه الإنسان.

١ - ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾^(٢).

(١) النساء : ١ .

(٢) النساء : ١ .

فصل ٢

الممنوع

إن الله تعالى منع الإنسان من كل ما يضره، كما أمره جلّ وعلا ذكره بكلّ ما ينفعه، وقد أضح هذا المعنى في عصرنا هذا - حيث تقدّم العلم - كلّ الوضوح، ولو لم يكن الإنسان ظلوه جهول لتمسك بكلّ أوامره عزّ شأنه، وترك كلّ نواهيه، وصعد بهذا أرقى مدارج السعادة والرفقّي والكمال، وصارت دنياه قطعة من الجنان، فيسعد هو ومن معه، لكن أنّى له ذلك وقد تلوّث بخبائث الدنيا، وشغلته بما لا ينفعه، بل يضرّه لا محالة. ومما منع المولى جلّت عظمته أمور تتعلّق بالزواج.

هنا كلمة لا بدّ لي أن أقولها، وهي أنّه بأسف لبعض شبابنا الذين يذهبون إلى البلاد الكافرة باسم الدراسة، ثمّ يأتون بعد سنين ومعهم زوجة كافرة وكذب - أجلكم الله - وبعض آلات القمار، وشهادة مزوّرة جعلها مصيدة ليصطاد بها الناس، فالويل لويل منهم، والويل الويل على الناس.

١- ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الشَّرِّ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٠٧﴾

٢- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٠٨﴾

(١) البقرة : ٢٢٦ .

(٢) البقرة : ٢٢٢ .

فصل ٣

الاختيار في الجنة

هذه الجنة التي يقول الله تبارك وتعالى عنها: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١). هنا - أي في الجنة - تختار الزوجة أي رجليها، أو الأكثر من رجلين، هذا من حقها - أي الاختيار - والذي يبقى، له ما شاء من الحور العين، فليختر!

١ - حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه، قال: علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن موسى بن إبراهيم، عن الحسن، عن أبيه، بإسناده رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أم سلمة قالت له صلى الله عليه وسلم: بأبي أنت وأمي، المرأة يكون لها زوجان فيموتان فيدخلان الجنة، لأيهما تكون؟ فقال صلى الله عليه وسلم: يا أم سلمة، تخير أحسنهما خلقاً، وخيرهما لأهله. يا أم سلمة، إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة... (٢).

(١) الزخرف: ٧١

(٢) الخصال: ٢٥، باب الاثنين

فصل ٤

الجهاد

مما بُني عليه الإسلام هو الجهاد، ثم إنَّ وجوه الجهاد كثيرة، وأهمها جهاد النفس، وهو واجب على الرجال والنساء، لكن أفضله للنساء هو حسن التبعل، وإليك النصوص :

١ - عن سهل، عن عليّ بن حسان، عن موسى بن بكر، عن مولانا أبي إبراهيم عليه السلام، قال : جهاد المرأة حسن التبعل ^(١).

٢ - قال رسول الله ﷺ : إنما تكون الصنيعة - إلى أن قال : - وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها... ^(٢).

٣ - قالت أم سلمة للنبي ﷺ : يا رسول الله، ذهب الرجال بكلّ خير، فأبيّ شيء للنساء المساكين؟ فقال ﷺ : بلى، إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى... إلخ ^(٣).

(١) الوافي ٣ : ١١٤، باب ١١٨ حقّ الزوج على امرأته.

(٢) تحف العقول : ٤٢، مواظب النبي ﷺ.

(٣) مرآة الكمال : ٢٣، المقام الثالث.

فصل ٥

الخيانة

من أسوأ السيئات، هي الخيانة، ومن أسوأ الخيانات، خيانة المرأة زوجها، هذا داء عضال، وبلاء مبرم، لا يحتمله حتى الجبال الراسيات، أعاذ الله تعالى المؤمنين من هاتيك الجهتميات، وقد ذكر أئمة من تلكم، في كتابه الكريم، وفرقانه العظيم.

١- قال جلّ وعلا ذكره: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ ﴾ ﴿١١٠﴾

٢- حدّثنا محمّد بن عليّ بن الشاه، قال: حدّثنا أبو حامد، قال: حدّثنا أبو زيد، قال: حدّثنا محمّد بن أحمد بن صالح التميمي، عن أبيه، قال: حدّثني أنس بن محمّد أبو مالك، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب عليهم أفضل صلوات الملك العلام، قال عليه السلام: قال

المشترك بين الزوج والزوجة / الفصل الخامس ٢١١

رسول الله ﷺ في وصيته لي : يا علي ، أربعة من فروع الطهر :

أ- إمام يعصي الله ويطاع أمره .

ب- وزوجة يحفظها زوجها وهي تخونه .

ج- وفقير لا يجد صاحبه له مداوياً .

د- وجار سوء في دار مقام...^(١)

(١) الخصال : ١٦٥ ، باب الأربعة ، الحديث ٢٤ .

فصل ٦

جهد البلاء

الكلّ يعلم أنّ البلاء من الكلّي المشكّك، ففيه الشدّة - والعياذ بالله - وفيه الضعف - أجازنا الله - وقد جاء في كلمات العظماء أكثر ممّا يتصوّر من القول في شدّة البلاء وضعفه، ولكن ليس فيهم كالنبيّ العظيم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فإنّه ﷺ قال - وقوله الفصل - :

١ - قال ﷺ : جهد البلاء ... إلى أن قال ﷺ : والرجل يجد على بطن امرأته رجلاً^(١).

(١) تحف العقول عن آل الرسول عليهم صلوات الملك العلام : اب مواعظ النبي ﷺ

فصل ٧

العزيزة

أين الزوجة لترتشف من منهل الإسلام، ولتتعلم كيف يجب أن تكون، حتى تصبح عزيزة عند زوجها الذي انتخبها لتكون شريكة حياته، ولترفع عنه بعض أعباء الحياة والعيش، فإنها إن كانت كذلك لا تقاس بـشمن، وهي أعز ما في الوجود.

١- قال الصادق عليه السلام: ثلاثة أشياء في كل زمانٍ عزيزة، وهي الإخاء في الله تعالى، والزوجة الصالحة الأليفة تعينه في دين الله عز وجل، والولد الرشيد، ومن وجد الثلاثة فقد أصاب خير الدارين، والحظ الأوفر من الدنيا والآخرة^(١).

(١) مصباح الشريعة: ٢٦، الباب الخامس والخمسون

فصل ٨

التأديب

للإنسان أن يؤدّب أولاده وزوجته، ولا يتركهما ليعبت بهما الزمان، وليعبث بهما أيادي الشياطين، ومن يدور مدارها، ولكن لا يترك لنا الإسلام أمراً من الأمور إلا وله عليه حكم وتوجيه، يوجهنا حيث يشاء المولى، وحيث فيه المصلحة النائمة لنا، وكما أنه يعلمنا كيف نتأدّب وأنه لا بدّ أن نبدأ بأنفسنا أولاً ونكون لها إماماً، وأنه فاقد الشيء لا يعطيه، فلا بدّ من تأديب أنفسنا أولاً، كذلك يعلمنا كيف تُؤدّب.

هاك في تأديب المرأة :

١- القرآن الكريم : ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ (١)

٢- قوله ﷺ - في حديث - : ولكن اضربوهن بالجوع والعري، حتى تريحوا في الدنيا والآخرة... إلخ (٢).

(١) النساء : ٣٤.

(٢) سفينة البحار : باب النون بعده السنن.

٣- قال عليه السلام في حجة الوداع: أيها الناس - إلى أن قال -: فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن، وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح...^(١).

٤- أحمد بن فهد في [عدة الداعي] عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: - إلى أن قال -: أما إنه يكون إحدى الثلاثة الذين لا يستجاب لهم دعوة، قلت: من هؤلاء؟ قال عليه السلام: رجل عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له، لأن عصمتها في يده، ولو شاء أن يخلي سبيلها... إلى آخر الحديث^(٢).

(١) تحف العقول: ٢٤، خطبته عليه السلام.

(٢) وسائل الشيعة: ١٦، كتاب التجارة.

فصل ٩

اللغنية

منهنّ من طُردن من رحمة الله تعالى، وما أكثرهن، فلتنتبه تلك التي تريد الآخرة ونعيمها، ولتعمل عملاً يرضاه الله جلّ وعلا ذكره والرسول ﷺ ثمّ ترضي الزوج فإنّ رضاء الزوج من أهمّ الأمور بالنسبة إلى الزوجة، في رضاء الجنّة، وفي عصيانه النار، وكم من مواقع يلغنها الله تعالى ويلغنها الرسول ﷺ وتلغنها الملائكة، لا لشيء سوى عصيان الزوج.

١- الكافي: عنه، عن موسى بن القاسم، عن أبي جميلة، عن (يه) خريس الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ امرأة أتت رسول الله ﷺ لبعض الحاجة، فقال ﷺ لها: لعلك من المسوّفات، قالت: وما المسوّفات، يا رسول الله (ﷺ)؟ قال ﷺ: المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة، فلا تزال تسوّفه (*) حتى ينس زوجها فينام، وتلك لا تزال الملائكة تلغنها حتى يستيقظ زوجها^(١).

٢- الفقيه: قال الصادق عليه السلام: أيما امرأة وضعت ثوبها في غير منزل

(١) الوافي ٣: الباب ١١٨ حق الزوج على امرأته.

زوجها، أو بغير إذنه، ثم نزل في لعنة الله إلى أن ترجع إلى بيتها.

٣- روى الصدوق في الفقيه في باب عقاب المرأة على أن تسحر زوجها، بسنده عن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ لامرأة - سألته: إن لي زوجاً، وبه غلظة عليّ، وإني صنعت شيئاً لأعطفه عليّ -: أفتُ لك، كدّرت البحار، وكدّرت الطين، ولعنتك الملائكة الأخيار، وملائكة السماوات والأرض. قال عليه السلام: فصامت المرأة نهارها، وقامت ليلها، وحلقت رأسها، وليست المسوح، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: إن ذلك لا يقبل منها^(٢).

(*) أقول: التسوييف مصدر انتزاعي من كلمة (سوف)، فالزوج عندما يطلب من زوجته بعض الحاجة كالفراش والمقاربة فإنّها تقول: سوف آتيك، ولم تأت، وهكذا تقول سوف سوف فتكرّر هذه الكلمة فيسمّى هذا بالتسوييف.
(عادل)

(١) الوافي ٣: ١٢ م، الباب ١١٨ حقّ الزوج على امرأته

(٢) المكاسب: الطبعة الجديدة، جامعة النجف الهندسية، الجزء الثالث، نساء - عاشر،

السحر، نقلاً عن من لا يحضره الفقيه: ٩٧

فصل ١٠

الإدارة

من أهمّ الأمور المعاشيّة هي الإدارة، إدارة العمل والبيت والأطفال والأقرباء والناس جميعاً، والذي يجب على الرجل الكيّس النابه الفطن أن يدير شؤونه ومن يتعلّق به بنفسه، كي لا يفوته ما يبتغيه من متاع وتمتّع في هذه الحياة، فإنّها مزرعة معدّة للعمل في كلّ حقولها، فمن أظهر الاستعداد وبرهن بالجهد والجدّ على كفائته، حصد ونال ما يروم، والكسل لا يطعم العسل، وإدارة الشؤون وظيفه اختصّ بها الرجل دون المرأة، وذلك للاستعداد التكويني الموهوب به الرجل وحده.

١ - قال عليّ عليه أفضل الصلاة والسلام: كلّ امرئٍ تديره امرأته فهو

ملعون^(١).

٢ - في حديث لأُمير المؤمنين ع^(٢): ولا تذروهن يدبرن أمر العيال^(٣).

(١) ذرائع البيان.

(٢) سفينة البحار: باب التون بعده نسبين.

فصل ١١

إِيَّاكَ

لَمَّا شَرَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَقُّ الرَّجُلِ فِي الزَّوْجِ بِأَنَّهُ يَشْتَى وَيُثَلَّثُ وَيُرْتَبِعُ مَا تَرَكَه يَعْثَبُ بِهِنَّ حَيْثُ يَشَاءُ، وَإِنَّمَا وَجَّهَهُ وَحَدَّدهُ، تَارَةً عَلَى لِسَانِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأُخْرَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. فَشَرَطَ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا الْعَدَالَهَ، وَتَبَهَّنَا أُنْمَتْنَا عَلَيْهِمُ الْمَوَارِدَ الْأُخْرَى، كُلَّ ذَلِكَ لِإِسْعَادِنَا فِي الْحَيَاةِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ شَرَعَ الدَّعَاةَ وَالْإِسْتِقْرَارَ، فَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيَتَمَسَّكْ بِهِ.

١ - فِي وَصِيَّةِ إِمَامِ الْعَارِفِينَ، لِلْسَبْطِ الْأَكْبَرِ عَلَيْهِمَا صَلَوَاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايِرَ»^(*) فِي مَوْضِعِ الْغَيْرَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ مِنْهُنَّ إِلَى السَّقَمِ...^(١)

(*) أَقُولُ: الْغَيْرَةُ - كَمَا مَرَّ - مِنْ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّ اللهَ يَحِبُّ صِفَاتَهُ كَمَا يَحِبُّ ذَاتَهُ، وَيَحِبُّ مَنْ تَنَجَّلَى فِيهِ صِفَاتُهُ، فَيَحِبُّ الرَّجُلَ الْغَيُورَ عَلَى دِينِهِ

(١) سَفِينَةُ الْبِحَارِ: بَابُ التَّوْنِ بَعْدَ السَّبِينِ.

٢٢٠ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

وعياله وزوجته وناموسه . فالغيرة حسنة على كل حال ، إلا أنه كل شيء إذا تجاوز عن حده انقلب إلى ضده ، والإفراط والتفريط من الجهل ومن أفعال الجاهلين ، والعامل العادل من يضع الأشياء في مواضعها ، فمن زاد في الغيرة حتى كان من سوء الظن بزوجه أن يغلق باب الدار بأفقال عليها ، فإنه يكون سبباً لإثارة عناد الزوجة ، ولضعفها سرعان مانعكس عمل الزوج في حركاتها وأفعالها وأقوالها ، فمن زاد في الغيرة فقد وقع في هاوية الإفراط والجهل والظلمة ، وتجاوز الحد ، فتنقلب الغيرة إلى ضدها في المرأة ، فتتزع لباس الحياء عن نفسها ، وترتكب ما يتنافى مع حياؤها وعفتها ، وما لا يحمد عقباه ولو بخفية عن زوجها ، فتحونه - والعياذ بالله - رداً على فعل زوجها ، فلا بد من الحكمة والعدل في التصرف .

(عادل)

فصل ١٢

الملاعنة

إنَّ إحدى الكتب الفقهيَّة هو كتاب اللعان، وهو أن يتلاعن الزوجان بعد رمي الزوج إياها، وللملاعنة كفيَّة وأحكامٌ مذكورة في محلِّها. وصورتها: أن يشهد الرجل بالله أربع مرَّات إنَّه لمن الصادقين في ما رماها به، ثمَّ تقول: إنَّ غضب الله عليها إن كان من الصادقين. وتوجد موارد ليست فيها ملاعنة بين الزوجين لإحدى الأسباب الآتية.

١ - حدَّثنا أبي رحمته الله، قال: حدَّثنا سعد بن عبد الله، قال: حدَّثني أحمد وعبد الله ابنا محمَّد بن عيسى، عن العباس بن معروف، عن الحسين بن زيد النوفلي، عن عليِّ بن داود اليقوبي، عن سليمان بن جعفر البصري، عن أبي عبد الله جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جدِّه عليه السلام، أنَّ علياً عليه السلام قال: ليس بين خمس من النساء وبين أزواجهن ملاعنة:

- أ - اليهودية تكون تحت المسلم.
- ب - والنصرانية والأمة تكونان تحت الحرِّ فيقذفهما.
- ج - والحرَّة تكون تحت العبد فيقذفها.

٢٢٢ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

د- والمجنود في القرية! لأن الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾^(١).

هـ- والخرساء ليس بينها وبين زوجها نعان، إنما اللعان باللسان...^(٢).

(١) الثور : ٤

(٢) اخصال : ٢٤٧، باب الخمسة، الحديث ٨٣.

فصل ١٣

ما ينبغي ويلزم

لكل رعيّة راع، كما أن لكل راع رعيّة، وكل راع مسؤول عن رعيّته. كما أن كل رعيّة مسؤولة عن راعيها، فنتبين من هذا، أن المسؤولية موزّعة على الجميع، فينبغي ويلزم أن يراعيها الجميع، وإذا كان كذلك فالمدار الاجتماعي يدور حسب الأصول، ويرتاح كل سائل ومسؤول، ومن كبريات المسؤوليات ما يلي :

١ - قال ﷺ: الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر يستأذن أبوها في نفسها^(١).

٢ - وفيه: زوّجوا الأكفاء، وتزوّجوا الأكفاء...^(٢).

٣ - قال تعالى - وقوله الحق - : ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهُبُوا بِبَعْضِ مَآ آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ﴾^(٣).

(١) غوالي الدرر من كلام سيد البشر : ٣٨ ، حرف الناء .

(٢) غوالي الدرر من كلام سيد البشر : ٨٠ ، حرف الزاي .

(٣) النساء : ١٩ .

فصل ١٤

بالفرح

لقد أحاط الإسلام العظيم بكلّ جوانب الحياة، فما من موردٍ إلّا وله فيه نظر وحكم، وما من قضية إلّا أن يوجّهها التوجيه الصحيح، ولكلّ شيءٍ آءاء بقدر، فلتنوّع الحالات أنواع الموازين للحالات العاديّة والحالات الاضطرابيّة، الأحكام المستقيمة والأحكام الثانويّة، للأحزان موازين وأحكام، كما أنّ للأفراح موازين وأحكام، ومن أحكام الأفراح والمسرت الموارد التالية، إليك فاحفظها، وضع ثقتك بالإسلام تفلح. ولا قوة إلّا بالله.

١ - حدّثنا محمّد بن علي ماجيلويه رحمته الله، قال: حدّثني عمي محمّد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن سجادة العابد - واسمه الحسن ابن علي بن أبي عثمان -، عن موسى بن بكر، قال: قال أبو الحسن الأوّل عليه أفضل الصلاة والسلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا وليمة إلّا في خمس:

أ - في عرس.

ب - أو خرس.

ج - أو عرار.

د - أو وكار.

هـ- أوركاز.

فأما العرس فالنزويج، والخرس النفاس بالولد، والعذار الختان، والوكار الرجل يشتري الدار، والركاز الذي يقدم من مكة... (١).

٢- حدّثنا محمّد بن علي بن الشاه، قال : حدّثنا أبو حامد أحمد بن محمّد ابن الحسين، قال : حدّثنا أبو يزيد أحمد بن خالد الخالدي، قال : حدّثنا محمّد بن صالح التميمي، عن أبيه، قال : حدّثنا أنس بن محمّد أبو مالك، عن أبيه، عن جعفر ابن محمّد بن عيسى، عن أبيه عيسى، عن جدّه عيسى، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن النبيّ ﷺ أنّه قال في وصيّته له : يا عليّ ! لا وليمة إلاّ في خمس :

أ- في عرس.

ب- أو خرس.

ج- أو عذار.

د- أو وكار.

هـ- أوركاز.

والعرس النزويج، والخرس النفاس بالولد، والعذار الختان، والوكار في شراء الدار، والركاز في يقدم من مكة... (٢).

(١) الخصال : ٢٥٥، باب الخمسة، الحديث ٩٦.

(٢) الخصال : ٢٥٥، باب الخمسة، الحديث ٩٢.

فصل ١٥

القدرة

إنّ على الرجل الرزين أن يثبت وجوده بالرجولة أمام المرأة، بشرط أن لا يكون ذلك بالطرق التعسفية الغير مشروعة كالضرب والشتيم وما شابه مما يخالف الأخلاق والآداب والإنسانية والدين، وإنما يكون بالشهامة والحمية والعفو عند المقدرة وما شابهها من الصفات الحسنة والأخلاق المحمودة، وإنه يعرف أنّ من نعم الله تعالى عليه أن جعله والياً عليها، وولياً لأمرها، وسلّمه زمام الأمور، ووهبه القدرة عليها.

فقد جاء في الكتاب الكريم: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١).

١- في وصية أمير المؤمنين لابنه الحسن المجتبي عليه السلام، قال: واستبق من نفسك بقية، فإن إمساكك عنهن وهن ترين أنك ذو اقتدار، خير من أن يعثرن عليك على انكسار^(٢).

(١) النساء: ٣٤.

(٢) سفينة البحار: باب الثون بعده السين.

فصل ١٦

الإتيان

لَمَّا كَانَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى تَكثِيرَ نَسْلِ الْبَشَرِ، جَعَلَ فِي الْإِنْسَانِ شَهْوَةَ الْجِنْسِ، وَجَعَلَ لَذَّةَ فِيهَا، وَلَوْلَا هَذِهِ الْمَلَذَّةُ، لَمَا وَطَّنَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ لِتَحْمَلِ أَعْبَاءِ وَمَسْئُولِيَّةِ إِعَاشَةِ الْأَوْلَادِ وَتَرْبِيَّتِهِمْ، وَحَتَّى لَا يَسْبُدِي اسْتِعْدَادَهُ لِإِدَارَةِ الزَّوْجَةِ وَالْبَيْتِ وَالْأَتْعَابِ الْكَثِيرَةِ الْوَفِيرَةِ الَّتِي تَنْهَكُ الْأَبْطَالَ وَيَشْفَقُنْ مِنْهَا الْجِبَالَ، وَلَكِنَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَعَظَمَتُهُ يَجْرِي الْأُمُورَ بِأَسْبَابٍ وَهُوَ مُسَبِّبُهَا، تَعَالَيْتَ يَا لَطِيفُ، كَيْفَ خَلَقْتَ وَكَيْفَ قَدَّرْتَ وَكَيْفَ دَبَّرْتَ! لَا إِلَهَ سِوَاكَ، وَلَا تَكُونُ الْعِبُودِيَّةَ إِلَّا لَكَ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى حَدَّدَ هَذِهِ الْقُوَّةَ الْجِنْسِيَّةَ وَوَجَّهَهَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ وَأَوْلِيَائِهِ الطَّاهِرِينَ صَلَوَاتِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَهَذَا إِمَامُ الْمُؤَحِّدِينَ وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَقُولُ :

١ - إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْتِيَ زَوْجَتَهُ، فَلَا يَعْجَلْهَا، فَإِنَّ لِلنِّسَاءِ حَوَائِجَ...^(١).

٢ - إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً تَعْجِبُهُ، فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ عِنْدَ أَهْلِهِ مِثْلَ مَا رَأَى،

(١) المواعظ العددية : ٣٠٨، باب الأربعمائة.

٢٢٨ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

فلا يجعلنَ للشيطان على قلبه سبيلاً ليصرف بصره عنها، فإذا لم يكن له زوجة فليصل ركعتين ويحمد الله كثيراً ويصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله من فضله، فإنه ينتج له من رأفته ما يعنيه... (١).

٣- إذا أتى أحدكم زوجته فليقلّ الكلام عند ذلك، فإنه يورث الخرس... (٢).

٤- لا ينظرنَ أحدكم إلى باطن فرج امرأته، فلعلّه يرى ما يكره، ويورث العمى... (٣).

٥- إذا أراد أحدكم مجامعة زوجته، فليقل: اللهم إني استحلتت فرجها بأمرك، وقبلتها بأمانتك، فإن قضيت لي منها ولداً فأجعله ذكراً سوياً، ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً ولا شريكاً... (٤).

٦- إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله، فليتوقَّ أول الأهلّة، وأنصاف الشهور، فإنّ الشيطان يطلب الولد في هذين الوقتين، والشياطين يطلبون الشرك فيهما، ويجيئون ويهبلون... (٥).

(١) المواعظ العددية : ٣٠٨، باب الأربعمئة.

(٢) المواعظ العددية : ٣٠٨، باب الأربعمئة.

(٣) نفس المصدر.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

٧- ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ .

٨- ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ .

(١) البقرة : ٢٢٢ .

(٢) البقرة : ٢٢٦ - ٢٢٧ .

فصل ١٧

الإصلاح

كثيراً ما تقع المنازعات الفردية والجماعية بين الناس كلهم، ويحصل من المؤمنين من يوجب على نفسه العمل لأجل التقارب والتواصل والتفاهم بين الأطراف المعنيين، ولإصلاح ذات البين، لأنه كما جاء في الحديث الشريف: أفضل من عامة الصلوات - أي المستحبة -، والأفضل من كل إصلاح هو الإصلاح بين الزوجين؛ لأن في هذا ترميم أسرة، وترميم الأسرة ترميم المجتمع. لذا ترى القرآن الكيم ينادي بأعلى صوته:

١- ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ (١١).

٢- ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١٢).

(١) النساء - ٣٤

(٢) النساء : ١٢٨.

٣- ﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَّيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَّيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾

٤- ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾

(١) البقرة : ٢٢٨ .

(٢) البقرة : ٢٣٢ .

فصل ١٨

لا تقبل الصلاة

توجد عوامل لقبول الأعمال وازدياد أجرها وثوابها، كما - بالعكس -
توجد عوامل لعدم قبول الأعمال، سيّما الصلاة التي هي عمود الدين، والكَيْس مَنْ
لا يفوته الدين، فبفواته تفوته الدنيا أيضاً.

١ - عنه - البرقي - عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال :

قال رسول الله ﷺ : ثمانية لا تقبل منهم صلاة :

أ - العبد الآبق، حتّى يرجع إلى مولاه.

ب - والناشر وزوجها ساخط عليها.

ج - ومانع الزكاة.

د - وتارك الوضوء.

هـ - والجارية المدركة تصليّ بغير خمار.

و - وإمام قوم يصليّ بهم ولهم له كارهون.

ز - والزّين، قالوا: يا رسول الله ﷺ، وما الزّين؟ قال صلوات الله عليه :

الرجل يدافع الغائط والبول.

ح - والسكران.

فهؤلاء الثمانية لا تقبل منهم صلاة.

فصل ١٩

التفرقة

الله أكبر، إنَّ البعض لا يراعون ذمّة، ولا يفيقون لوجدان، وليست لهم شهامة، كأنَّ الإنسانيّة والمروءة لم تطرق باب نفوسهم، ولا يهرّهم ضمير، فيسعون في الأرض الفساد، ويحيلون بين الوصل، ويقطعون الموصول، أولئك الظالمون حقاً، هداهم الله إن كانت ظروفهم مستعدّة للهداية، وإلا فخذلهم الله تعالى وأخزاهم في الدنيا والآخرة، وكفى المؤمنين شرّهم، وردّ كيدهم لبحورهم، آمين آمين.

١- ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ۝ (١)

فصل ٢٠

الأحكام

إن مصدر الأحكام الشرعية الأولى هو الكتاب الكريم، الذي أنزله الله تعالى على قلب نبيه العظيم محمد بن عبد الله ﷺ، ولا رطب ولا يابس إلا وحكمه فيه، ولا يعلمه إلا الراسخون في العلم، وله مأول ومفسر وهو الحديث والسنة الذي يأتي بالدرجة الثانية منه، فيخصص عمومه، ويفصل محكمه عن متشابهه، ويبين مجمله، وهو وإياه صنوان توأمان لا يفرقان، وقد أنزله تعالى وهو له حافظ عزيز، ومن أحكامه ما يخص الجنسان، الرجال والنسوان، فإليك بعضه :

١- ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ سِتْنًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

٢- ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَكَحَّحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

٣- ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِيَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

٤- ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣)

٥- ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لِهِنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤)

(١) البقرة : ٢٣٠ .

(٢) البقرة : ٢٣١ .

(٣) البقرة : ٢٣٤ .

(٤) البقرة : ٢٣٦ .

٦- ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١).

٧- ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٢).

٨- ﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٣).

(١) البقرة : ٢٣٧.

(٢) البقرة : ٢٤٠.

(٣) البقرة : ٢٤١.

فصل ٢١

المساعدة

من أهمّ العوامل التي تستحكم بها الرابطة الزوجية هو التعاون بينهما بوجهٍ صادقٍ وحسن نيةٍ، ولا ينقص الزوج لو ساعد زوجته بخلوص النية وداعي المحبة، ولو سرّحنا الطرف في سيرة قادتنا العظام وكبرائنا الكرام لرأينا شواهد كثيرة تشهد على أنّ معلّمي أهل العالم - أعني الأئمة الطاهرين عليهم السلام - كانوا لا يدعون فرصة يمكن فيها التعاون مع أيّ إنسان مهما كان شكله وجنسه ودينه إلّا واغتنموها لا سيّما التعاون مع الزوجة ومساعدتها على إدارة البيت.

هاك المثل الأعلى للإنسان الأكمل تلميذ مدرسة الله عزّ وجلّ، والأول على الصّفّ عند رسول الله ﷺ، أعني علياً أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين، وانظر كيف كان يعامل ابنة الصوفة صلوات الله وسلامه عليها، فقد كان يساعدها باحتطابه وسقيه وكنس فناء الدار وفي كلّ شيء، وإليك الحديث الشاهد :

١ - محمّد بن يعقوب [الكليني] عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي

٢٣٨ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويسقي ويكنس، وكانت فاطمة سلام الله عليها تطحن وتعجن وتخبز...
ورواه الصدوق بإسناده عن هشام بن سالم مثله...^(١).

(١) الواسائل : ٣٩، باب استحباب العمل في البيت .

فصل ٢٢

الثواب الجزيل

إنَّ اللهَ تبارك وتعالى جعل طرقاً كثيرةً لتحصيل العبد الثواب، وذلك رَأْفَةً منه جلّ وعلا، وإحساناً على عباده كي لا يياسوا من روحه. فللرجال موارد، وللنساء موارد، وكلُّ يعمل على شاكلته، فمن أراد أن يشملهُ الفضل من المولى عزَّ وجلَّ، فلينتخب الطريق السويّ الذي وجد لساعده على تحصيل الثواب ودفع العقاب، وما للمرأة من تلك الطرق فهي :

١- ورد عن النبي ﷺ، أَنَّهُ قال : والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً ومبشراً ونذيراً، ما من امرأة تحمل من زوجها ولداً إلا كانت في ظلّ الله تعالى عزَّ وجلَّ حتّى يصيبها الطلق، فيكون لها بكلّ طليقة عتق رقبة مؤمنة، فإذا وضعت حملها وأخذت في رضاعه، فما يمصّ الولد مصةً من لبن أمّه إلا كان بين يديها نوراً ساطعاً يوم القيامة، يعجب من رآها من الأوّلين والآخريين، وكتبت صائمة قائمة، وإن كانت غير مفطرة كتب لها صيام الدهر كلّه وقيامه... (١).

(١) مرآة الكمال : ٢٣، المقام الثالث . عن مستدرك الوسائل .

٢ - عن النبي ﷺ : يا حواء، ما من امرأة تكسي زوجها إلا كساها الله يوم القيامة سبعين خلة، منها : مثل شقائق النعمان والريحان، تعطى يوم القيامة أربعون جارية تخدمها من الحور العين... إلخ^(١).

٣ - خالد الكعبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : إن رسول الله ﷺ قال :
أيما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به إصلاحاً، نظر الله تعالى إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه... إلخ^(٢).

(١) المصدر السابق : في التعنقة.

(٢) المصدر السابق : في التعنقة.

المصادر

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - درر الكلم .
فصار كلمات أمير المؤمنين عليه السلام . جمع السيد الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه .
- ٣ - تحف العقول .
الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني ، من أعلام القرن الرابع ، معاصر الصدوق رحمهما الله تعالى
- ٤ - الخصال .
الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، المتوفى ٢٨١ هـ ، تصحيح وتعليق السيد فضل الله الطباطبائي اليزدي .
- ٥ - شرائع الإسلام .
المحقق أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن ابن يحيى بن سعيد الحلبي ، المتوفى ٦٧٦ هـ .
- ٦ - المواعظ العديدة .
الشيخ علي المشكيني الأردبيلي ، تهذيب وإضافات لكتاب الاثنى عشرية ، الطبعة الثالثة .

٢٤٢ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان

٧ - تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد. السيّد عبد الله شبّر ١١٨٨ هـ - ١٢٤٢ هـ، تحقيق

السيّد أحمد الحسيني والشيخ رضا أستاذي .

٨ - نهج البلاغة. الشريف الرضي، من كلام سيّد الموحّدين

أمير المؤمنين عليه السلام، شرح الشيخ محمّد عبده،

مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٩ - المكاسب. الشيخ مرتضى الأنصاري ١٢١٤ - ١٢٨١ هـ ق

تحقيق وتعليق السيّد محمّد كلانتر.

١٠ - وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل

الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، المتوفّي

١١٠٤ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١ - المحاسن. الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد بن

عبد الرحمن بن محمّد بن عليّ البرقي، توفّي

سنة ٢٧٤ أو ٢٨٠ بقم، ويظنّ أنّ عمره في

حدود الثمانين عام.

١٢ - منتخب المواعظ. الحاجّ الشيخ محمّد باقر الشريعتي الإصفهاني،

مكتبة الداوري، قم، ١٣٩٧ هـ.

١٣ - الأخلاق. السيّد عبد الله بن السيّد محمّد رضا الشبّر

الحسيني (١١٨٨ - ١٢٤٢) ولد في النجف

الأشرف وتوفّي في الكاظمية المقدّسة ودفن في

الرواق الشريف.

١٤ - مرآة الكمال. ففيد العلم والتقى آية الله الحجّة الشيخ عبد الله

المامقاني بن آية الله الحاجّ الشيخ محمّد حسن

المامقاني (١٢٨٠ - ١٣٥١ هـ).

الفهرست

مقدمة السيّدة بنت العلى الحيدري ٣

الرجل

(٦٨ - ٢٧)

٢٩	فصل ١
٣١	فصل ٢ - المحافظة
٣٢	فصل ٣ - الشرور
٣٤	فصل ٤ - الترحّم
٣٧	فصل ٥ - المتركون
٤٠	فصل ٦ - حقّ النفقة
٤٢	فصل ٧ - التعدّد والاستعداد
٤٤	فصل ٨ - الكذب
٤٦	فصل ٩ - الظلمة

٢٤٤ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان
٤٨ فصل ١٠ - التحريم
٥٠ فصل ١١ - الغيرة
٥٢ فصل ١٢ - راحة المؤمن
٥٤ فصل ١٣ - نقص العيش
٥٥ فصل ١٤ - الأثر العقلي
٥٧ فصل ١٥ - الاتكاء
٥٩ فصل ١٦ - الإمامة
٦٠ فصل ١٧ - الحب
٦٤ فصل ١٨ - المراعاة
٦٦ فصل ١٩ - المصيبة

المرأة

(٦٩ - ١٢٠)

٧١ فصل ١ - المرأة بين الكفر والإسلام
٧٦ فصل ٢ - الحجاب
٧٨ فصل ٣ - الستر
٧٩ فصل ٤ - بلا قيد
٨١ فصل ٥ - التكد
٨٣ فصل ٦ - التحديد
٨٩ فصل ٧ - الجزاء
٩١ فصل ٨ - الوفاء

٢٤٥	الفهرست
٩٣	فصل ٩ - الطاقة
٩٤	فصل ١٠ - السلطة
٩٦	فصل ١١ - النقص التكويني
٩٧	فصل ١٢ - المصيدة
٩٩	فصل ١٣ - للحوامل
١٠١	فصل ١٤ - الملعونات
١٠٢	فصل ١٥ - الشبع
١٠٤	فصل ١٦ - هنيئاً لأرباب النعيم
١٠٦	فصل ١٧ - الحراجة
١٠٨	فصل ١٨ - المختارات
١١٠	فصل ١٩ - همّ النساء
١١٣	فصل ٢٠ - الجهنّميات
١١٤	فصل ٢١ - الشؤم
١١٧	فصل ٢٢ - المرأة والإيمان
١١٩	فصل ٢٣ - لطف

المشترك بين الرجل والمرأة

(١٥٢ - ١٢١)

١٢٣	فصل ١ - الحذار الحذار
١٢٨	فصل ٢ - الرجولة
١٣٠	فصل ٣ - الفروق

٢٤٦ الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان
١٣٢ فصل ٤ - بلا اختيار
١٣٤ فصل ٥ - آخر الزمان
١٣٦ فصل ٦ - التشبه
١٣٨ فصل ٧ - المغفون
١٣٩ فصل ٨ - الاتكال
١٤١ فصل ٩ - التعدي
١٤٤ فصل ١٠ - المآثم
١٤٧ فصل ١١ - المخالفة
١٥٠ فصل ١٢ - العظة
١٥١ فصل ١٣ - المنافع والمضار

الزوج

(١٨٠ - ١٥٣)

١٥٥ فصل ١ - العموم
١٥٧ فصل ٢ - الخطبة
١٥٨ فصل ٣ - إرث الزوج
١٥٩ فصل ٤ - العدل
١٦٢ فصل ٥ - ماذا نختار؟
١٦٦ فصل ٦ - سماح
١٦٨ فصل ٧ - طاعة النساء

٢٤٧	الفهرست
١٧٤	فصل ٨- الاحساب
١٧٦	فصل ٩- حقّ الزوج
١٧٩	فصل ١٠- التوصية

الزوجة

(١٨١-٢٠٢)

١٨٣	فصل ١- ما يمنع على الزوجة
١٨٥	فصل ٢- العقّة
١٨٧	فصل ٣- حقّ الزوجة
١٩٠	فصل ٤- إرث الزوجة
١٩١	فصل ٥- شؤم الزوجة
١٩٣	فصل ٦- الحسنات والخير
١٩٥	فصل ٧- إطاعة الزوج
٢٠٠	فصل ٨- الخدمة

المشترك بين الزوج والزوجة

(٢٠٣-٢٤٠)

٢٠٥	فصل ١- بقاء النسل
٢٠٦	فصل ٢- الممنوع
٢٠٨	فصل ٣- الاختيار في الجنّة

٢٤٨	الجنسان : الرجل والمرأة في الميزان
٢٠٩	فصل ٤- الجهاد
٢١٠	فصل ٥- الخيانة
٢١٢	فصل ٦- جهد البلاء
٢١٣	فصل ٧- العزيزة
٢١٤	فصل ٨- التأديب
٢١٦	فصل ٩- اللعنية
٢١٨	فصل ١٠- الإدارة
٢١٩	فصل ١١- إيتاك
٢٢١	فصل ١٢- الملاعنة
٢٢٣	فصل ١٣- ما ينبغي ويلزم
٢٢٤	فصل ١٤- بالفرح
٢٢٦	فصل ١٥- القدرة
٢٢٧	فصل ١٦- الإتيان
٢٣٠	فصل ١٧- الإصلاح
٢٣٢	فصل ١٨- لا تقبل الصلاة
٢٣٣	فصل ١٩- التفرقة
٢٣٤	فصل ٢٠- الأحكام
٢٣٧	فصل ٢١- المساعدة
٢٣٩	فصل ٢٢- الثواب الجزيل
٢٤١	المصادر
٢٤٣	الفهرست

الاشكال في اولاد والديك

من تاليفات المرحوم

آية الله السيد علي بن الحسين العلوي

قدس سره

اشراف

مجلد عاشر في الغايي

بسم الله الرحمن الرحيم



العربي السيد علي ١٤٢٧ هـ

الأثر الخالد في الولد والوالد - تأليف السيد علي بن الحسين العمري (إشراف السيد عادل العلوي) -
قم المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢٢ هـ في ٢٠٠٢ - ١٣٨١ ص ٢٥٦

ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره) ISBN 964 - 5915 - 63 - 5

مهرستویسی بر اساس اطلاعات فیما

چاپ قبلی در دهخدا، ١٤١١ هـ و ١٣٦٩ (٢٠٧٠ ص)

کتابنامه به صورت زیر نویس

چاپ دوم

١ والدين وكودك (اسلام)، ٢ تربيت خاتوناگي (اسلام)، الف علوي، عادل، ١٩٥٥ - م

ب عنوان

٢٩٧ / ٦٤٦

١٢ الف ٧٧ ع / ٦ / ٢٥٣ BP

کتابخانه ملی ایران

م ١١٢٦٩ - ٨١

محل نگهداری

کتاب

الأثر الخالد في الولد والوالد

تأليف - المرحوم السيد علي بن الحسين العلوي

إشراف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

الطبعة الثانية - ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥ م

التنضيد والإخراج الكمبيوترية - حكمت، قم

المطبعة - النهضة، قم

الكمية - ٥٠٠ نسخة

ISBN 964 - 5915 - 63 - 5

شابک ٥ - ٦٣ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

EAN 9789645915634

ای بی بی ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٦٣٤

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابک X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (١٠٠ جلد)



المرحوم آية الله الشيرازي الحاج ميرزا علي قاسمي

الإهداء :

إلى من أوصانا الله فيهما بالإحسان وجناح الذلّ من الرحمة والقول الكريم .
إلى من هما مبدأ وجودي وحياتي ، وسابق كلّ نعمة .
إلى من كان يعشق ويهوى أبا حسن عليّ المرتضى عليه السلام .
إلى من شربت حبّ الوصيّ وغذّنتيه باللبن .
إلى أبي وأمي .

ابنكما القدوي
عادل العلوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإن الإسلام دين الله القيم الخالد، قد أنزلت شريعته انسحاء من السماء، جاء لسعادة البشر وكمائه وإيصاله إلى مطلق الكمال والكمال المطلق بتهدية وتعليمه البيان، وتعديل الغرائز والتقوى المكنونة في جبلته، وتنظيم حياته الفردية والاجتماعية على صعيد القسط والتموازنة، بين ما أودع الله في طبعه وطبيعته وكونه وتحكيم الأسس التربوية في بيئته وعلاقاته في إطار التقوى والورع والخط المتبلور بالاستقامة وعدم الانحراف، والمنصب في أساليب الهداية والإرشاد، والهادف إلى الخير والإحسان، والمتفتح أزهاره بالكفاح والنضال والجهاد.

فالإسلام دين الإنسانية جمعاء، يتظم بأحكامه وتشريعاته العادلة وقوانينه

٨ الأثر الخالد في الولد والوالد

القيمة جميع شؤون الحياة، في مختلف الحثول الفردية والاجتماعية من الثقافة والسياسة والاقتصاد والأخلاق والمجتمع وغير ذلك، وأنه يطرح برامج السامية والراقية متمشية مع كل عصر وفي كل موطن، فيربي الأمم والشعوب تربية سامية صالحة، وفي مساره لا يعترضه الهبوط والنسكون، إذ بيتني صرحه الشامخ على الفطرة والسجايا الإنسانية.

وما من صغيرة وكبيرة إلا والإسلام العظيم فيه حكم ودستور وتشريع رصين، فإنه يعلمنا كيف نعيش وكيف يكون الإنسان متقماً برداء الإنسانية، وينظم حياته الفردية والاجتماعية، ومنها علاقاته مع ربه ومع نفسه ومع الآخرين، وإليكم قراءنا الأعزاء نموذج حيّ وصورة بارزة من تلك المفاهيم السامية والحنائق الناصعة، وتلك علاقة الآباء والأبناء وبالعكس، ومن ثم حقوقهم وما يجب عليهم كل اتجاه الآخر، بلا ظلم ولا تعدي ولا إجحاف ولا إفراط، بل في أفق المحبة والموودة، وعالم الصفاء والصدقة، وعدم توتر علاقات الأبوة والبنوة، فإننا جعلناكم أمة وسطاً.

وإن علاقة الأبوين والأولاد لهي محط أنظار علماء النفس والمجتمع، بل وللفقهاء مباحث قيمة تدور حول الوالدين والأبناء في مسائل فقهية فرعية عديدة في كتاب الحج والحدود والنكاح، وأكثر أبواب الفقه، ولو أردنا جمعها لأدى ذلك إلى كتاب ضخّم، ولو أردنا تحقيقها والبحث حولها مسبقاً جامعاً، لوصل بنا الأمر إلى تأليف عشرات من الكتب والرسائل.

وزبدة المخاض أن للولد على الوالدين حقوقاً، كما للوالدين على الأولاد

حقوقاً، كما هو معلوم ذلك في جميع الأديان السماوية والأنظمة الاجتماعية والقوانين البشرية - وإن كانت ناقصة - .

وأما في الشريعة الإسلامية السمحاء، فترى ما يعجب الناظر ويدهش المحقق، وذلك في كيفية بناء العلاقة وحرصاتها وتحكيمها في المجتمع والأسرة، وحتى الإنسان نفسه .

والجدير بالذكر أن الولاية للأب وإن علا دون الأم، ولكن المحبة والشفقة والعطوفة للأم أولاً ثم الأب، وهناك لطائف وأسرار كثيرة في بيان علاقة الأبوة والبنوة من زاوية الإسلام العظيم، يقف عليها مطالعنا الكريم في هذا السفر الجليل .

إذ قد تصدّى والدي المرحوم سماحة العلامة آية الله السيّد علي بن الحسين العلوي تغمّده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه، وأنزل على رmse شآبيب رحمته، بأسلوب شيق، وقلم بارع، وتنسيق لطيف، وتبويب ظريف، لبيان وظائف الآباء والأبناء في كتابه القيم (الأثر الخالد في الولد والوالد) مستلهماً ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة النبوية والولوية من الرسول الأكرم والعترة الطاهرة عليهم السلام، إذ خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وترك لنا من بعده الثقلين، كتاب الله وعترته، وهما الركنان الأساسيان للإسلام، بل الإسلام كله، بتشريع الرسول الأكرم منجي عالم البشرية من حضيض الجهل والشقاء إلى وادي السعادة الخصبة بالعلم والإيمان .

والجدير بالذكر أنه في كل باب يذكر الوالد عليه السلام تعليقة فاضلة تمهيداً لفهم

١٠ الأثر الخالد في الولد والوالد

الأحاديث الشريفة، وما يُستلهم منها.

جزى الله المؤلف خير الجزاء وأحسن العطاء وأجزل الثناء، ووفقنا الله
لما يحب ويرضى، وقد نُقحت الكتاب وأضفت عليه فصولاً، والله من وراء
القصد، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

العبد

عادل العلوي

إيران - قم المقدسة - الحوزة العلمية

الأئمة الأطهار عليهم السلام

وُلد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

لا يشك أحد أن الأئمة الاثني عشر هم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة الزهراء سلام الله عليها. وقد صرح هو صلى الله عليه وآله وسلم بذلك في مواطن عديدة من كلامه . كما لا شك ولا ريب أنهم عليهم السلام من علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة عليها السلام . ولكن بما أن أئمتنا عليهم السلام لم يدعوا أمراً إلا وبينوه لنا نكحنا علي بصيرة من أمرنا . لذا حدثونا بهذا وبينوا لنا أن الأئمة محدثون أيضاً . يعني يطعنهم الله تعالى على غيبه بواسطة حديث الملائكة معهم ، وذلك ليس على الله بعزيز . وهو جلّت عظمته القائل :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١)

١ - أبو علي الأشعري ، عن انحسن بن عبيد الله ، عن الحسن بن موسى

١٢ الأثر الخالد في الولد والوالد

الخُشَّاب، عن عليّ بن سماعة، عن عليّ بن الحسن بن رباط، عن ابنه أذينة، عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: الاثنى عشر الإمام من آل محمّد صلوات الله عليهم كلّهم محدّث من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، وولد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فرسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام هما الوالدان ^(١).

(١) الكافي ١: ٤٤٨، باب ما جاء في الاثنى عشر عليهم السلام، الحديث ١٤.

العزیز فی کلّ مكان

هناك أشياء عزيزة، كالدرهم والدينار مثلاً، فكثيراً ما يعدو الإنسان بكلّ قواه ليصطادهما، فلا يقادان له، ولا يعتكفان بساحته، وإذا ظفر بهذين العزیزين، تراه يصرفهما بكلّ سهولة ورغبة في الأعزّ منهما، كأن لا عزة لهما على طول الخطّ... وهناك أشياء عزيزة أيضاً، لكن لا كالدرهم والدينار، ولا يجمعهما وجه شبه أبداً. منها: الولد الرشيد، المعين لأبويه على حروف الزمان، والآخذ بأيديهما عند العجز والكبر، فمثلته النعمة الكبرى، والجوهرة الثمينة، بل إنه هو النفس العزيزة وأعزّ منها. فيا أيها الأولاد كونوا للآباء عوناً وزيناً حتى تعزّوا في الدنيا والآخرة.

١ - قال الإمام الصادق عليه السلام: ثلاثة أشياء في كلّ زمان عزيزة، وهي الإخاء في الله تعالى، والزوجة الصالحة الأليفة تعينه في دين الله عزّ وجلّ، والولد الرشيد، ومن وجد الثلاثة فقد أصاب خير الدارين، والحظّ الأوفر من الدنيا والآخرة... الخ^(١).

(١) جاء في كتاب مصباح الشريعة: ٣٦، الباب الخامس والخمسون.

الأولاد والسعادة

الإنسان منذ نعومة أظفاره يحب السعادة ويهرب من الشقاء، فإنه يسعى ويجد بكل قواه لنيل السعادة والعيش الرغيد الممتع بالراحة والهناء، ويحاول بكل طاقاته أن يسعد نفسه أولاً، ثم أسرته ومجتمعه، والحق أن سعادة الإنسان والمجتمع إنما هي في نظام الإسلام الشامل الذي سنّه الله وأنزله للبشر، والبشرية منذ ميلادها وحتى اليوم وغداً لهم تجد نظاماً رصيناً في قوانينه ومقاصده وطريقه كالدين الإسلامي القويم إذ هو دين الله الذي يبني على الفطرة والعقل السليم.

والإسلام جاء لإسعاد الإنسان، وإدارة دفة السفينة البشرية وسوقها نحو ساحلها المأمون، وشاطئها المأمول شاطئ السعادة والعدالة والحرية، وساحل الرفاء والسلام والتقدم والازدهار، والتوصل إلى الكمال المطلق وتوحيد الله الأعظم.

والنصر حليف الإسلام شاءت الأعداء أم أبت والله متم نوره ولو كره المشركون، وقد أمرنا أن ندعو لسعادة أولادنا، ونطلب من الله ذلك وهم آجته في بطون أمهاتهم.

بحار الأنوار^(١)، بإسناده عن كتاب عند الشرائع، عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قال: تعالج النطفان في الرحم، فأيهما كانت أكثر جاءت تشبهها، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخوانه، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه، وقال: تحوّل النطفة في الرحم أربعين يوماً، فمن أراد أن يدعو الله عزّ وجلّ ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق، ثمّ يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله عزّ وجلّ فيقف منه ما شاء الله فيقول: الهي أشقي أم سعيد؟ فيوحى الله عزّ وجلّ من ذلك ما يشاء، ويكتب الملك فيقول: اللهم كم رزقه وما أجله؟ ثمّ يكتبه ويكتب كل شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه، ثمّ يرجع به، فيردّه في الرحم، فذلك الله عزّ وجلّ:

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾^(٢)

نهج النصيحة^(٣)، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ثلاث من سعادة المرء المسلم في الدنيا: الجار الصالح، والمسكن الواسع، والمركب البهي.

إن الله تعالى وكلّ بالرحم ملكاً يقول: أي ربّ نطفة أي ربّ علقه، أي ربّ مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقها، قال: أي ربّ شتيّ أو سعيد ذكر أو أنثى؟ فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمّه.

(١) بحار الأنوار ٥: ١٥٥

(٢) الحديد: ٢٢

(٣) نهج النصيحة: ٢٦٠، الحديث ١٢٥٧

السعادة والنعمة

للسعادة أسباب كثيرة، وهي حالة نفسانية تعتري الإنسان عند اجتماع أسبابها، ومن أهمّ الأسباب ما جاء في الحديث الولوي الشريف، اللهم ارزقنا.

١- حدّثنا أبي عليه السلام، قال: حدّثنا عليّ بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد ابن محمّد بن خالد البرقي، عن عثمان بن عيسى، عن عبد الله بن مسكان، يرفعه إلى عليّ بن الحسين عليه الصلاة والسلام، أنّه قال - روي فداه -: من سعادة المرء أن يكون متجره في بلاده، ويكون خلطاؤه صالحين، ويكون له وُلد يستعين بهم...^(١)

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ولد الرجل من كسبه...^(٢)

(١) الخصال: ١٢٧، باب الثلاثة، الحديث ٢٠٧.

(٢) غوالي الدرر: ١٦٨، حرف الواو.

٣ - الحسن بن فضل الطبرسي في مكارم الأخلاق نقلاً عن المحاسن للبرقي، عن الصادق عليه السلام، قال: من سعادة الرجل أن يكون الولد بشبهه وخلقه وشمائله...^(١)

٤ - عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: كان أبي عليه السلام يقول: سعد امرؤ لم يمت حتى يرى خلفه من نفسه...^(٢)

٥ - أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من نعمة الله على الرجل أن يشبهه ولده...^(٣)

٦ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سعادة المرأة: الزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب الهني، والولد الصالح...^(٤)

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٦١٤، باب ١، الحديث ٤.

(٢) نفس المصدر: الحديث ٥.

(٣) الجعفریات: ١٨٧، باب برّ الوالدين.

(٤) مستدرك الوسائل ٢: ٦١٥، باب ٢، الحديث ٢. الجعفریات: ٩٩، باب فضل الزوجة،

١٨ الأثر الخالد في الولد والوالد

٧- قال رسول الله ﷺ : من سعادة امرأة الخلطاء الصالحون ، والولد البار ...
الخير... الخ

٨- دعائم الإسلام : بإسناده عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام ،
عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : خمسة من السعادة : الزوجة الصالحة ، والبنون
الأبرار ... الخ ... الخ

٩- أبو علي ابن الشيخ الطوسي في أماليه ، عن أبيه ، عن الحسين بن
عبيد الله الغضائري ، عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري ، عن محمد بن
همام ، عن علي بن الهمداني ، عن محمد بن خالد البرقي ، عن أبي قتادة القمّي ،
قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ثلاثة هي من السعادة : الزوجة المواتية ، والولد
البار ... الخير ... الخ

(١) مستدرک الوسائل ٢ : ٦١٥ ، باب ٢ ، الحديث ٣ . أصله في النجفريات مع السند : ١٩٤ ،

باب في ذكر البنات .

(٢) المصدر السابق : الحديث ٤ .

(٣) المصدر : الحديث ٧ .

عمارة الدنيا

الدنيا تعمّر بأشياء أهمّها التناسل وبقاء النسل وتتبعها أمور لا تنفك عنها لتلازمها مع حياة الأفراد مثل الصنایع والمهن والعمارة والعمل والكّد والتجارة والفقّر والغنى والحاجة والسلطان بمعنى ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾^(١).

١- قال أحد العلماء: إنّ عمارة الدنيا منوطة بستّة أحوال، منها: الحنوّ على الأولاد، الذي لو زال من البشر لزال سبب التربية وكان في ذلك الهلاك...^(٢).

٢- قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، إنّ الله يصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته والدور حوله ما دام فيهم...^(٣).

(١) الزخرف: ٣٢.

(٢) معدن الجواهر: ٥٦، باب ذكر ما جاء في ستّة.

(٣) بندهای گرانمایه بیغمبر: ٣٨، حدیث ٧٨.

حِث الدنفا البنون

إنَّ ما يحِث الإنسان فف هذه الحفاة فنتج له فف هذه وفف بعدها .
أمَّا الذف فنتج فف هذه ، فهو المال والولد . ففذا كان المال من حلال فهفئفأ له
ما فستففد منه .

وأمَّا الذف فنتج له فف تلك ، فهو العمل الصالح الذف قدّمه وزرعه فف دنفاه .
وعلى هذا فقول رسول الله ﷺ لأبف ذر :

١- ففأبأ ذر ، حِث الآخرة العمل الصالح ، حِث الدنفا المال والبنون ... (١) .

٢- قال على ؓ : المال والبنون حِث الدنفا ، والعمل الصالح حِث
الآخرة ، وقد جمعها الله لأقوام ... (٢) .

وبالْحِث فزرع الإنسان ثم فحصد ، فمن زرع المكارم حصدها ، ومن زرع
السوء والمفاسد أصابته ، والدنفا دار المكافاة والنعكاس الأعمال .

(١) فندهاف كراسفد فبغمفر : ٣١ ، حدف ٥٨

(٢) تحف العقول : ١٥١ ، حكمه .

العون والعضادة

لا بدّ للمرء من معاون يعينه على أمور دينه ودنياه، وهل هناك أفضل من الولد يكون في عون أبيه؟ لا أظنّ أن يقرّ بهذا أحد! وإنّما الجميع يدري بأنّ أحسن الأعوان هو الولد الصالح، وهذا من سعادة من يحصل عليه، وهو أحد من يخلف به المرء، ويدرك به ظلامته، فقد جاء في الحديث الشريف ما نصّه:

١ - عيسى بن صبيح، قال: دخل العسكري عليه السلام علينا انحبس، وكنت عارفاً به. فقال لي: لك خمس وستون سنة وشهر ويومان، وكان معي كتاب دعاء عليه تاريخ مولدي، وإنّي نظرت فيه فكان كما قال عليه السلام.
ثمّ قال عليه السلام: هل رزقت من ولد؟ قلت: لا! قال عليه السلام: اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً، فنعم العضد الولد، ثمّ قال عليه السلام: من كان ذا ولد يدرك ظلامته، إنّ الدليل الذي ليس له ولد...

(١) مرآة الكمال: ٣٢، التعليقة عن الوسائق.

الولد نعمة

بهذا الإنسان على نعم الله تبارك وتعالى ، وأي نعمة أكبر وأعظم من ولد يهبه المولى الكريم جلّ جلاله لأبوين عطوفين حنينين ، يتبعها أنفسهما في نشأته ونموّه وتربيته ، ويخافا عليه من أصغر حادث يريبه أو يؤذيه إلى أن يبلغ أشده . فيا ليته يفتن ويبرّ بهما بعد تلك التي مضت ، وهو يسير إلى الرشد ، والتهاني تترى على أبويه .

١ - من أقوال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ، قال في رجل هتأه بولد : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، وبلغ أشده ، ورزقت برّه^(١) .

(١) جاء في كتاب درر الکنم : ١٨٢ ، في حرف التسين بلفظ شكر .

كفران النعمة

الإنسان كفور، لم يقم وزناً لأنعم الله تعالى، في حين أن نعمائه وآلائه جلّت عظمته لا تعدّ ولا تحصى، وأكثر من ذلك أنه يكفر، وهذا يكون سبباً لقطع الرحمة، وقلة البركة، وعدم رضى المولى جلّ جلاله، وإلى آخر ما ينشأ من هذه القضية من مآسي ومحن يشيب لها الأطفال، وأعظم الكفران: أن الفجرة من بني الإنسان نسبوا إلى الله ما لا ينبغي، طالع ما قاله رسول الله ﷺ:

١- يا أبا ذر: إن الله جلّ ثناؤه لما خلق الأرض، وخلق ما فيها من الشجر، لم تكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة، فلم تنزل الأرض والشجر كذلك، حتى تكلم فجرة بني آدم بالكلمة العظيمة، قولهم: (اتخذ الله ولداً) فلما قالوها افسحرت الأرض، وذهبت منفعة الأشجار...^(١)

(١) پندهای گرانمایه بیغمبر: ٤٠، الحديث ٨٢.

الولد ريحانة

الريحان زرع من الخضروات معطر، تميل إليه النفس وترتاح من شمّه الروح. والولد غصن شهوه بشطب الريحان، فالأبوان لثما ينظران إلى ولدهما يستشما منه ما هو أطر من الريحان في المعنى ونفوسهما، وما الذ من أن يكبر الولد ويمشي أمام أبويه - لا سيما إذا كان صالحاً - فقد نقل أن رجلاً جاء إلى البيت الهاشمي يسأل عن رسول الله ﷺ، وكان بعد وفاته ﷺ والرجل لا يعلم فلمّا علم حزن حزناً شديداً، فقال له الحسين عليه السلام: روجي فداء ما معناه: أتريد أن تنظر إلي من يشبه الرسول ﷺ، خَلْقاً وَخُلُقاً وَمَنْطِقاً، فجاء به إلى أن أراه علياً الأكبر عليه السلام، ففرح الرجل، ثم سألته الحسين صلوات الله عليه، أيها الرجل ما أئذ اللذائذ؟ فقال: أن يكون عندك ولد كهذا فيمشي أمامك، ثم قال الحسين عليه السلام: ما أشدّ الأحران، فقال: فقدك كهذا الولد، إلى آخره... لعن الله الظالمين لكم يا آل محمد صلوات الله وسلامه عليكم أجمعين إلى يوم الدين.

١ - قال النبي الأعظم ﷺ: الولد ريحانة، وريحانتي الحسنة والحسين

عليهم صلوات الله تعالى ...

٢- أخبرنا عبد الله بن محمد، قال : حدثنا محمد بن محمد، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل، عن أبيه، عن جدّه جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليّ ابن الحسين، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليهم الصلاة والسلام، قال : قال رسول الله ﷺ : الولد انصالح ريحانة من ريحان الجنة ...

٣- قيل : أطيب الروائح ريحان : ريح جسد تحبّه، وريح ولد تمرّ به ...

(١) غوالي الدرر : ١٦٨، حرف الواو.

(٢) الجعفریات : ١٨٨، باب برّ الوالدين ومسندرك الوسائل ٢ : ٦١٥، باب ٣، تحديد ١.

(٣) معدن الجواهر : ٢٩، باب ذكر ما جاء في النبيين

الأنس بالولد

لا شك ولا ريب في أنّ الإنسان يأنس ببعض الأشياء المطبوعة، حيث تتماشى مع طبيعته، كذلك لا شك في أنّ المطبوعات تختلف وتتمايز عنده، فبعضها تطابق ذوقه مئة بالمئة، وبعضها الآخر أقلّ من الأوّل، وهكذا، هذا كلّ من الغرائز الأوّلية والفظرية للبشر.

ثمّ إنّ الناس يختلفون حسب اختلاف أذواقهم، فترى الشيء المحبوب عند هذا لم يكن محبوباً عند الآخرين، والمرغوب عند الآخر لم يرغب فيه بعضهم، والمثل السائر يقول: لولا اختلاف الأذواق لبارت السلع في الأسواق.

ومن الجدير بالذكر أنّه مع اختلاف أذواقهم وروحياتهم وأوضاعهم وبيئاتهم، كلّهم قد اتحدوا في أمر واحد - وحتىّ شاركهم به الحيوانات - وهو الأنس بالولد، فالكبير والصغير، والغني والفقير، والأبيض والأسود، والشريف والوضيع، كلّ يأنس بطفله ويراه أبداع المخلوقات.

يقال أنّه قيل للغراب: جئنا بأجمل الفراخ، فجاء بفرخه، في حين أنّ فرخ الغراب من أقبح الفراخ، فقس على هذا فعلل وتفعلل.

١- أبو علي الأشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو ابن شمر، عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إني راغب في الجهاد، نشيط، قال: فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فجاهد في سبيل الله، فإنك إن تقتل تكن حيناً عند الله ترزق، وإن تمت فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت، رجعت من الذنوب كما ولدت، قال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله الكرام البررة) إن لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي، ويكرهان خروجي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله الطاهرين: فقرّ مع والديك، فوالذي نفسي بيده، لأنسهما بك يوماً وليلة خيرٌ من جهاد سنة...^(١)

٢- الصادق عليه السلام: الأنس في ثلاث: في الزوجة الموافقة، والولد البارّ، والصديق المصافي...^(٢)

٣- قيل: أنس المرء في خمسة أشياء، منه: الولد البارّ...^(٣)

٤- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: إني رجل شاب

(١) الكافي ٢: ١٢٨، باب البرّ، الحديث ١٠، والأخلاق: ١١٦، الباب العاشر.

(٢) تحف العقول: ٢٣٥، نشر الدرر.

(٣) معدن الجواهر: ٥١.

٢٨ الأثر الخالد في الولد والوالد

نشيط، وأحب الجهاد، ولي والده تكره ذلك؟ فقال له النبي ﷺ: ارجع فكن مع والدتك، فوالذي بعثني بالحق، لأتسها بك ليلة خير من جهادك في سبيل الله سنة ١٢٠٠

٥ - القطب الراوندي في لبّ الباب، قال: قال رجل: يا رسول الله ﷺ! جئتك أبأيعك على الهجرة، وتركت أبوي يبكيان، فقال ﷺ: ارجع واضحكهما... سنة ١٢٠٠

(١) الكافي ٤: ١٣٠، باب البر، الحديث ٢٠ والأخلاق: ١١٦، باب ١٠.

(٢) المستدرک ٢: ٦٣٢، باب ٧٧، حديث ١٠.

المقوم

لا بد لكل شيء من مقوم، فالنرد - مثلاً - لا يقومه إلا النوع، والنوع لا يقومه إلا الجنس والفصل وهكذا، ولا يوجد في الدنيا ما لا مقوم له، هكذا شاءت إرادة الله تعالى، لذا نرى أن قوام بعض الأشياء ببعض بحيث لولا المقوم - بكسر الواو - لما وجد المقوم - بفتح الواو - .

١ - من ذلك قيل أن سبعة أشياء لا قوام لها إلا بسبعة : منها : الولد بوالده^(١) .

٢ - ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِئَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(٢) .

(١) معدن انجواهر : ٦٠ .

(٢) البقرة : ٢٣٣ .

البشائر

البشارة هي الخبر المسرّ المفرح الذي يرتاح إليه الإنسان وكلّ ما كانت البشارة من جليل أو عظيم كانت هي الأخرى أجلّ وأعظم وذات قيمة كبيرة. ومن هنا يعلم أنّ أكبر البشائر هي ما كانت من المصدر الإلهي، والتي يبشّر بها الخلاق المتعال.

لكن، مع ذلك كلّه، ترى أنّ من البشائر ما يعكس فيها المطلوب فيبدّل الفرح بالحزن، والسرور بالهمّة والغمّ، وذلك كما كان في زمن الجاهلية الأولى. والقرآن الكريم يحدثنا بكلا الأمرين.

١ - ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٦﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٨﴾ ۝

٢- ﴿ وَيَجْعَلُونَ لَهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۗ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ
بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۗ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ
أُيْمَسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ ۗ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۗ ﴾

شراكة الشيطان

لعن الله إبليس، إنه لا يترك الإنسان في كل المجالات، في العبادات والمعاملات والمجاملات، وفي الأحوال والأبدان، فالكيس كل الكيس من اتقى شره، وابتعد عنه بالاستعاذة منه بالله العظيم في كل وقت وأن، حتى عند الإصابة فإنه من أخطر الأمور، وأثره من أسوأ الآثار، فالحذار الحذار.

١- قال رسول الله ﷺ: إن الله حرّم الجنة على كل فاحش بذيء، قليل الحياء، لا يبالي ما قال وما قيل فيه، أمّا أنّه إن تنسبه لم تجده إلاّ بغي أو شرك شيطان. قيل: يا رسول الله، وفي الناس شياطين؟ قال ﷺ: نعم، أو ما تقرأ قول الله عزّ وجل: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ [النساء: ٦٤].

(١) الإبراء: ٦٤.

(٢) تحف العنقول: ٣٦، مواضع النبي ﷺ.

قانون الوراثة

إنَّ حكم قانون الوراثة يجري في الآباء والأبناء، بمعنى أنه إذا كان في الوالد طبيعة أو عيب يرثه الولد، ولو كان بعد عدّة أظهر، وقد جُرّب هذا المعنى وثبت علمياً.

لذا كان أئمّتنا عليهم السلام يخبرون عن أفراد أشياء ويأمرون شيعتهم بانتظارها فيهم أو في أولادهم.

وهكذا يكون العكس، بمعنى أنه ينسب لشخص أمر ولا يكون فيه، ولكن كان في أبيه أو أحد آبائه.

١ - محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا قلنا في رجل قولاً فلم يكن فيه، وكان في ولده أو ولد ولده، فلا تنكروا ذلك، فإن الله تعالى فعل ما يشاء^(١).

(١) الكافي ١: ٤٥٠، باب في أنه إذا قل في الرجل، الحديث ٢.

٢- الحسين بن علي، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أحمد بن عائذ،
عن أبي خديجة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قد يقوم الرجل بعدل
أو بجور، وينسب إليه، ولا يكن قام به، فيكون ذلك ابنه أو ابن ابنه من بعده.
فهو هو.

تأثير المأكولات في الأولاد

إنَّ الله في خلقه شؤون. كان قبل البعثة رجال عظماء، يدينون لله تعالى بأحسن وجه، والناس تائهون في وديان انجهاثة والضلالة، وهؤلاء المنتدئين قد تمسكوا بالعروة الوثقى، أي تمسكوا بإرادة السماء، والله سبحانه وتعالى هداهم إلى أصوب الطرق وأحقها، فسئوا سنناً كبيرة وعظيمة بين الناس، فأمضاها ربُّ الأرباب تعالى وتقدس، وبقيت حتى البعثة وبعدها وإلى يوم القيامة. ما كان لله ينمو. هكذا وإلا فلا. فمن هؤلاء العظماء جدنا شيخ بني هاشم، عبد المطلب رضوان الله تعالى عليه، وجزءاً عنَّا خيراً.

ثم إنَّ كلَّ إنسان لا بدَّ له من سرور يدخله عند إسباغ نعمة من الله تعالى عليه، وأي نعمة بعد الإيمان بالله تعالى هي أعظم وأكبر من نعمة ولد صالح يستعين به الأب على دينه ودنياه، والولد هو السبب المباشر الوحيد في بقاء نسل الأب، وهو أقرب الأرحام إليه، وقد جاء في الكتاب العزيز آيات عديدة في الرحم وصلتها، فلأجل هذا كنه يفرح الوالد يوم يولد له الولد، وقد سنَّ رسول الله ﷺ ما يعبر عن الفرح والسرور عند الوالدين، ألا وهي الوليمة.

ثم إنَّ أشياء ينبغي تعلّمها واستعمالها وهي مؤثّرة في الولد، وأخرى ينبغي تعلّمها والعمل بها فهي أيضاً لها الأثر الوضعي بالنسبة للولد. بل الأولاد، وكلاهما

٣٦ الأثر الخالد في الولد والوالد

أي العمل والاستعمال يؤثّران في الأولاد سواء كانوا في الصلب أو في الرحم أو مولودين صغاراً أم كباراً. فإليك بعض ما فيها التأثير الحسن إن شاء الله تعالى.

١- قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربعمئة: أكل السفرجل قوّة للقلب الضعيف، ويطيّب المعدة، ويزيد في قوّة الفؤاد، ويشجّع الجبان، ويحسن الولد...^(١).

٢- وقال عليه السلام: حنكوا أولادكم بالتمر، هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله (بالحسن وبالحسن عليه السلام)...^(٢).

٣- قال أمير المؤمنين عليه صلوات ربّ العالمين: عن سيّد الخلائق أجمعين صلى الله عليه وآله: وتوقّوا على أولادكم لبن البغي من النساء، والمجنونة، فإنّ اللبن يعدي...^(٣).

٤- وقال عليه السلام: اختنوا أولادكم يوم السابع لا يمنعكم حرّ ولا برد...^(٤).
أقول: لا يفوتك أنّه لو بلغ وجب عليه الاختتان.

٥- ابن أبي عمير، قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما الصلاة

(١) المواعظ العددية: ٢٨٩.

(٢) المواعظ العددية: ٢٠٨، باب الأربعمئة

(٣) المواعظ العددية: ٢٩١، باب الأربعمئة

(٤) نفس المصدر: ٣٠٧.

تأثير المأكولات في الأولاد ٣٧

والسلام يقول - لما وند الرضا عليه السلام - : إنَّ إبني هذا ولد مختوناً طاهراً مطهراً، وليس أحد من الأئمة يولد إلا مختوناً طاهراً مطهراً، ولكننا سنمرَّ عليه الموسى لإصابة السنَّة واتباع الحنيفة...^(١)

٦ - قد ولد لأبي جعفر عليه الصلاة والسلام غلامان جميعاً، فأمر زيد بن علي أن يشتري له جزورين للعقيقة، وكان زمن غلاء، فاشتري له واحدة، وعسرت الأخرى، فقال لأبي جعفر عليه السلام : قد عسرت علي الأخرى، فأتصدَّق بثنمها؟ قال عليه السلام : لا، اطلبها فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يحبُّ إهراق الدماء وإطعام الطعام...^(٢)

٧ - عبد الله بن بكير، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ، فجاءه رسول عمِّه عبد الله بن علي، فقال له : يقول لك عمُّك : إنَّا طلبنا العقيقة فلم نجدها، فما ترى؟ تتصدَّق بثنمها؟ قال عليه السلام : لا، إنَّ الله تعالى يحبُّ إطعام الطعام وإرارة الدماء...^(٣)

٨ - حديث عمَّار الساباطي، عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام، قال : العقيقة لازمة لمن كان غنياً، ومن كان فقيراً إذا أيسر، فإن لم يقدر على ذلك فليس عليه شيء...^(٤)

(١) مرآة الكمال : ١٤، المقام الثاني، التعليقة، عن الوسائل.

(٢) مرآة الكمال : ١٧، العقيقة، عن الوسائل.

(٣) نفس المصدر.

(٤) المصدر السابق.

تسمية الأولاد

إحدى موارد التعارف هو الاسم، وهو أهم من بقية أسباب التعارف، فالناس -والحق يقال- يعرفون بأسمائهم، أما العلامات الأخرى فهي قليلة الجدوى، ويكفي إنّه لولا الاسم لما أحضرت المعاني الكلية والجزئية بأسهل مؤونة في الذهن، مثلاً لو كنت في بلد ما، وأردت إحضار الفيل في ذهن صاحبك، كيف يمكن تناوله من غابات الهند، وكيف يمكنك إدخاله في ذهن صاحبك، فتبين أن الاسم له أهمية كبيرة جداً بالنسبة إلى جميع الأشياء والموجودات.

فمن هذا يلزم أن نسمي كل شيء ليعرف وجوده الخارجي بوجوده اللفظي، منه الجنين في بطن أمه فيستحب أن يسمى كي يثبت في دفتر وسجل الأمة المرحومة...

١- عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام أنّه قال: سموا أولادكم قبل أن يولدوا، فإن لم تدرؤا أذكر أم أنثى، فسّموهم بالأسماء التي تكون للذكر والانثى، فإن أسقاطكم إذا تقوكم في القيامة ولم تسموهم سيقول السقط لأبيه:

ألا سميتي؟ ...

٢- عن أبي الحسن موسى عليه السلام : إن أول ما يبزر الرجل ولده أن يسميه باسم حسن ، فليحسن أحدكم اسم ولده ...

٣- عن النبي صلى الله عليه وآله ، أنه قال : استحسنوا أسماءكم ، فإنكم تدعون بها يوم القيامة ...

٤- الجعفریات ، أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد بن محمد ، قال : حدثني موسى بن إسماعيل ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن أول ما ينحل أحدكم ولده : الاسم الحسن ، فليحسن أحدكم اسم ولده ...

٥- فقه الرضا عليه السلام : سمّه بأحسن الأسماء ، وكنّه بأحسن الكنى ...

(١) مرآة الكمال : ٨ ، الفصل الأول ، والمواعظ العديديّة : ٣٠٥ ، باب الأربعانة ، بزيادة (وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً قبل أن يولد).

(٢) مرآة الكمال : ٨ ، الفصل الأول ، عن نوسائل .

(٣) المصدر السابق ، عن نوسائل .

(٤) المستدرک ٢ : ٦١٧ ، باب ١٤ ، الحديث ١ ، والجعفریات بكامل سندّه : ١٨٩ ، باب في المعروف .

(٥) المستدرک ٢ : ٦١٨ ، باب ١٤ ، الحديث ٥ ، وباب ١٨ ، الحديث ٢

٦- عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ولد له أربعة، فلم يسمّ بعضهم بأسمي فقد جفاني عليه السلام.

٧- العياشي في تفسيره، عن ربيعي بن عبد الله، قال: قيل لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، إنا نسمي بأسمائكم وأسماء آبائكم، فينفعنا ذلك؟ فقال عليه السلام: إي والله! وهل الدين إلا الحبّ والبغض؟ قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (٣: ٣١).

(١) الجعفريات: ١٨٣.

(٢) آل عمران: ٣١.

(٣) المستدرک: ٢: ٦١٨، الباب ١٥، الحديث ٢.

الكنية من الأدب

إنّ العرف قد جعل لكلّ موضوع علامات، وجعل علامات للاحترام بالنسبة إلى الآخرين، فمثلاً: جعل علامة احترام الوارد القيام أمامه، واحترام الراجل أن يبدأه الراكب بالسلام، وهلمّة جزأً علامات الاحترام كثيرة وكثيرة جداً. وقد قرّر الإسلام العظيم ما لا ينافيه من أعراف الناس، فقلل وكثّر، وجرح وأعدل، ونفى وأثبت، وأسّس ما لم يكن يدركه الناس من قبل، وكلّ ذلك بأمر من السماء، على لسان خير البريّة محمّد ﷺ، وآله الميامين عليهم صلوات الملك العلام. فمن تعاليمهم السامية، الأدب الرفيع، حيث أنّ الرجل ينادى بكنيته إجلالاً وإعظاماً له. فتمسكّ بهم تسعد.

١- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من السنّة والبرّ أن يكنّى الرجل باسم أبيه...^(١)

(١) الكافي ٢: ١٣٠، باب البرّ، الحديث ١٦، ونجفريات بسنده: ١٨٩، باب ذكر البنات باختلاف يسير، والمستدرک ٢: ٦١٨، باب ١٨، الحديث ١ بسنده الكامل.

عند الولادة

إنَّ الشرع المقدّس لم يترك صغيره ولا كبيرة للإنسان إلا وله فيها وعليها حكم، فمن انعقاد النطفة في صلب الأب، بل قبل ذلك، أحكامه تجري على الإنسان، ففي كل خطوةٍ خطوةٍ تسير اللقمة ثم النطفة ثم العلقة ثم المضغة حتى تصل نوبة الجنين إلى الولادة.

وفي كل هذه المراحل يكون المسؤول الأوّل هو الوالد، وإلى بعد هذه المراحل حتى البلوغ، بل وحتى في سني الشباب وإن طال عمره حتى في الكهولة تبقى مسؤوليته الأدبية بين الأبوة والبنوة.

ومع ذلك يكون الإنسان عند البلوغ مكلفاً بتكاليف لم يكن له بدّ من تحمّلها، فمثل ما كان الأب مكلفاً ببعض الأمور فكذلك الابن يكلف ببعضها. ولا ريب أنه مهما كبر أوئد تثقل مهمته كما تخفّ مهمة الأب، وهكذا تسري الأحكام جيلاً بعد جيل، وأمّا عند الولادة:

١- فعن علي بن الحسين عليه السلام أنه كان إذا حضر ولادة المرأة يقول:

عند الولادة ٤٣

أخرجوا من في البيوت من النساء. لا تكون المرأة أوّل ناظر إلى عورتها...

أقول : توجد آيات تكتب وتقرأ عند تعشير الولادة. فليراجع...

-
- (١) مرآة الكمال : ٤ ، الفصل الأوّل . نقلًا عن الوسائل .
(٢) مرآة الكمال للعلامة المامقاني ، والمستدرك للعلامة النوري .

وليمة المولود

كل إنسان لا بدّ له من سرور يدخله عند إسباغ نعمة من الله تعالى عليه، وأي نعمة بعد الإيمان بالله تعالى هي أعظم وأكبر من نعمة ولد صالح يستعين به الأب على دينه ودنياه، والولد هو السبب المباشر الوحيد في بقاء نسل الأب، وهو أقرب الأرحام إليه، وقد جاء في الكتاب العزيز آيات عديدة في الرحم وصلتها، فلأجل هذا كلّه يفرح الوالد يوم يولد له الولد، وقد سنّ رسول الله ﷺ ما يعبر عن الفرح والسرور عند الوالدين، ألا وهي الوليمة.

١- حدّثنا محمّد بن عليّ بن ماجيلويه رضي الله عنه، قال: حدّثنا الأعمى محمّد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن سجادة العابد واسمه الحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن موسى بن بكر، قال أبو الحسن الأوّل عليه الصلاة والسلام: قال رسول الله ﷺ: لا وليمة إلا في خمس: أ- في عرس. ب- أو غرس. ج- أو عذار. د- أو وكار. ه- أو ركاز. فأما العرس: فالتزويج. والغرس: النفاس بالولد. والعذار: الخستان. والوكار: الرجل يشتري الدار. والركاز: الذي يقدم من مكّة...^(١)

(١) الخصال: ٢٥٤، باب الخمسة، الحديث ٩١. ومثله الحديث ٩٢، فراجع.

التهنئة بالولد

يُهَنِّأُ الْإِنْسَانَ عَلَى نِعْمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَيُّ نِعْمَةٍ أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْ وَلَدٍ يَهَبُهُ الْمَوْلَى الْكَرِيمَ جَلَّ جَلَالُهُ لِأَبْوَيْنَ عَطُوفَيْنِ حَنِينَيْنِ، يَتَعَبَا أَنْفُسَهُمَا فِي نَشْأَتِهِ وَنُمُوِّهِ وَتَرْبِيَّتِهِ، وَيَخَافَا عَلَيْهِ مِنْ أَصْغَرِ حَادِثٍ يَرِيْبُهُ أَوْ يُؤْذِيهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ أَشَدَّهُ. فَيَا لَيْتَهُ يَفْطَنُ وَيَبْرِّ بِهُمَا بَعْدَ تِلْكَ الَّتِي مَضَتْ، وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى الرَّشْدِ، وَالتَّهَانِي تَتْرَى عَلَى أَبِيهِ.

١ - من أقوال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه^(١): وقال عليه السلام في رجلٍ هتَّاهُ بولدٍ: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشدَّه، ورزقت برَّه...

٢ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال لرجلٍ رأى معه صبياً: من هذا؟ قال: ابني! قال صلى الله عليه وآله: متَّعك الله به، أما لو قلت بارك الله فيه لك قدَّمته...^(٢).

(١) درر الكلمه . حرف الشين بلفظ شكر . الصفحه ١٨٣ .

(٢) مستدرک الوسائل ٢ : ٦١٤ ، باب ١ . الحديث ٦ .

٣- رزق الحسن بن علي عليه السلام غلاماً فأتته قريش تهنيئه، فقالوا: يُهنيك الفارس، فقال عليه السلام: أي شيء هذا القول؟ ونعله يكون راجلاً، فقال له جابر: كيف تقول يا ابن رسول الله؟ فقال عليه السلام: إذا ولد لأحدكم غلاماً، فأتيتموه، فقولوا له: شكرت الوهاب، وبورك في الموهوب، بلغ الله به أشده، ورزقك برّه...^(١).

٤- الصدوق في الخصال، عن أبيه، عن سعيد بن عبد الله، عن محمد بن عيسى اليقطيني، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي بصير ومحمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا هنتم الرجل عن مولود ذكر، فقولوا بآرك لك في هبته، وبلغه أشده، ورزقك برّه...^(٢).

(١) تحف العقول: ١٦٦، عن الحسن عليه السلام. والمسندرك أخذ منه ٢: ٦١٧، باب ١٣، الحديث

١. ونهج البلاغة ما بمعناه: ٢١٨، المختار عن الحكم.

(٢) المسندرك ٢: ٦١٧، باب ١٣، الحديث ٢.

شباهة الولد

لا بدّ للولد أن يشبه إمّا الأعمام وإمّا الأخوال، ولهذا الشبه أسرار عجيبة والإسلام العظيم كاشف الأسرار، ما من معضلة إلا ويحلّها الإسلام لأنّه جاء من أجل كمال البشرية، لذا ترى (بونابرت نابليون) يقول: (إنّ أمني الوحيد في الحياة هي أن أعيش حتّى تتاح لي الفرصة لأجمع الحكماء والمفكرين من أقطار العالم لأضع معهم دستوراً متّحد الشكل على أساس من تعاليم القرآن الرفيعة، لأنّ هذه التعاليم هي التي يمكنها أن تقود الناس إلى الخير والسعادة والرفاء)^(١). هذا هو الإسلام وهذه شهادات أعظم العالم له.

١ - وأمّا شبه الولد أعمامه وأخواله: فإذا سبق نطفة الرجل نطفة المرأة إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أعمامه، ومن نطفة الرجل يكون العظم والعصب. وإذا سبق نطفة المرأة نطفة الرجل إلى الرحم، خرج يشبه إلى أخواله، ومن نطفتها يكون الشعر والجلد واللحم لأنّها صفراء رقيقة...^(٢).

(١) الإسلام أبداً.

(٢) علل الشرائع: ١، العلة الثالثة.

الولد الصالح

يخلف المرء في ثلاثة أحدها الولد، فإن من لم يكن له ولد، فلا ذكر له بعد الموت، ولو أن هناك آثاراً أخرى تكون ذكراً له، ولكن الولد أثره أكبر وأكبر، لا سيما إن كان من الصالحين. فإنه يحيى والده في كل حين، ربي لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، فعليه أمرنا بطلب الولد كي يكون لنا ثمراً جنيئاً إن شاء الله تعالى. ويستحب الدعاء لمن أبطأ عليه الولد.

١- قال أمير المؤمنين عليه أفضل تحيات رب العالمين : عن النبي ﷺ قال : واطلبوا الولد فإنه أكابر بكم الأمم غداً... (١).

٢- ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۖ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ

(١) المواعظ العديدة : ٢٩١، باب الأربعمائة. وتحف العقول : ٦٩، وصايا أمير المؤمنين

(بلا نطفة غداً).

بِيْحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَضُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ
أَنْتَى يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا
يَشَاءُ ﴿١١﴾

٣- [من المأثور] اللهم لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، وحيداً وحشاً
فيقصر شكري عن تفكّري، بل هب لي عافية صدق ذكوراً وإناثاً أنس بهم من
الوحشة، وأسكن إليهم من الوحدة، وأشكرك عند تمام النعمة، يا وهّاب يا عظيم
يا معظّم، ثم اعطني في كلّ عافية شكراً حتّى تبلغني منها رضوانك في صدق
الحديث وأداء الأمانة ووفاء العهد.

٤- [من المأثور أن يقول وهو ساجد] ربّ هب لي من لدنك ذرّية طيّبة،
ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين.

٥- [أن يقول عند الجماع] اللهم ارزقني ولداً، واجعله تقيّاً، ليس في خلقه
زيادة ولا نقصان، واجعل عاقبته إلى خيرة.

(١) آل عمران : ٣٨ - ٤٠.

(٢) مرآة الكمال : ٣٥، وفي المستدرک مثله مع اختلاف يسير ٢ : ٦١٦، باب ٦، الحديث ٢،
فراجع.

(٣) نفس المصدر، وفي مستدرک الوسائل ٢ : ٦١٦، باب ٦، الحديث ١ مع اختلاف، فراجع.

(٤) المصدر السابق، مرآة الكمال.

٦ - عن مولانا السجاد عليه السلام، أنه قال: قل في طلب الولد: رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، واجعل لي من لدنك ولياً يرثني في حياتي، ويستغفر لي بعد موتي، واجعله خلقاً سوياً، ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك إنك أنت الغفور الرحيم. سبعين مرة. فإنه من أكثر هذا القول يرزقه الله تعالى ما تمنى من مال وولد، ومن خير الدنيا والآخرة، فإنه يقول: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات، ويجعل لكم أنهاراً^(١).

٧ - [في خبر] إن الاستغفار في كل يوم وفي كل ليلة مائة مرة يورث رزق الولد^(٢).

٨ - هشام بن إبراهيم، إنه شكى إلى أبي الحسن عليه السلام سقمه وأنه لا يولد له، فأمره أن يرفع صوته بالأذان في منزله. قال: ففعلت فأذهب الله عني سقمي وكثر ولدي^(٣).

٩ - روي أن رجلاً شكى إلى مولانا الباقر عليه السلام قلة الولد، وأنه يطلب

(١) المصدر نفسه، مرآة الكمال.

(٢) مرآة الكمال.

(٣) مرآة الكمال.

الولد من الإمام والحرائر فلا يرزق، وهو ابن ستين سنة، فقال عليه السلام : قل ثلاثة أيام في دبر صلاة المكتوبة صلاة العشاء الآخرة، وفي دبر صلاة الفجر، سبحان الله سبعين مرة، وأستغفر الله سبعين مرة، وتختمه بقول الله عز وجل: ﴿ اَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَبْنِيْنَ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾، ثم واقع امرأتك الليلة الثالثة فإنك ترزق بإذن الله تعالى ذكراً سوياً، ففعل ذلك فلم يحل الحول حتى رزق قرّة عين (١).

١٠- ورد قراءة (وذا النون) إلى ثلاث آيات عند الجماع لطلب الولد (٢).

١١- فقه الرضا عليه السلام، فإذا أدخلت عليك فخذ بناصيتها واستقبل القبلة بها، وقل: اللهم بأمانتي أخذتها، وبميثاقي استحلت فرجها، اللهم فارزقني منها ولداً مباركاً سوياً، ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً... (٣).

١٢- عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنّه كان يقرأ: وإتي خنت الموالى من ورائي، لأنّه لم

(١) نوح: ١٠ - ١٢.

(٢) مرآة الكمال. وعينه في المستدرک مع رجال السنن ٢: ٦١٦، باب ٨، الحديث ١.

(٣) مرآة الكمال.

(٤) المستدرک ٢: ٦١٦، باب ٩، الحديث ١.

يكن له ولد، حتى وهب الله تعالى له بعد الكبر ولداً...

١٣- أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن، عن أبيه، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد البرقي (قال) قال حماد بن عيسى: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: جعلت فداك، ادع الله أن يرزقني ولداً، ولا يحرمني الحج ما دمت حياً. (قال) قال: فدعالي، فرزقني الله ابني هذا، وربما حضرت أيام الحج ولا أعرف للنفقة فيه وجهاً، فيأتي الله بها من حيث لا يحتسب...^(١)

(١) الجعفريات: ١٧٧، كتاب تفسير.

(٢) أمالي المنيد: ٦، المجلس الأول.

الأدب والتعليم والتربية

من أهم ما يجب على الأبوين تربية أولادهم تربيةً صحيحةً سالحة، وهي التربية الإسلامية بلا نزاع، لأننا رأينا بأمة أعيننا أن الأجانب جاؤوا بقوانين وأصول للتربية الحديثة، وبعد مدة قليلة نراهم ذكروا أصولهم وقوانينهم بذبول يخطئ بعضها البعض، والحق كلما كان منها موافقاً للأسس والمبادئ والأصول الإسلامية كان صالحاً وفاقياً لا تشوبه شائبة، وكلما كانت من توليد أدمغة مفكري العصر تذيلت وتفتحت ثم أهملت.

وهذا ليس لشيء إلا لكون الإنسان لا يتمكن من تصحيح وتنقيح إنسان آخر، لأنه هو بالذات يحتاج إلى مربٍّ يرثيه، فكيف يتمكن من تربية غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه، فانهصرت التربية في خائق الإنسان والذين انتخبهم وعينهم وعلمهم ليرثوا هذا البشر التائه في وديان جهالته. والمنتخبون هم الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين ثم أوصيائهم عليهم السلام، إلى أن وصلت النوبة إلى نبينا الأعظم الأكرم محمد منقذ البشرية من داهية الجهالة الدهماء، ومرتبى الإنسان جيلاً بعد جيل إلى انتهاء العالم، بل العوالم أجمع. ومن بعده أوصيائه المنصوبون من قبل رب العالمين على نسان صفته وحببيه المصطفى محمد بن عبد الله، فهم القادة وهم

٥٤ الأثر الخالد في الولد والوالد

الموصولون أحكام الله تعالى للناس، والله تعالى في خلقه شؤون. فقاموا واستقاموا حتى أعطوا البشر في العالم كله ما يحتاج لذيابها ولآخرته، وأوكلوه بتربية غيره على نهجهم، فهذا ما يخص الأب والابن، وإلى آخر القضايا.

١- روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: أمهل صبيك يلعب حتى يأتي له ست سنين، ثم ضمّه إليك سبع سنين، فأدبه بأدبك، فإن قبل وأفلح وصلاح، وإلا فخلّ عنه فإنه لا خير فيه...^(١)

٢- وعنه عليه السلام أنه قال: الغلام يلعب سبع سنين ويتعلّم الكتاب سبع سنين، أو يتعلّم الحلال والحرام سبع سنين...^(٢)

٣- عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: يرفّ - أي يحسن إليه - الصبي سبعا، ويؤدّب سبعا، ويستخدم سبعا، ومنتهى طوله في ثلاث وعشرين سنة، وعقله في خمس وثلاثين، وما كان بعد ذلك فبالتجارب...^(٣)

٤- عن النبي ﷺ، أنه قال: الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين،

(١) مرآة الكمال: ٢٧، الحضانة.

(٢) المصدر نفسه ونقله المستدرک من كتاب نوادر عليّ بن أسباط ٢: ٦٢٥، باب ٦٠، الحديث ١، مع السند.

(٣) المصدر نفسه، مرآة الكمال.

ووزير سبع سنين، فإن رضيت خلفه لإحدى وعشرين سنة، وإلا فاضرب على جنبيه، فقد أعذرت إلى الله تعالى...^(١)

٥ - عن أحدهما عليه السلام أنه قال: إذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له سبع مرّات قل: لا إله إلا الله، ثم يترك حتى يتّم له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوماً، فيقال له: قل: محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله سبع مرّات، ويترك حتى يتّم له أربع سنين، ثمّ يقال له سبع مرّات: قل: صلّى الله على محمّد وآل محمّد، ثمّ يترك حتى يتّم له خمس سنين، ثمّ يقال له: أيّهما يمينك وأيّهما شمالك، فإذا تمّ له ستّ سنين، يقال له: صلّ، وعلم الركوع والسجود حتى يتّم له سبع سنين، فإذا تمّ له سبع سنين قيل له: اغسل وجهك وكفيك، فإذا غسلهما قيل له: صلّ، ثمّ يترك حتى يتّم له تسع، فإذا تمّت له علم الوضوء وضرب عليه، وعلم الصلاة وضرب عليها، فإذا تعلّم الوضوء والصلاة غفر الله تعالى لوائديه...^(٢)

٦ - عن العبد الصالح - أي الكاظم - عليه السلام أنه قال: يستحبّ غرامة الصبي في صغره ليكون حليماً في كبره...^(٣)

٧ - عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال: أدب اليتيم

(١) نفس المصدر، مرآة الكمال.

(٢) نفس المصدر، مرآة الكمال.

(٣) المصدر، مرآة الكمال.

٥٦ الأثر الخالد في الولد والوالد

مما تؤدّب به ولدك، واضربه ممّا تضرب به ولدك...^(١)

٨- أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد، حدثني موسى، حدثنا أبي، عن جدّه جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، قال: قال رسول الله ﷺ: علّموا أبناءكم الرمي والسباحة...^(٢)

٩- روي عن العالم عليه السلام أنّه قال: ثمانية أشياء من كنّ فيه أدخله الله الجنّة، ونشر عليه الرحمة، منها: وحسن تربية ولده...^(٣)

١٠- جعفر بن أحمد القمي، في كتاب الغايات، عن عليّ عليه السلام، أنّه قال: ما نحل وولد أنحلاً أفضل من أدب حسن...^(٤)

١١- القطب الراوندي في لبّ اللباب، عن النبيّ ﷺ، قال: لأن يؤدّب الرجل ولده خير له من أن يتصدّق كل يوم بنصف صاع...^(٥)

١٢- عوالي اللآلئ، عن النبيّ ﷺ، قال: أكرموا أولادكم وأحسنوا

(١) المصدر، مرآة الكمال.

(٢) الجعفریات، ٩٨، باب سباحة النساء.

(٣) معدن الجواهر، ٦٤، باب ما جاء في تباييد.

(٤) المستدرک، ٢: ٦٢٥، باب ٥٩، الحديث ٢.

(٥) المصدر، باب ٦٠، الحديث ٤، ومرآة الكمال، ٢٩.

آدابهم...^(١)

١٣- وقال ﷺ: رحم الله عبداً أعان ولده على برّهِ بالإحسان إليه، والتألف له، وتعليمه، وتأديبه...^(٢)

١٤- عن عليّ بن أبي طالب: علّموا صبيانكم الصلاة، وخذوهم بها إذا بلغوا الحلم...^(٣)

(١) المصدر: باب ٦٣، الحديث ٣. ومراة الكمال: ٢٩، الحضنة، بإضافة (يغفر لكم).

(٢) المستدرك ٢: ٦٢٦، باب ٦٣، الحديث ٩.

(٣) غرر الحكم: ٤٩٩، الفصل ٥٥، حرف نعين باللفظ المطلق، الكلمة ٢٠، المستدرك ٢:

٦٢٦، الحديث ١٢.

التصابي

للولد حقّ على والديه - وهذا ممّا لا شكّ ولا ريب فيه - ومن حقّه عليهما أنّه ينبغي لهما أن يتصابيا لصبيهما، ومعنى ذلك مثلاً أن يلعب الإنسان مع الصبي بلعبه، فكم كان رسول الله ﷺ يلاعب ويداعب الحسنين عليهما ويجعل من نفسه ﷺ كأحدهما عليهما، حتّى أنّهم - كما قيل - كانوا يعلنون على منته المبارك وكأنّه البعير لهم، فيحملهم ويقول: العفو العفو. وهناك أحاديث ترمز إلى هذا المعنى. فمنها:

١ - محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما، قال: قال النبي ﷺ: من كان عنده صبيّ فليتصاب له... (١)

(١) مرآة الكمال: ٢٦، الحضانه، في تعليقه.

إعالة الأولاد

إن موضوع الإعالة موضوع مهم جداً، وقد درسه وتدارسه علماء الاقتصاد من زمن غير قريب، ولهم فيه الكلام الطويل من تنض وإبرام، ودفع ودخل، فمنهم من أوجب النفقة - أي إعالة الأولاد - وهو ما وافق الأحكام الإسلامية، وطبعاً بحدود حدّدها الشرع الشريف - راجع كتاب النكاح في الفقه -، ومنهم من لا يوجبها، بل يشكّلها ويعرفها بشكل لا طائل تحته مهما بحثنا ونبحث. وإنا إذ أسلمنا وجهنا لله تعالى، ما لنا وأقوال المخلوق نه جلّ وعلا في أمور قد شرع لها نهجاً قوياً مستقيماً، كما قد أغضينا عن التفلسف فيما وجب علينا تعبداً.

١ - حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، قال: حدّثنا محمّد بن عيسى بن عبيد، عن زكريا المؤمن، رفعه إلى أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام، قال: من عال ابنتين أو أختين أو عمّتين أو خالنتين حجبتاه من النار... (١)

(١) الخصال: ٣٠، باب الابنتين، الحديث ١٤.

موجبات الرحمة على الوالد

إن الإنسان مهما كانت له حسنات ومهما عمل الخيرات فإنه مع ذلك محتاج كل الاحتياج إلى رحمة الله تعالى. ولا ينبغي أن يكتفي الإنسان بما قدّم أيام حياته لآخرته، صحيح أن السراج يوضع أمام الثمر ليرى طريقه ولكن الاحتياج أكثر مما يتصور، فعليه ينبغي للرجل النبيه أن لا يقصّر في تربية ولده كي ينشأ نشأة صالحة حتى يكون بعده سبباً لغفران ذنوب والديه بطلب المغفرة والدعاء ولا ينتقطع الثواب بعد الوفاة.

١- قال رسول الله ﷺ: سبعة أشياء يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته، منها: وخلف ولداً صالحاً يستغفر له بعد وفاته...^(١)

٢- روي عن العالم الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: ثمانية أشياء من كنّ فيه أدخله الله تعالى الجنة ونشر عليه الرحمة، منها: وأحسن تربية ولده...^(٢)

(١) معدن الجواهر: ٥٩، باب ذكر ما جاء في سبعة.

(٢) معدن الجواهر: ٦٤، باب ذكر ما جاء في ثمانية.

٣- قال نبي الرحمة ﷺ: رحم الله ولداً أعان ولده على برّه...^(١)

٤- وفي الخصال عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، قال: ما من الشيعة عبد يقارف ما نهيناه عنه فيموت، حتى يتلى ببلية تمحص بها ذنوبه، إمّا في مال، وإمّا في ولد، وإمّا في نفسه، حتى يلقي الله عزّ وجلّ وما له ذنب، وإنّه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيشدّد عليه عند موته...^(٢)

٥- وعن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: مرّ عيسى بن مريم بقرية يعذب صاحبها، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذب، فقال على نبيّنا وآله وعليه السلام: يا رب، مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يعذب، ثمّ مررت به العام فإذا هو ليس يعذب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا روح الله، إنّه أدرك له ولد صالح، فأصلح طريقاً، وأوى بيتاً فغفرت له بما عمل ابنه...^(٣)

٦- في الخصال^(٤)، مسنداً عن الصادق عليه السلام قال: ستّ خصال ينتفع بها

(١) غوالي الدرر: ٧٧، حرف الراء.

(٢) تسلية الخوادم: ٤٧، في سكرات الموت.

(٣) تسلية الخوادم: ٨٦، في أحوال البرزخ.

(٤) الخصال: ٢٦٣، أبواب الستّة، الحديث ٩.

٦٢ الأثر الخالد في الولد والوالد

المؤمن بعد موته : ولد صالح يستغفر له ، ومصحف يقرأ فيه ، وقليب يحفره ،
وعرس يعرسه ، وصدقة ماء يجريه ، وسنة حسنة يؤخذ بها من بعده...^(١)

٧- وفي البحار مسنداً عن الصادق عليه السلام ، قال : ليس يتبع الرجل بعد موته
إلى يوم القيامة من الأجر إلا ثلاث خصال : صدقة أجزاها في حياته فهي تجري
بعد موته إلى يوم القيامة صدقة موقوفة لا تورث ، أو سنة هدى سنها فكان يعمل
بها وعمل بها في بعده غيره أو ولد صالح يستغفر له...^(٢)

٨- وعن الصادق عليه السلام ، قال : خير ما يخلفه الرجل بعده ثلاثة : ولد بار
يستغفر له ، وسنة خير يقتدى به فيها ، وصدقة تجري من بعده...^(٣)

(١) تسليمة الفؤاد : ١٣٤ ، في ما يلحق الرجل بعد موته .

(٢) تسليمة الفؤاد : نفس المصدر .

(٣) تسليمة الفؤاد : نفس المصدر .

توابع المرء

لا بد للإنسان من الرحيل، فإن هذه الحياة ليست مقاماً للمقام، كل من عليها فان، أما، فإذا يبقى وماذا يأخذ؟ يقول: الناس ما ترك، وتقول الملائكة: ما قدم؟ أما ما تركه فهو للوارث يتنعم به، وأما الذي يأخذه وهو تابع وبقاى إليه: هي ثلاث: قالها الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

١ - حدثنا أبي عليه السلام، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ليس يتسع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجزاها في حياته فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة، وصدقة موقوفة إلا تورث، أو هدى سنها فكان يعمل بها وعمل بها من بعده غيره، أو ولد صالح يستغفر له... (١).

أقول: هنيئاً لمن رزقه الله هذه فإنه لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، فيا ليتنا لم نحرم منها إن شاء الله تعالى.

(١) الخصال: ١١٩، باب القلائد، الحديث ١٨٤.

التمتع بالولد بعد الموت

لماذا نحبّ الولد؟ لأننا نتمتع به، ويمكن أن يدوم هذا التمتع ويتصل سلكه إلى الآخرة، إلى بعد هذا التمتع المنقطع، والتمتع هناك دائم والالتذاذ باقي، لكن بشرط أن يربي الأب الولد حسب ما يرتضيه الله جلّ وعلا ذكره، فإن تعب عليه وربّاه تربية صالحة، يكون الولد له رحمة، وإن تركه في الوسط المنحرف المنجرف فضلّ عن الصواب، فإنّه يتحمّل التبعة ويكون الولد عليه نقمة - والعياذ بالله - ربّنا أصلحنا وذريّاتنا واجعلنا مسلمين لك إنك على كلّ شيء قدير.

١ - حدّثنا أبي بصير رضي الله عنه، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن عيسى بن عبيد، عن محمّد بن شعيب الصيرفي، عن الهيثم أبي كهمس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ستّ خصال ينفع بها المؤمن بعد موته: ولد صالح يستغفر له، ومصحف يقرأ فيه، وقليب (بئر) يحفره، وغرس يخرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنة حسنة يؤخذ بها بعده... الخ.

كمال الأدب مع الوالدين

لكل شيء زينة في الدنيا، وزينة المرء كمال الأدب.
مما يجب على الولد أن يكون مؤدباً في كل حال وكل حين، لا سيما
وبالخصوص عند والديه، فإن الأدب عند الوالدين مما يزيد في توفيق الإنسان،
لذا ترى القرآن الكريم ينادي بأعلى صوته :

١- ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ
الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ
وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبُّيَ صَغِيرًا ۗ ﴾

٢- قال - أي أبو ولاد النحاط - ثم قال أبو عبد الله عليه الصلاة والسلام:
وأما قول الله تعالى : ﴿ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ
وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ ﴾ ، قال منجنيب : إن أضجرك فلا تقل لهما أف ،

(١) الإسراء : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) الإسراء : ٢٣ .

٦٦ الأثر الخالد في الولد والوالد

ولا تنهرهما بن ضرباك. قال مشيخة : ﴿ وَقُلْ لهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ ، قال مشيخة : إن ضرباك فقل لهما غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم...^(١)

٣- قال مجاهد معناه إن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويحدثان فلا تتفذرهما، وأمط عنهما كما كانا يميطنان عنك في حال الصغر، والمتبرم ومن يكثر قول أف، وهي كلمة تدل على الضجر...^(٢)

(١) ذرايع البيان : ١٧٥، الآفة الثامنة.

(٢) مجمع البيان : ٦ : ٤٠٩، ذيل آية (وقضى ربك) من سورة بني إسرائيل.

أفضل الأعمال للولد

الأعمال على شطرين : أعمال ذات فضيلة، وأعمال ذات رذيلة. أمّا الرذائل فلسنا هنا بصددّها. وأمّا الفضائل : فهي من الكلّي المشكك، أي لها مراتب متعدّدة، فبعضها أفضل من البعض الآخر. إن قلت : كيف ترتّب هذا الترتيب ؟ قلنا هذا ترتيب رتبه المولى جلّ وعلا شأنه. وهو أعلم بالمصانح، فكلمّا كانت المصلحة فيها أتمّ وأكمل فهي أفضل، وهذا ما يحكم به العقل والنقل. وما بعد الحقّ إلا الضلال.

١ - حدّثنا أبي بصير رضي الله عنه قال : حدّثنا عليّ بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد ابن أبي عبد الله البرقي، عن محمّد بن أحمد الأيادي، عن عبد الله بن محمّد، عن عمرو بن شمر، عن أبان بن محمّد، عن محمّد بن عليّ رضي الله عنه، قال : ما من عمل أفضل يوم النحر من دم مسفوك، أو مشي في برّ الوالدين، أو ذي رحم قاطع يأخذ عليه بالفضل ويبدأه بالسلام، أو رجل أطعم من صالح نسكه ودعا إلى بفتيتها جيرانه من اليتامى وأهل المسكنة والمملوك، وتعاهد الأسراء...

الإطاعة (إطاعة الوالدين)

لو نظرنا إلى أبعاد إطاعة الوالدين لرأيناها أبعد ممّا نتصوّر، وذلك على لسان القرآن الكريم حيث قال حاكياً عن إسماعيل ذبيح الله :

١- ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمُرُ ﴾^(١)، وهو - أي إبراهيم عليه السلام - يريد ذبحه .

٢- عن الراوندي ، عن رسول الله ﷺ ، أنّه قال - في حديث إلى أن قال :-
وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فأخرج ولا تحزنهما...^(٢)

٢- وقال ﷺ : طاعة الله طاعة الوالد...^(٣)

(١) الصّافّات : ١٠٢ .

(٢) ذرايع البيان : ٢٠٠ ، نكسلة .

(٣) غوالي الدرر : ١٠٧ ، حرف انطاء

٤- ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (١) .

٥- ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ (٢) .

٦- قال الصادق عليه السلام : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ، قال : لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برفقة ورحمة ، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ، ولا يدك فوق أيديهما ، ولا تقدم فداً لهما... (٣) .

٧- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه جميعاً ، عن الحسين بن محبوب ، عن أبي ولاد الحنطاط ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٤) ، ما هذا الإحسان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : الإحسان أن تحسن صحبتهم وأن لا تكلفهم أن يسألك شيئاً مما يحتاجان إليه ، وإن كانا مستغنيين ، أليس يقول الله عز وجل : ﴿ لَنْ تَسْأَلُوا اللَّهَ حَتَّى تُلْفَقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٥) ، قال : ثم قال أبو عبد الله

(١) الإسراء : ٢٤ .

(٢) العنكبوت : ٨ .

(٣) مجمع البيان ٦ : ٥٠٩ ، ذيل آية (وفضل ربك) من سورة بني إسرائيل

(٤) الإسراء : ٢٣ .

(٥) آل عمران : ٩٢ .

٧٠ الأثر الخالد في الولد والوالد

عليه أفضل التحيات : وأما قول الله عز وجل : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا ﴾ قال سلام الله عليه : إن أضجرك فلا تقل لهما آف. ولا تنهرهما إن ضرباك. قال : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ قال عليه السلام : إن ضرباك فقل لهما : غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم. قال : ﴿ آخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ قال عليه السلام : لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقدم قدماهما...^(١)

٨- ابن محبوب، عن خالد بن نافع التجلي، عن محمد بن مروان، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال : يا رسول الله أوصني ! فقال عليه السلام : لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار وعدت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان، ووالديك فأطعهما ويزهما، حين كانا أو ميتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، فإن ذلك من الإيمان...^(٢)

(١) الإسراء : ٢٣.

(٢) الكافي ٢ : ١٢٦، باب البر، الحديث ٨.

(٣) الكافي ٢ : ١٢٦، باب البر، الحديث ٢.

جزاء الوالد

لَمَّا كَانَ الْوَالِدُ السَّبَبَ الْمُبَاشِرَ فِي إِتْيَانِ الْوَلَدِ إِلَى عَالَمِ الْوُجُودِ، وَالْوُجُودَ مِنْ أَهْمَةِ نَعْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ وَلَيْسَ هُنَاكَ فَضْلٌ لَا يُجَازَى، كَانَ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُجَازِيَ وَالِدَهُ بِأَحْسَنِ مَا يُمْكِنُ، وَلَوْ أَنَّ حَقَّ الْوَالِدِ لَا يُؤَدَّى وَلَا يُمْكِنُ تَأْدِيتهُ عَلَى مَا يَفِي حَقَّهُ، وَلَكِنْ لَا يَتْرَكَ الْمَيْسُورَ بِالْمَعْسُورِ.

١- قال رسول الله ﷺ: لا يجزي ولد والده إلا بشيء واحد، وهو أن يجده مملوكاً فيشتريه ويعتقه... الخ.

٢- قال الصادق عليه السلام لأحد أصحابه وقد ذكر المسير: إن الأمور به من ذلك ثمانية: منها: سر سنتين برّ والديك... الخ.

٣- وفي الكافي مسنداً عن سويد بن غفلة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(١) معدن الجواهر: ٢١، باب ما جاء في واحد.

(٢) معدن الجواهر: ٦٤، باب ذكر ما جاء في ثمانية.

٧٢ الأثر الخالد في الولد والوالد

إنَّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا، وأوَّل يوم من أيام الآخرة، مثل أنه ماله وولده وعمله - إلى أن قال - فبئس نصيب لي ولدي. فيقول: والله إنني كنت لكم محبباً وإنني كنت عليكم محامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤذيك إلى حفرتك نواريك فيها... الخ.

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن حنان بن سدير، عن أبيه، قال: قلت لأبي جعفر عليه صلوات الله: هل يجزي الولد والده؟ فقال عليه السلام: ليس نه جزاء إلا في خصلتين: يكون الوالد مملوكاً فيشتره ابنه فيعتقه، أو يكون عليه دين فيتضيه عنه... الخ.

(١) تسوية الفؤاد: ٨٩، في أحوال البرزخ.

(٢) الكافي ٢: ١٣٠، باب البر، الحديث ١٩

الدافع إلى الجنة برّ الوالدين

قد جعل الله تبارك وتعرّز لكلّ شيء سبباً، فأحدى أسباب دخول الجنة هو دفع بعض الأشخاص وذلك لبعض الأعمال الذي قاموا بها في دار الدنيا، وأهمّها البرّ بالوالدين، فإنّه السبب الرئيسي في دخول الجنة. هكذا اقتضت حكمة الله تعالى.

١ - عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سيف، عن أبي عبد الله عليه صلوات الله، قال سلام الله عليه: يأتي يوم القيامة شيء مثل الكعبة، فيدفع في ظهر المؤمن فيدخله الجنة، فيقال: هذا البرّ...
أقول: كلمة البرّ مطلقة ولكن بقرينة أنّها جاءت مع روايات البرّ بالوالدين يمكن تقييدها بهما، وإن قلت بالأعمية، قلنا: فليكن أشخاص أفرادها الوالدين.

الخلود

كلنا يعلم أن هناك جنة ونار، وثواب وعقاب، وكذلك أيضاً كلنا يعلم أن من أهل النار من يخلد فيها، وأن أهل الجنة من الخالدين فيها أبداً، وقسم ثالث هم الذين لم يخلدوا في النار، لهم مدة معينة يسكنونها، ثم ينجون منها، ويتعمون بنعيم الجنة، وهذه الفرقة الثالثة لا يرون ما هم عليه إلا بأعمالهم التي قاموا بإتيانها في دار الدنيا، ولكن هناك قسم من الخالدين في الجنة بلا عمل عملوه في الدنيا، وهم كما قاله الشيخ المنيد أعلى الله مقامه الشريف في شرح اعتقادات الصدوق :

١ - قال عليه الرحمة : الجنة دار النعيم لا يلحق من دخلها نصب، ولا يلحقهم فيها لغوب، جعلها الله داراً لمن عرفه وعبده، ونعيمها دائم لا انقطاع له، والساكنون فيها على أضراب :

فمنهم من أخلص لله تعالى، فذلك الذي يدخلها على أمان من عذاب الله تعالى .

ومنهم من خلط عمله الصالح بأعمال سيئة، كأن يسوف منها التوبة

فاخترمته المنيّة قبل ذلك، فلحقه ضرب من العتاب في عاجله وآجله، أو في عاجله دون آجله، ثمّ سكن الجنّة بعد عفو أو عتاب.

ومنهم من يتفضّل عليه بغير عمل سلفاً منه في الدنيا، وهم الوالدان المخلّدون الذين جعل الله تعالى تصرفهم لحوائج أهل الجنّة ثواباً للعالمين، وليس في تصرفهم مشاقّ عليهم ولا كلفة، لأنّهم مطبوعون إذ ذاك على المسارة بتصرفهم في حوائج أهل الدنيا.

الجنة

لو فكرنا قليلاً وأمعنا النظر لرأينا الجنة هي غاية الغايات، وهي لا تحصل إلا بأمور، وأهمها خدمة الوالدين ورضاها، فإن الجنة تحت أقدام الأمهات، فلا يسعنا إلا أن نخدم والدينا، سواء في حياتهم أو بعد وفاتهم، وإن كانت طريقة الخدمة تختلف عند الحياة وبعد الممات، إلا أننا مسؤولون في كلتا الحالتين، فلنهنئ أنفسنا، ولنستمع إلى ما جاء من كبرائنا، أهل بيت العصمة، وموضع الرسالة محمد وآله الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين.

١ - حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه، قال: حدثني عمي محمد بن أبي القاسم، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: أربع من كن فيه، بنى الله له بيتاً في الجنة: من أوى اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه... وغير ذلك

(١) الخصال: ١٨٠، باب الأربعة، الحديث ٥٣ وفي المحاسن، البرقي عن ابن محبوب،

٢ - حدثنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن جدّه، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من كنّ فيه، نشر الله عليه كنفه وأدخله الجنة في رحمته: حسن خلق يعيش به في الناس، ورفق بالمكروب، وشفقة على الوالدين، وإحسان إلى المملوك...^(١)

٣ - وقد ورد عن الرسول الأعظم محمد ﷺ من أصبح مرضياً لأبويه، أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى فمثل ذلك، وإن ظلماً، وإن ظلماً، وإن ظلماً...^(٢)

(١) الخصال : ١٨١، باب الأربعة، الحديث ٥٧

(٢) ذرايع البيان : ١٧٨، الآفة ثامنة.

النار

نعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار، أن المعاصي كثيرة، وبعضها كبيرة،
ومن أكبرها سخط الوالدين، فإنه داء وييل، من ابتلي لا ينجيه ملك مقرب، فهذا
رسول الله ﷺ يحذّرنا من سخط الوالدين وينذرنا النار وغضب الجبار. اللهم
ارض عنا والدينا بمحمد وآله الأظهر صلواتك عليهم أجمعين.

١- وقد ورد عن الرسول الأعظم محمد ﷺ: ومن أصبح مسخوطاً
لأبويه، أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، ومن أمسى مثل ذلك، وإن كان واحداً
فواحد، وإن ظلماً، وإن ظلماً، وإن ظلماً...

الجَنَّة من النار

الوقاية خير من العلاج، والحميّة رأس السلامة، فمن توقّى واحتمى سلم. هذه أحاديث من الرسول والآل صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعليهم أجمعين. أمامكم فتوقّوا بها، واحتموا بمبادئها، فإنّها خير وقاية للمتقين، وامنع حماية للمحتمين. قد أوضحوا لنا الطريق وأناروه وعلمونا ما لم نكن نعلم، فها، طرق الجنّة، وذي مهاوي النار - والعباذ بالله - . ومما علّمونا هو خدمة الأبوين فإنّها وقاية وحميّة وجنّة من النار. اللهم اجعل محبتنا لآبائنا الكرام جنّة لنا من النار، بمحمد وعترته الطيّبين الأضهار، صلواتك عليهم أجمعين، آمين.

١ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن عبد الله بن مسكان، عن إبراهيم بن شعيب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه أفضل السلام: إن أباي قد كبر جداً وضعف، فنحن نحمله إذا أراد الحاجة، فقال: إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولتّمه بيدك، فإنّه جنّة لك غداً...^(١)

(١) الكافي ٢: ١٢٦، باب البر، الحديث ١٢.

سخط الله ورضاه

جاء في تاج العروس : السخط . ضدّ الرضا . وهو الكراهة للشيء وعدم الرضا به . وقد سخط : كفرح . يسخط سخطاً وتسخط ، أي كره وتكره ، والمسخوط المكروه . وتقول كلما عملت له عملاً تسخطه أي تكرهه ولم يرضه . وهناك أعمال تصدر من العبد لم يكن لله فيها رضا فيسخطها ، بل ويسخط العبد كذلك . منها الولد يسخط والديه .

١ - عن الراوندي ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : من أسخط والديه فقد أسخط الله ، ومن أغضبهما فقد أغضب الله (تعالي) ...

رضا الله ورضا الوالدين

هل يمكن لعبد يؤدي حقوق الله كما هو حقّه؟ كلاًّ ثمة كلاًّ. ولما كان حقّ الوالدين مشتقّ من حقّ الله تبارك وتقدّس كيف يمكن أدائه! وبغضّ النظر عن أداء الحقّ كلّه، يظنّ أن لا يمكن أداء قسط ضئيل منه، فالويل كلّ الويل للذين لا يسعون في أداء هذا الحقّ العظيم.

١- قال الصادق عليه وعلى آبائه وأبنائه انصلاة والسلام: برّ الوالدين من حسن معرفة العبد بالله، إذ لا عبادة أسرع بلوغاً لصاحبها إلى رضا الله من برّ الوالدين المؤمنين لوجه الله تعالى، لأنّ حقّ الوالدين مشتقّ من حقّ الله تعالى، إذا كانا على منهاج الدين والسنة، ولا يكونان يمنعان الولد من طاعة الله تعالى إلى طاعتها (معصيته خ ل) ومن اليقين إلى الشكّ، ومن الرهد إلى الدنيا، ولا يدعوانه إلى خلاف ذلك، فإذا كانا كذلك - أي يدعوان إلى خلاف طاعة الله تعالى - فمعصيتهما طاعتها معصية، قال الله تعالى وتقدّس: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ

٨٢ الأثر الخالد في الولد والوالد

سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مَرَجَعَكُمْ ﴿١﴾

٢- وأما في باب المصاحبة (العشرة خ ل) فقاربهما وارفق بهما واحتمل
أذاهما بحق (بنحو خ ل) ما احتملا عنك في حال صغرك، ولا تضيق عليهما
فيما قد وسع الله عليك من المأكول والملبوس ولا تحوّل وجهك (بوجهك خ ل)
عنهما، ولا ترفع صوتك فوق صوتهما، فإنّ تعظيمهما من أمر الله، وقل لهما
بأحسن التّون، والطف بهما، فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين.

٣- قال رسول الإنسانية ﷺ: يا عليّ! رضا الله من رضا الوالدين... (٣).

٤- قال ﷺ: يا عليّ! اسخط الله في سخط الوالدين... (٤).

(١) لقمان : ١٥

(٢) جاء في كتاب مصباح الشريعة : ٤٨، الباب الثاني والسبعون.

(٣) غوالي الدرر : ١٧٢، حرف أيباء.

(٤) نفس المصدر.

حَقُّ الوَالِدِينَ

ذوي الحقوق كثيرون، ولكن أكبر الحقوق وأعظمها وأولها حق الله سبحانه وتعالى، ورسوله عليه وآله الصلاة والسلام، وأولياءه عليهم صلوات رب الأرباب، لأن من أعظم النعم وأكبرها من هؤلاء؟ فالله تعالى حدث عن نعمه ولا حرج:

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾

وأما الرسول ﷺ، فكم قاسى المحن واحتمل المصائب والأذى في سبيل هداية وسعادة البشر، حتى قال ﷺ: ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت. وأما الأولياء أئمة الخلق وهداة الحق المصطفين المنتجبين صلوات الله عليهم أجمعين، فسل عنهم التاريخ والعلم والإنسانية لترى أياديهم على كل ذي وجود من يومهم إلى آخر الدنيا، بل وحتى في الآخرة ونعيمها، فاز من تمسك بهم ونجى، وخسر من تركهم وهوى، اللهم أحينا حياتهم وأمتنا مماتهم، واحشرنا معهم بحقهم عليك وحقك عليهم آمين آمين يا رب العالمين.

١- قال رسول الله ﷺ : حق عليّ ﷺ على المسلمين كحقّ الوالد على ولده...^(١)

٢- وقال النبيّ ﷺ أيضاً : أنا وعليّ أبو هذه الأمة...^(٢)

٣- عليّ بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن، عن درست بن أبي منصور، عن أبي الحسن موسى عليّ آباءه وأبنائه وعليه أفضل التحيات والبركات من الله تعالى، قال : سألت رجلاً رسول الله صلى الله عليه وعليّ آله البررة الكرام : ما حقّ الوالد على ولده ؟ قال صلوات الله المتعال عليه وآله الطاهرين : لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسبّه...^(٣)

٤- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله ابن بخر، عن عبد الله بن مكيان، عن عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام، قال : قال - وأنا عنده - لعبد الواحد الأنصاري في برّ الوالدين في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾^(٤)، فظننّا أنّها الآية التي في بني إسرائيل

(١) غوالي الدرر : ٤٩، حرف الحاء

(٢) نفس المصدر.

(٣) الكافي ٢ : ١٢٧، باب البرّ، الحديث ٥.

(٤) الإسراء : ٢٣.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾^(١) فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ، سَأَلْتَهُ ؟
فَقَالَ : هِيَ الشَّيْءُ فِي لِقْمَانِ ﴿ وَأَوْصَيْنَا الْإِنْسَانَ بَوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾^(٢) ، ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ
عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾^(٣) ، فَقَالَ : إِنْ ذَلِكَ أَعْظَمَ (مَنْ)
أَنْ يَأْمُرَ بِصَلْتِهِمَا وَحَقِّهِمَا عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ ﴿^(٤) ؟ فَقَالَ : لَا بَلْ يَأْمُرُ بِصَلْتِهِمَا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ الشُّرْكِ مَاذَا وَحَقِّهِمَا إِلَّا
عَظْمًا ...^(٥)

(١) الإسراء : ٢٣ .

(٢) العنكبوت : ٨ .

(٣) لقمان : ١٥ .

(٤) العنكبوت : ٨ .

(٥) الكافي ٢ : ١٢٧ ، باب البيِّر ، الحديث ٦ .

الشكر (شكر الوالدين)

من الواجب على كل ذي لب شكر المنعم، وقد أوجبه العقل والنقل.
أما العقل: لا شك ولا ريب أنه يحكم بوجوب الشكر عند إسدال النعمة،
ومن لم يشكر المنعم فقد ظلمه، وظلمه قبيح عقلاً.
وأما النقل: فقد جاء في الأخبار الكثيرة ما يدل على وجوب شكر المنعم،
وأنّ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وأنّ من لم يشكر المخلوق لم يشكر
الخالق، ثم من يستحقّ الشكر بعد الله سبحانه وتعالى أكثر من الوالدين، فإنّهما
السبب الظاهري في وجود الإنسان، وأيّ نعمة هي أولى وأكبر وأفضل من نعمة
الوجود، وكان الإنسان معدماً لو لا اقتضاء حكمة الله عزّ وجلّ جعل الأبوين جزء
علّة إيجاده، فعليه يجب الشكر للوالدين كما يجب لله تعالى. وهو القائل تعزّز
وتقدّس: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (١)

١ - حدّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه رحمته الله، قال: حدّثني أبي، عن أحمد بن

أبي عبد الله البرقي، عن السيارى، عن الحارث بن وهب، عن أبيه، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: إن الله عز وجل أمر بثلاثة، مقرون بها ثلاثة أخرى: أمر بالصلاة والزكاة، فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه صلاة، وأمر بالشكر له وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله، وأمر بالبقاء الله وصلته الرحم فمن لم يصل رحمه لم يتق الله عز وجل ...

جند العقل

إنّ للعقل جنوداً يحرسونه من الآفات، ويساعدونه في الملمات، ولقد منّ الله تعالى على العقل بهذه الجنود المجتدة كي لا تبقى عليه حجة، وله الحجة البالغة تبارك وتعالى، وفي هاتيك الجنود - وقد ذكرها المسعودي في كتابه إثبات الوصية^(١) -

١ - هو البرّ بالوالدين :

(أقول) ثمّ بلغ عدد الجنود كما عدّها (٨١) جندياً كلّ منهم يكفي لأن يقود الإنسان إلى شاطئ الخير والسلامة والسعادة.

(١) أقول : الخير المذكور في تكافي أيضاً، وفيه عن خلق العقل وآتة خلق من نور الله سبحانه، فهو مخلوق نوري ونوراني، وإنّ الله أعطاه سبعين جندياً، كما خلق النجمل من الظلمة، ومن عدته أعطاه سبعين جندياً أيضاً، ولمش هذا الجند إنسان دوماً في صراع بين عقله وجهنه وجنودهما، وإنيك الحديث الشريف :

البرّ والبارّ

من أفضل الطاعات البرّ، ومن أفضل البرّ الوالدين، فرحى لمن برّ والديه، وطوبى له، فإنّ الجنّة مأواه، وانّ نار بعيدة عنه، وهو من السعداء، وقد جرّبنا من كان برّاً بوالديه في زماننا هذا ورأيتاه يعيش في سعة الرزق وتغدو وتروح عليه الأيام وهو في بحبوحة النعيم، سواء كان ثرياً أم لا، وسواء كان عاملاً أم ربّ عمل، والحكايات على هذه كثيرة وكثيرة جدّاً، ليس المقام مقام السرد، لخوف الخروج عن صلب الموضوع، لكنّ كيفما تعامل أبويك يعاملك أبناؤك، فإنّ الدنيا دار مكافاة، وكما تدين تدان، وكما تهين تهان.

١- حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصقّار، عن محمّد بن عبد الجبار، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن الحسن بن عليّ بن رباط، عن أبي بكر الخضرمي، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: برّوا آبائكم يبرّكم أبناؤكم، وعفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم... (١).

(١) الخصال: ٤٤، باب الاثنين، الحديث ٧٥.

٢- حدَّثنا أبي بصير، قال: حدَّثني علي بن موسى بن جعفر بن أبي جعفر الكميدي، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن أبي عمير، عن الحسين بن مصعب الهمداني، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة لا عذر لأحد فيها: أداء الأمانة إلى البرِّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرِّ والفاجر، وبرِّ الوالدين برِّين كانا أو فاجرين...

٣- حدَّثنا أبي بصير، قال: حدَّثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب، عن عنبسة بن مصعب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاث لم يجعل الله تعالى لأحدٍ من الناس فيهنَّ رخصة: برِّ الوالدين برِّين كانا أو فاجرين، ووفاء بالعهد للبرِّ والفاجر، وأداء الأمانة إلى البرِّ والفاجر...

٤- أخبرني الخليل بن أحمد السجزي، قال: أخبرنا أبو القاسم البغوي، قال: حدَّثني علي يعني ابن الجعد، قال: أخبرنا شعبة، قال: أخبرني الوليد بن الغيران بن حريث، قال: سمعت أبا عمرو الشيباني، قال: حدَّثني صاحب هذا الدار، وأما بيده إني دار عبد الله بن مسعود، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال صلى الله عليه وسلم: الصلاة لوقتها. قلت: ثمَّ

(١) المصدر السابق: ٩٨، باب الثلاثة، الحديث ١١٨. وعن علي بن إبراهيم، نفس المتن،

الكافي ٢: ١٢٩، باب البرِّ، الحديث ١٥.

(٢) المصدر السابق: ١٠١، باب الثلاثة، الحديث ١٢٩.

أَيَّ شَيْءٍ؟ قَالَ يَهْدِي: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ. قَدْتُ: ثُمَّ أَيُّ شَيْءٍ؟ قَالَ كَتَمْتُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَحَدَّثَنِي بِهَذَا، وَنَوَّاسْتَرَدَّتْهُ لِوَالِدِي...^(١)

٥- قَالَ مَنْقُذُ الْبَشَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ يورث رضا الرحمن...^(٢)

٦- وَقَالَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ يَجْزِي عَنِ الْجِهَادِ...^(٣)

٧- وَقَالَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَيِّدُ الْأَبْرَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ بَرٌّ وَالِدِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا...^(٤)

٨- ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَوْ كُنَّ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾^(٥)

٩- ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾^(٦)

١٠- الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مَعْلَى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَاءِ، عَنِ مَنْصُورِ بْنِ

(١) الخصال : ١٢٩، باب الثلاثة، الحديث ٢١٣

(٢) غوالي الدرر : ١٥، حرف الباء.

(٣) نفس المصدر.

(٤) المصدر السابق : ٩٠، حرف السين.

(٥) مريم : ١٤.

(٦) العنكبوت : ٨.

٩٢ الأثر الخالد في الولد والوالد

حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلب: أي الأعمال أفضل؟ قال صلوات الله وسلامه عليه: الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، واجتهاد في سبيل الله عز وجل...^(١)

١١ - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله ابن بحر، عن عبد الله بن مسكان، عن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: وأنا عنده - لعبد الواحد الأنصاري في بر الوالدين في قول الله عز وجل: ﴿وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾^(٢) - إنى أن قال عليه السلام - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾^(٣)، ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾^(٤)، فقال عليه صلوات الله: إن ذلك أعظم (من) يأمر بصلتهما وحقهما على كل حال، ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٥)؟ فقال عليه السلام: لا بل أمر بصلتهما وإن جاهداه على الشرك ما زاد حقهما إلا عظماً...^(٦)

١٢ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن إسماعيل بن مهران، جميعاً عن سيف بن عميرة، عن عبد الله بن مسكان، عن عمار بن حيان، قال: خبرت

(١) الكافي ٢: ١٢٧، باب البر، الحديث ٤.

(٢) الإسراء: ٢٣.

(٣) العنكبوت: ٨.

(٤) لقمان: ١٥.

(٥) العنكبوت: ٨.

(٦) الكافي ٢: ١٢٧، باب البر، الحديث ٦.

أبا عبد الله عليه السلام ببرّ إسماعيل ابني بي، فقال: لقد كنت أحبّه، وقد ازدادت له حبّاً، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتته أخت له من الرضاعة، فلما نظر إليها سرّها، وبسط ملحفته لها، فأجلسها عليها، ثمّ أقبل يحدثها، وبضحك في وجهها، ثمّ قامت وذهبت، وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟ فقال صلى الله عليه وآله: لأنّها كانت أبرّ بوالديها منه...

١٣- عنه (أي محمّد بن يحيى)، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصّياح، عن جابر، قال: سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي أبوين مخالّين؟ فقال عليه السلام: برّهما كما تبرّ المسلم من من يتولانا...

١٤- عنه - البرقي -، عن محمّد بن عليّ، عن عبد الرحمان بن محمّد الأسدي، عن حريب الغزّال، عن صدقة الثّواب، عن الحسن البصري، قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام بمنى، وقد مات رجل من قريش، فقال عليه السلام: يا أبا سعد، قم بنا إلى جنازته، فلما دخلنا المقابر قال عليه السلام: ألا أخبركم بخمس خصال هي من البرّ، والبرّ يدعو إلى الجنّة. قلت: بلى. قال عليه السلام: إخفاء المصيبة وكتمانها، والصدقة تعطىها بيمينك لا تعلم بها شمالك، وبرّ الوالدين فإنّ برّهما لله رضى، والإكثار من قول (لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم) فإنّه من كنوز الجنّة، والحبّ لمحمّد وآل محمّد عليهم السلام أجمعين...

(١) الكافي ٢: ١٢٩، باب البرّ، الحديث ١٢

(٢) الكافي ٢: ١٢٩، باب البرّ، الحديث ١٤

(٣) المحاسن ٨: ٨، كتاب الأشكال والقرائن، الحديث ٢٧

الإشفاق

إنَّ اللهَ تبارك وتعالى يرحم عباده، وجعل لكلِّ شيءٍ شيئاً، ولنزول رحمته على عباده أيضاً أسباب، منها إشفاق الأولاد على أبويهما...

١- قال سيّدنا الرسول الأكرم ﷺ : أربع خصال من كنَّ فيه أدخله الله تعالى جنّته ونشر عليه رحمته، منها : من أشفق على والديه...^(١).

٢- وقال ﷺ : من ألهم أربعة أشياء : من برّ والديه، أنسيء في أجله، ووسع عليه في رزقه، ومنع بعثله، وسهل عليه في ساقته، يريد به الموت، ولقّن حجّته في قبره...^(٢).

٣- روي عن العالم سيّدنا أنّه قال : ثمانية أشياء من كنَّ فيه أدخله الله تعالى

(١) معدن الجواهر : ٣٩، باب ذكر ما جاء في أربعة.

(٢) معدن الجواهر : ٤٠، باب ذكر ما جاء في أربعة.

الجنة ونشر عليه الرحمة، منها: وبرّ والديه...^(١)

٤- وقال (رسول الله) ﷺ: تفتح أبواب السماء بالرحمة في أربع مواضع: عند نزول المطر، وعند نظر الولد في وجه الوالدين، وعند فتح باب الكعبة، وعند النكاح...^(٢)

٥- قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: الله رحيم بعباده ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فيها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحن الأمهات من الحيوانات على أولادها... إلى آخر الحديث...^(٣)

(١) معدن الجواهر : ٦٤، باب ذكر ما جاء في أربعة

(٢) سفينة البحار : ٥٦١، باب الزاء بعده الواو.

(٣) تسليمة الفؤاد : ١٩٥، فصل في الشفاعة

النفقة على الوالد

من المواضيع المهمة في الشرع المقدّس، هو موضوع النفقة، وهذا الموضوع الذي قد أقلق أدمغة المفكرين العصريين، فإنهم كلّما يحاولون أن يجعلوا النفقة كلّ على عاتقه، ويتقنوا بهذا الصدد قانوناً يرون العيب والنقص بأوزان في ما يرمون إليه، فإنّ أيّ كفة يرجحونها تبقى الأخرى مرجوحة، وبيان الخلل في دستورهم، فلا مفرّ إلاّ إلى المشرّع الخالق، ولا مناص إلاّ الالتجاء إلى ما سنّه هو جلّت عظمته، فلن نجد لسنة الله تبديلاً، ولن نجد لسنة الله تحويلاً.

١ - حدّثنا أبي، ومحمّد بن الحسن رضي الله عنهما، قالوا: حدّثنا محمّد بن يحيى العطار، وأحمد بن إدريس، جميعاً عن محمّد بن أحمد، عن موسى بن عمر، عن عبد الله بن المغيرة، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام، قال (حريز): قلت: من الذي أجبر عليه وتلزمني نفقته؟ قال رضي الله عنه: الوالدان، الولد، والزوجة... الخ.

٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِي طَالِبٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّلْتِ الْقَمِّيِّ، عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا، يَرْفَعُونَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ التَّحِيَّاتُ الزَّكَايَاتُ مِنْ اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : خَمْسَةٌ لَا يُعْطَوْنَ مِنَ الزَّكَاةِ، الْوَالِدُ، وَالْوَالِدَانُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْمَمْلُوكُ، لِأَنَّهُ يَجْبِرُ (أَنْجَل) عَلَى النِّفْقَةِ عَلَيْهِمْ وَأَمَّا .

٣ - ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٢١).

(١) الخصال : ٢٣٤، باب الخمسة، الحديث ٤٥.

(٢) البقرة : ٢١٥.

البرّ بالأُمّ

ممّا يجب على الولد هو أن يبرّ بأبويه، ولكن فرق بين الأُمّ والأب، فإنّ حقّ الأُمّ أكثر لأنّها حملت وأرضعت وربّت وسهرت الليالي، كلّ ذلك في سبيل راحة الولد، حتّى كبر وشاب، وصار يستلذّ بلذّة الوجود، والآن حان وقت أداء الحقّ، فيجب البرّ بها أكثر فأكثر.

١- قال عليه السلام: أُمّك أُمّك اسمُ أبائك! اسمُ الأقرب! فالأقرب... إلخ.

٢- قال عليه السلام: أيضاً: الجنّة تحت أقدام الأُمّهات... إلخ.

٣- عن عائشة، قالت: قلت: (يا رسول الله صلى الله عليه وآله) فأبيّ الناس أعظم حقّاً

(١) غوالي الدرر: ١٣، حرف الألف.

(٢) المصدر السابق: ٥٢، حرف الجيم.

على الرجل؟ قال - ﷺ: أُمَّهُ ...

٤ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام والبركات، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ تسليماً كثيراً كثيراً، فقال: يا رسول الله ﷺ من أبر؟ قال صلوات الله عليه وعلى آله: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم من؟ قال: أبالك ...

٥ - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن معاوية بن وهب، عن زكريا بن إبراهيم، قال: كنت نصرانياً سلمت، وحججت، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقلت: إني كنت على دين النصرانية، وإني أسلمت، فقال عليه السلام: وأي شيء رأيت في الإسلام؟ قلت: قول الله عز وجل: ﴿ مَا كُنْتُمْ تُدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِسْمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نُهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ ﴾^(١)، فقال عليه السلام: لقد هدانا الله تعالى، ثم قال عليه السلام: اللهم اهده - ثلاثاً - سل عما شئت يا بني، فقلت: إن أبي وأمي على النصرانية وأهل بيتي، وأمي مكفوفة البصر، فأكون معهم، وآكل في آيينهم؟ فقال عليه السلام: يا أكلون لحم الخنزير؟ فقلت: لا، ولا يمسنونه، فقال عليه السلام: لا بأس، فانظر أمك فبرها، فإذا ماتت

(١) ذرايع البيان: ١٩٧، الآفة الثامنة، نقلاً عن المستدرک للحاكم.

(٢) الكافي ٢: ١٢٧، باب البر، الحديث ٩.

(٣) الشورى: ٥٢.

١٠٠ الأثر الخالد في الولد والوالد

فلا نكلها لي غيرك، كن أنت الذي تنوء بشأنها، ولا تخبرن أحداً أنك أتيتني، حتى تأتيني مني إن شاء الله، قال: فأتيته بعني والناس حوله كأنه معلم صبيان، هذا يسأله وهذا يسأله، فلما قدمت الكوفة ألفت لأُمِّي، وكنت أطعمها، وأُفلي ثوبها ورأسها، وأخدمها، فقالت لي: يا بني، ما كنت تصنع بي هذا وأنت على ديني، فما الذي أرى منك منذ هاجرت فدخلت في الحنيفة؟ فقلت: رجل من ولد نبيتنا أمرني بهذا، فقالت: هذا الرجل هو نبيي؟ فقلت: لا، ولكنك ابن نبيي، فقالت: يا بني، إن هذا نبيي، إن هذه وصايا الأنبياء، فقلت: يا أماء، إنه ليس يكون بعد نبيتنا نبي، ولكنه ابنه، فقالت: يا بني، دينك خير دين، أعرضه علي، فعرضته عليها، فدخلت في الإسلام وعلمتها، فصَلَّتْ الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة، ثم عرض لها عارض في الليل، فقالت: يا بني أعد علي ما علمتني، فأعدته عليها، فأقرت به وماتت، فلما أصبحت كان المسلمون الذين غسلوها، وكنت أنا الذي صلَّيت عليها، ونزلت في قبرها... (١)

٦- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، وعلي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، جميعاً عن الوشاء، عن أحمد بن عائد، عن أبي خديجة سالم بن مكرم، عن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: جاء رجل وسأل النبي صلى الله عليه وآله عن برِّ الوالدين، فقال صلى الله عليه وآله: أبرر أمك، أبرر أمك، أبرر أمك، أبرر أمك، أبرر أمك، أبرر أمك، وبدأ بالأُمِّ قبل الأب... (٢)

(١) الكافي ٢: ١٢٨، باب البرِّ، الحديث ١١

(٢) الكافي ٢: ١٣٠، باب البرِّ، الحديث ١٧

٧- عليّ بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: أتى رسول الله ﷺ فقال: إني رجل شاب نشيط، وأحبّ الجهاد، وولي والدّة تكره ذلك؟ فقال له النبي ﷺ: ارجع فكن مع والدتك، فوالذي بعثني بالحقّ (نبيّاً) لأنسها بك نيلة خيرٌ من جهادك في سبيل الله سنة ...

رضا الأمّ وسخطها

إنّ في رضا الأمّ وسخطها آثاراً عجيبة، رأيناها في زماننا هذا - القرن الرابع عشر - وآثارها بعضاً تتعلّق بالدنيا، وبعضاً تتعلّق بالآخرة، تتعلّق بالفقر والغنى، والتوفيق وعدمه، وطول العمر وقصره، وبركة النسل وعدمه، وسعة الصدر وضيقه، وهكذا الأمّ تؤثر في جميع مرافق الحياة من الخير والشرّ، والسعادة والشقاء، إلى أبعد الحدود، وبني ما شاء الله تعالى.

١ - وحكي أنّه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمّى علقمة، وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله، في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتدّ مرضه، فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ: إنّ زوجي علقمة في النزاع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله. فأرسل النبي ﷺ عمّاراً وصهيباً وبلالاً، وقال ﷺ: امضوا إليه ولتتوه الشهادة، فمضوا إليه، ودخلوا عليه فوجدوه في النزاع، فجعلوا يلقنونه: لا إله إلا الله. ونسائه لا ينطق بها، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنّه لا ينطق لسانه بالشهادة. فقال ﷺ: هل من أبويه أحد حيّ؟ قيل:

رضا الأمّ وسخطها ١٠٣

يا رسول الله ﷺ : أمّ كبير السن ، فأرسل إليها رسول الله ﷺ ، وقال لرسول :
قل لها : إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ ، وإلا فقري في المنزل حتى
يأتيك ، فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ . فقالت : نفسي له الفداء ،
أنا أحقّ بإتيانه ، فتوكّأت على عصي ، وأتت إلى رسول الله ﷺ ، فسلمت .
فردّ عليها السلام ، وقال لها : يا أمّ علقمة أصدقيني ، وإن كذبتيني جاء الوحي
من الله تعالى ، كيف كان حال وندك علقمة ؟ قالت : يا رسول الله ﷺ ، كثير
الصلاة وكثير الصيام ، وكثير الصدقة . قال رسول الله ﷺ : فما حالك ؟ قالت :
يا رسول الله ﷺ أنا عليه ساخطة . قال ﷺ : ولم ؟ قالت : يا رسول الله يؤثر
عليّ زوجته وبعضيني . فقال رسول الله ﷺ : إن سخط أمّ علقمة حجب لسان
علقمة عن الشهادة ، ثم قال ﷺ : يا بلال ، انطلق واجمع لي حطباً كثيراً !
قالت : يا رسول الله وما تصنع به ؟ قال ﷺ : أحرقه بالنار بين يديك . قالت :
يا رسول الله ﷺ ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي . قال ﷺ :
يا أمّ علقمة عذاب الله أشدّ وأبقى ، فإن سرّك أن يغفر الله له فارضي عنه .
فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصدقته ما دمّت عليه ساخطة .
فقالت : يا رسول الله ﷺ ، إني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من
المسلمين ، إني قد رضيت عن وندك علقمة . فقال رسول الله ﷺ : انطلق يا بلال
إليه فانظر هل يستطيع أن يقول : لا إله إلا الله ، أم لا ، فلعن أمّ علقمة تكلمت
بما ليس في قلبها حياةً ، فانطلق بلال ، فسمع علقمة من داخل الدار يقول : لا إله
إلا الله . فدخل بلال فقال : يا هؤلاء ، إن سخط أمّ علقمة حجب لسانه عن الشهادة ،
وإن رضاها أطلق لسانه . ثم ماتت علقمة من يومه ، فحضره رسول الله ﷺ ،

١٠٤ الأثر الخالد في الولد والوالد

فأمر بغسله وكفنه، ثم صلى عليه، وحضر دفته. ثم قال ﷺ على شفير قبره،
وقال ﷺ: يا معشر المهاجرين والأنصار، من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة
الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، إلا أن يتوب الله
عز وجل، ويحسن إليها وطلب رضاها، فرضى الله في رضاها، وسخط الله في
سخطها... إلى آخره... .

معنى العاقّ والعقوق

لكل أمة لغة، ولكل لغة ألفاظ، وقد وضعت الألفاظ بأزاء معانيها، أما الألفاظ العربية ولغتها فهي معجزة اللغات والألفاظ، وقد أعجزت أرباب الفن بإتقانها وتنسيقها، لا سيما القرآن الكريم، كلام الله المجيد، معجزة الدهر الذي تعدد منه التحدي بالنسبة إلى جميع أهل اللسان، فهو القائل: ﴿ قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالجنُّ عَلَى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١)

أما لفظ العقوق ومعناه، فقد جاء في المجمع، في مادة (عقوق) : أدنى العقوق (أف) عقوق الولد أباه، يعق، عقوقاً، من باب عقد : إذا آذاه وعصاه، وترك الإحسان إليه وهو البر له . وأصله من العق : وهو الشقّ والقطع .

١ - وهو من المعاصي الكبيرة ممّا أوعد الله عليه، والأخبار به مصرّحة بأنّ العاقّ لا يدخل الجنّة، وحاله حال مدمن الخمر، والمنان تفعل الخير... الخ.

(١) الإسراء : ٨٨ .

(٢) ذرايع البيان : ١٩٨ . تكملة .

١٠٦ الأثر الخالد في الولد والوالد

٢- عن (الجعفرات) قال رسول الله ﷺ : من أحزن واندبه فقد عَقَّهما ...

٣- عن النبي ﷺ أنه قال : ثلاثة لا يحجبون عن النار : انعاق لوالديه ، والمدمن من الخمر ، والمَنَّان بعبائته . قيل : يا رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وما عقوق الوالدين ؟ قال ﷺ : يأمران فلا يطعيهما ، ويسألانه فيحرمانهما . وأذه هما لم يعظهما بحق ما يلزمهما ...

(١) ذرايع البيان : ١٩٩ ، تكسير .

(٢) نفس المصدر : ٢٠٠ .

عاقّ الوالدين

إنّ موجبات عقاب الله تعالى لعبده كثيرة وهو أشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة، ومن موارد عقابه الأليم - أعاذنا منه - عدم إطاعة الوالدين وأذاهم وعقوقهم وما يشينهم، فاتق النار أيها الولد البار.

١- قال سيّدنا رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يدخلون الجنة، منهم: العاقّ (١).

٢- قال أمير المؤمنين سلام الله عليه: من ظلم يتيماً عَقَّ الوالدة... (٢).

٣- عن مولانا الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام: لا يدخل الجنة العاقّ لوالديه، والمدمن من الخمر، والمثان بالفعال الخير إذا عمله... (٣).

(١) معدن الجواهر: ٣١، باب ذكر ما جاء في ثلاثة.

(٢) درر النكاح: ٢٣٩، حرف العيم.

(٣) ذرايع البيان: ١٩٨، تكمند.

٤ - عن شيخنا المفيد بإسناده، عن أبي إسحاق الهمداني، عن أبيه، عن سيد
الموحدين أمير المؤمنين ع، (قال) قال رسول الله ﷺ: ثلاثة من الذنوب
نعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر
الإحسان... (١)

٥ - وفي رواية (الكراحي): ملعون ملعون من ضرب والديه، ملعون من
عقّ والديه، ملعون من قاطع رحمه... (٢)

٦ - عن مولانا الباقر عليه أفضل الصلاة والسلام: إياكم والعنوق، فإن الجنة
يوجد ريحها من مسيرة مائة سنة، وما يجدها عاقق، ولا قاطع رحم... (٣)

(١) ذرايع البيان ١٩٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر.

درجات العقوق

العقوق ما يقابل البرّ، وكما أنّ البرّ له درجات، كذلك العقوق له درجات، وهذه الدرجات والمراتب تظهر عند الأبناء حين يعصون أبويهم، أو يؤذونهم - والعياذ بالله - فكلّ ما كان الأذى أشدّاً، تكون مرتبة العاقق أمراً، وهكذا إلى أن تصل التوبة إلى عقوق ليس فوقه عقوق. وهذا ما قرّره الإمام الصادق جعفر بن محمّد صلوات الله عليهما وعلى آبائهما وأبنائهما الطيّبين الطاهرين، حيث جاء في الحديث :

١ - حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (رض)، قال : حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، عن العباس بن معروف، عن أبي همام إسماعيل ابن همام، عن محمّد بن سعيد بن غزوان، عن إسماعيل بن مسلم السكوني، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام، أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال : فوق كلّ برّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله عزّ وجلّ، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ، وفوق كلّ عقوق عقوق، حتى يقتل الرجل أحد والديه، فإذا قتل أحدهما

١١٠ الأثر الخالد في الولد والوالد

فليس فوقه عمقون ...

٢- حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ نُوحٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانَ، عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرِ الْوَاسِطِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرَّجُلُ يَقُولُ لِابْنِهِ أَوْ لِابْنَتِهِ يَا بَنِي أُمَّيْ، أَوْ يَا بَوِي، أَتَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ كَانَ أَبَوَاهُ حَيِّينَ، فَأَرَى ذَلِكَ عَمَقًا، وَإِنْ كَانَا قَدِمَاتَا فَلَا بَأْسَ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ جَعْفَرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: سَعِدَ امْرَأَةٌ لَمْ يَمِتْ حَتَّى يَرَى خَلْفَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَدْ وَانَّهُ أَرَانِي اللَّهُ خَلْفِي مِنْ بَعْدِي ...^{٢١}

٣- حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّنْدِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فَضِيلٍ، عَنْ شَرِيْسِ الْوَابِشِيِّ، عَنْ جَائِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ الْجَنَّةَ لِيُوجَدَ رِيحُهَا مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ وَلَا يَجِدُهَا عَاقٌّ وَلَا دِيوَتْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الدِّيوَتْ؟ قَالَ ﷺ: تَرْنِي امْرَأَتُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ ...^{٢٢}

٤- حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْبَنْدَاءِ، قَالَ: جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ

(١) الخصال : ٩، باب الواحد، الحديث ٣١

(٢) الخصال : ٢٢، باب الواحد، الحديث ٩٤

(٣) الخصال : ٣٠، باب الاثنين، الحديث ١٥

نمير، عن التاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: أربعه لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاق، ومثان، ومكذب بالقدر، ومدمن خمر...^(١)

٥- حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمته، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أيوب بن نوح وإبراهيم بن هاشم، جميعاً عن محمد بن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن الكبائر خمس: الشرك بالله عز وجل، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البيئته، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة...^(٢)

٦- عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لو علم الله شيئاً أدنى من (أف) انتهى عنه، وهو من العقوق، وهو أدنى العقوق، ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه يحد النظر إليهما...^(٣)

٧- روي أن موسى عليه السلام قال: يا رب، أين صديقي فلان (الشهيد)، قال جلّ وعلا: (هو) في النار. قال عليه السلام: أو ليس قد وعدت الشهداء الجنة؟ قال تعالى: بلى، ولكن كان مصراً على عقوق الوالدين، وأنا لا أقبل مع العقوق

(١) الخصال: ١٦٢، باب الأربعة. الحديث ١٨.

(٢) الخصال: ٢٢٣، باب الخمسة. الحديث ١٦.

(٣) ذرايع البيان: ٢٠٠، تكملة.

١١٢ الأثر الخالد في الولد والوالد

عملاً ...

٨- قال نبي الإسلام المحبوب ﷺ : معجلان عقوبتهما في الدنيا : البغي ،
والعقوف ...

٩- وقال ﷺ أيضاً : ثلاث قد حرّم الله عليهم الجنة :

أ- مدمن الخمر .

ب- والعاق .

ج- والدثوث ...

١٠- وقال ﷺ : ثلاثة لا يحجبون النار :

أ- المئان .

ب- وعاقق والديه .

ج- ومدمن خمر ...

١١- وقال ﷺ : شمر الأولاد : العاقق لوالديه ...

(١) المصدر السابق .

(٢) غواني الدرر : ١٤ ، حرف الباء .

(٣) المصدر السابق : ٣٠ ، حرف التاء .

(٤) المصدر السابق : ٣٢ .

(٥) المصدر السابق : ٩٤ ، حرف ثسين .

١٢- قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ذراريه أجمعين : من أحزن والديه فقد عقهما...^(١)

١٣- وفي كتاب (الكبائر) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، التركماني الفارقي الأصل، الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ في الصفحة ٤٠ في الكبيرة الثامنة، عن النبي ﷺ: لو علم الله شيئاً أدنى من الألف لنهاه عنه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، فليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار...^(٢)

١٤- وروي عن علي بن موسى الرضا عليه وعلى آبائه وأبنائه الصلاة والسلام، عن أبيه، عن جدّه أبي عبد الله عليه السلام، قال: لو علم الله لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من ألف لأنني به...^(٣)

١٥- فيه أيضاً: وفي رواية أخرى عنه، قال عليه السلام: أدنى العقوق ألف ولو علم الله شيئاً أيسر منه وأهون منه لنهى عنه...^(٤)

(١) المواعظ العددية: ٢٩٥، باب الأربعمائة.

(٢) ذرايع البيان: ١٧٦، الآفة الثامنة.

(٣) مجمع البيان ٦: ٤٠٩، ذيل آية (وقضى ربك) من سورة بني إسرائيل.

(٤) نفس المصدر.

١٦- فيه أيضاً: وفي خبر آخر فليعمل العاق ما يشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، فالمعنى: لا تؤذهما بقليل ولا كثير...^(١)

١٧- حدثنا الأبهري، حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب الحافظ، قال: حدثنا محمد بن المغيرة الحرمي، قال: حدثنا إبراهيم بن بكر الشيباني، قال: حدثنا العلاء بن خالد القرشي، قال: حدثنا ثابت، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: الجنة دار الأسخياء، والذي نفسي بيده! لا يدخل الجنة بخيل، ولا عاقق والديه، ولا مان بما أعطى...^(٢)

(١) نفس المصدر.

(٢) الجعفریات : ٢٥١

عقّ الأولاد

لا يتخيّل أنّ العقوق الذي هو تعرّض إلى عقاب الله وعذابه يكون من جهة الوالدين فحسب، وإنّما هو من الجهتين، يعني أنّه كما يعقّ الوالدان ولدهما، كذلك الولد يعقّ والديه إذا ظلّماؤه وهو يرّ بهما، فإنّ الله تبارك وتعالى عدل محض، فلم يجعل حقّاً لأحد على أحد إلاّ وجعل مثله للطرف الآخر، وإليك الحديث المتضمّن هذا المعنى.

١ - حدّثنا أبي عليه السلام، قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ صلوات الله عليهم أجمعين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يلزم الوالدين من العقوق لولدهما، إذا كان الولد صالحاً ما يلزم الوالد لهما... (١)

(١) الخصال: ٤٥، باب الاتنين، الحديث ٧٧.

حيّان أو ميّتان

يظنّ البعض من الأبناء أنّ الوالدين إن توفّيّا انقضت العلاقة بينه وبينهما فلا حقّ ولا حقوق ولا عقوق، لكن يجب أن يتّبه هؤلاء بأنّ العلاقة التي صاغتها السماء غير قابلة للانقضاء فهي باقية حتى الأبد، وحتى الأيوين كالقلادة المطوّقة للجيد، فلا خلاص ولا مناص، ويجب البرّ بهما وأداء حقّهما حيّين كانا أو ميّتين، ويمكن أن يقال أنّ حقّهما وهما متوفيان أكد من حقّهما في أيام حياتهما، لأنّهما بعد هذه الحياة تقصر أيديهما عن العمل فيستحقّان النجدة بالخير والخيرات من الحجّ والصلوات، والصوم والصدقات، والصلوة المتتاليات، ومن ثمّ يدعوان للإنسان، وعلى الله الاستجابة والغفران.

١- عنه (أي عدّة من أصحابنا) عن محمّد بن عليّ، عن الحكم بن مسكين، عن محمّد بن مروان، قال: قال أبو عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام: ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيّين أو ميّتين؟ يصليّ عنهما، ويتصدّق عنهما، ويحجّ عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، ونه مثل ذلك، فيزيده الله عزّ وجلّ

ببرّه وصلّته خيراً كثيراً... الخ.

٢ - الحسين بن محمّد، عن معنّى بن محمّد، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن سنان، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه الصلاة والسلام، قال: إنَّ العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما، ثم يموتان فلا يقضى عنهما ويوفّهما، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عاقباً، وإنه ليكون عاقباً لهما في حياتهما، غير بارّاً بهما، فإذا ماتا قضى دينهما، واستغفر لهما، فيكتبه الله عزّ وجلّ بارّاً... الخ.

(١) الكافي ٢: ١٢٧، باب البرّ، الحديث ٧

(٢) الكافي ٢: ١٣٠، باب البرّ، الحديث ٢٨

الدعاء (دعوة الوالدين)

لكل شيء - مهما صغر أو كبر - أثر، والآثار تتعلّق بالدنيا والآخرة، وممّا رُوِيَ منه أعجب الآثار هو الدعاء، فقد جَرَّبَ أنْ بعض الأدعية تشقّ طريقها إلى الاستجابة كالسيف الصارم، كيف لا يكون كذلك والدعاء اتصال مباشر بذات الجلالة تبارك وتعالى. ولا شك أن الدعاء من البعض أقرب إلى هدف الاستجابة.

١ - حفظ عنهم عليهم السلام : أن سنة لا تحجب لهم عن الله تعالى دعوة، منهم :
الوالد البارّ لولده، والولد الصالح لوالده... الخ.

٢ - حدّثنا أبو الحسين محمّد بن عليّ بن الشاه، قال : حدّثنا أبو حامد أحمد بن الحسين، قال : حدّثنا أبو يزيد أحمد بن خالد الخالدي، عن محمّد بن أحمد بن صالح التميمي، قال : حدّثنا أبي، قال : حدّثني أنس بن محمّد أبو مالك، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في وصيّته له : يا عليّ، أربعة لا تردّ لهم دعوة : إمام عادل،

ووالد لولده، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، والمظلوم يقول: اللهم جل جلاله :
وعزتي وجلالي لأن تصرنّك، ولو بعد حين ...^(١)

٣- عن (الجعفریات)، قال رسول الله ﷺ: إياكم ودعوة الوالد! فإنها
ترفع فوق السحاب حتى ينظر الله إليها، فيقول: إليّ حتى أستجيب له، فإياكم
ودعوة الوالد فإنها أحد من السيف ...^(٢)

٤- عن (الجعفریات)، عن الراوندي بسند طويل، عن سلمة بن وردان،
قالت: سمعت أنس بن مالك يقول: ارتقى رسول الله ﷺ المنبر درجة، فقال:
أمين. ثم ارتقى الدرجة الثانية، فقال: آمين. ثم ارتقى الدرجة الثالثة، فقال:
أمين. ثم استوى فجلس. فقال أصحابه: على ما أمنت يا رسول الله ﷺ؟ فقال:
أتاني جبرائيل فقال: رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت: آمين.
فقال: رغم أنف امرئ أدرك أبويه فلم يدخل الجنة، فقلت: آمين. فقال: رغم
أنف امرئ أدرك شهر رمضان فلم يغفر له، فقلت: آمين ...^(٣)

٥- قال سيد الأنام ﷺ: ثلاث دعوات لا ترد:

أ- دعوة الوالد لولده. ب- ودعوة الصائم. ج- ودعوة المسافر ...^(٤)

(١) التخصال: ١٥٧، باب الأربعة. الحديث ٤

(٢) ذرايع البيان: ١٩٩، تكملة.

(٣) ذرايع البيان: ٢٠٠، تكملت.

(٤) غوالي الدرر: ٣٠، حرف التاء

٦- قال أيضاً عليه السلام : دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأُمَّته ... (١)

٧- ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ (٢)

٨- قال صاحب مجمع البيان : معناه ادعُ نهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد مماتهما جزاء لتربيتهما إياك في صباك، وهذا إن كانا مؤمنين، وفي هذا دلالة أن دعاء الولد لوالده الميث مسموع، وإلا لم يكن للأمر به معنى ... (٣)

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن معمر بن خلاد، قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه وعلى آبائه وأبنائه الصلاة والسلام والتحيات والبركات إلى يوم الدين، آمين : أدعو نوالدي إذا كانا لا يعرفان الحق؟ (٤) قال عليه السلام : ادعُ لهما، وتصدق عنهما، وإن كانا حيين لا يعرفان الحق فدارهما، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق ... (٥)

(١) المصدر السابق : ٦٠، حرف تدال.

(٢) الإسراء : ٢٤.

(٣) مجمع البيان ٦ : ٤١٠، ذيل آية (وقل رب) من سورة بني إسرائيل.

(٤) أقول : (لا يعرفان الحق) إشارة إلى أنهما لم يكونا من أتباع مذهب أهل البيت، وأن الخلافة بلا فصل لأمر المؤمنين علي عليه السلام وأولاده الأحد عشر عليهم السلام، وعلي عليه السلام هو الحق كما ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله - كما ثبت عند الفريقين السنة والشيعه - أنه قال : « علي مع الحق والحق مع علي أينما دار يدور » (عادن).

(٥) الكافي ٢ : ١٢٧، باب المير، الحديث ٨.

حقّ الولد على الوالد

كما أنّ للوالد حقّ على الولد، كذلك للولد حقّ على الوالد، ولو أنّ كلاهما عرف حقّ صاحبه وأدّاه لازداد خيرهما، وذهب عنهما ما يسوءهما، ولشملتها رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة، وما المطلوب سواها.

١- ثمّ من حقّ الولد على الوالد ما قاله أحد الحكماء: اعلم أنّ لولدك عليك سبعة حقوق: تتخيّر أمّه، واسمه، وظنّره (المرضعة)، وتعلّمه كتاب الله عزّ وجلّ، والخطّ، والحساب، والسباحة...^(١)

٢- قال رسول الله ﷺ: حقّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه...^(٢)

(١) معدن الجواهر: ٦١، باب ما جاء في سبعة.

(٢) غوالي الدرر: ٤٩، حرف الحاء. وجاء في المستدرک نقلاً عن محمد بن الحسن الفتال في

روضة الواعظين (ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويؤزجه إذا بلغ) ٢: ٦٢٥، باب

٦٠، الحديث ٣، والصفحة ٦٢٦، باب ٦٢، الحديث ٨ ما بمعناه، فراجع.

٣- عن الصادق عليه الصلاة والسلام، قال: قال رسول الله ﷺ: حقّ الولد على والده إذا كان ذكراً أن يستغفر أمّه، ويستحسن اسمه، ويعلمه كتاب الله، ويطهره، ويعلمه السباحة، وإن كانت أنثى يستغفر أمّها، ويستحسن اسمها، ويعلمها سورة النور، ولا يعلمها سورة يوسف، ولا ينزلها الغرف ويعجل سراحها إلى بيت زوجها...^١

٤- قال عليّ: من حقّ الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه ويعلمه الكتابة، ويزوجه إذا بلغ...^٢

٥- القطب الراوندي في لبّ اللباب، قال النبي ﷺ: من حقّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه...^٣

٦- الإمام السجّاد عليه السلام: وأما حقّ ولدك: فتعلم أنّه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربّه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذرة إلى ربّه

(١) الأخلاق: ١١٧، الباب العاشر، ومراة الكمال: ٢٩، الحضارة.

(٢) مراة الكمال: ٣٠، الحضارة

(٣) المستدرک ٢: ٦١٨، باب ١٤، الحديث ٨.

حقّ الولد على الوالد ١٢٣

فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه . ولا قوة إلا بالله .

٧- الصادق عليه السلام : تجب للولد على والده ثلاث خصال : اختياره لوالدته ، وتحسين اسمه ، والمبالغة في تأديبه .

(١) تحف العقول : ١٨٩ ، الرقم ٢٣ . ونقله المستدرک ٢ : ٦٢٥ ، باب ٦٣ ، الحديث ٤ .

(٢) تحف العقول : ٢٣٩ ، نشر اندرز .

الفريضة (برّ الآباء)

من الفرائض ما لا مانع من مبادلتها بغيرها، مثل خصال كفارة الصوم مثلاً. فالمكلف إن عجز عن صوم شهرين متتابعين، له أن يبذلها بالعتق أو الإطعام. ومنها ما لا مجال لتبديلها مع بقاء عنوانها الأوّلي كما أنّ للفرائض درجات وأحجام. فمنها ما تكن صغيرة ومنها ما تكن أكبر، ومن كبرائها برّ الوالدين التي لا تتبدّل بغيرها من البرّ والحسنات.

١- من كلمات مولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أنّه قال :
برّ الوالدين أكبر فريضة.

٢- وقال تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ٢٢١.

(١) جاء في كتاب درر الكتم.

(٢) البقرة : ٨٣ ، النساء : ٣٦ ، الأنعام : ١٥١ ، الإسراء : ٢٣ .

٣- قال شيخنا العلامة المجلسي رحمته الله، نقلاً عن الكافي، مسنداً عن عليّ ابن إبراهيم وابن محبوب وأبي ولّاد الحنّاط (رض) أنّه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ما هذا الإحسان؟ فقال عليه السلام: الإحسان، أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلفهما أن يسألنك شيئاً ممّا يحتاجان إليه، وإن كانا مستغنيين عنه، أليس يقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَسْأَلُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (١٦١).

(١) بحار الأنوار ١٦ : ١٤.

(٢) آل عمران : ٩٢.

(٣) ذرايع البيان : ١٧٢، الآفة الثامنة.

العبادة

الكلام في العبادة مفروغ عنه، لأنَّ الباري جلَّ جلاله لم يكن يخلق الخلق إلاَّ لأجلها، وهو تبارك وتقدَّس القائل في محكم التنزيل :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١).

ولكن ما هي ؟ إنَّ مصاديق العبادة كثيرة وكثيرة جدًّا بحيث لا يمكن عدّها وحصرها، لأنَّه يمكن للإنسان أن يجعل كلَّ أعماله صغيرة أو كبيرة من عبادة الله جلَّ جلاله وعلا، لأنَّ الأعمال بالنيَّات. ومن العبادات المرموقة التي لا محيص منها حبُّ الأيوين.

١- قال النبيَّ صلوات الله عليه وعلى آله المعصومين : نظر الولد إلى والديه حبًّا لهما عبادة... (٢).

(١) الذاريات : ٥٦.

(٢) غوالي الدرر : ١٥٦، حرف النون. وتحف نعقول : ١٣٢، مواضع النبيِّ ﷺ.

٢- من لا يحضره الفقيه: روي أن النظر إلى الكعبة عبادة، والنظر إلى
الوالدين عبادة، والنظر إلى المصحف من قرائه عبادة، والنظر إلى وجه العالم
عبادة، والنظر إلى آل محمد صلوات الله عليهم عبادة... الخ

أحبّ الأبناء

الواقع أنّ حبّ الوالدين لا يختلف بالنسبة لأولادهم، إلاّ أنّه هناك مزايا ذاتية في بعض الأولاد، وهي ممّا تؤهلّهم لأن يكونوا أقرب إلى قلب الوالدين، أو أنّ في طباعهم حسنات توجب لهم حنان الوالدين أكثر، وبغضّ النظر عن هذه الأمور لا فرق بين الأولاد صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم، كلّهم زينة في هذه الحياة.

١ - قال لؤي بن غالب لامرأته : أيّ بنيك أحبّ إليك ؟ قالت : أحبّهم إليّ الذي اجتمع فيه ثمان خصال ، منها : ولا يغيّر تبرّه عقوق... (١).

تعدد الآباء

يظهر أن الإنسان لم يكن له والد واحد فحسب، وإنما الواحد هو الأب الذي يولده، وبعده أب علمك وأب زوجك.

وكذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون المولودون ثلاثة، وكلُّ يولد حسب ما تقتضيه طبيعته الأولى، ثم إنه يمكن لأولاده أن يختاروا غير ما هم عليه، فمثلاً إبليس لا يلد إلا الكافر، ولكن آمن أحد أولاده واسمه هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس وهذا خلاف ما تقتضيه ذاته.

وهناك والد آخر ذو قدر ورفعة، يدلنا عليه رسول الله ﷺ حين يقول :
العلم خدين المؤمن - إلى أن يقول - والرفق والده، والبر أخوه - إلى آخره - (١).

(١) تحف العقول عن آل الرسول ﷺ : ٣٢، مواظب النبي ﷺ .

نصيحة الوالد لولده

لا ناصح كالأب بالنسبة إلى ولده، ولا يتصور أن هناك أب يبخل على ولده بالنصيحة، ومن المستحيل أن يخرج حبّ الولد من قلب أبيه مهما كلف الأمر، لذا ترى الآباء يببالغون في نصح أبنائهم ويرشدونهم الصواب والطريق القويم والصراف المستقيم، فجزاهم الله خيراً.

١- قال العباس بن عبد المطلب لابنه: يا بني، لا تتعلم العلم لثلاث خصال: لتماري به، ولترائي فيه، ولتباهي به. ولا تدعه لثلاث خصال: لرغبة في الجهل، ولزهد في العلم، ولاستحياء في التعليم...^(١)

٢- ومن كلام لقمان لابنه: ثلاثة لا تعرفهم إلا عند ثلاثة: لا تعرف الحليم إلا عند الغضب، والشجاع إلا عند الحرب، ولا أخاك إلا عند الحاجة...^(٢)

(١) معدن الجواهر: ٢٦

(٢) معدن الجواهر: ٢٧

وصايا الآباء للأبناء

من حقّ الولد على الوالد أن يوصيه بما ينفعه ويرشده ويؤدّبه، كي لا يكون عضواً فاسداً في المجتمع، وعالة وكلاً عليه، ولكي يكون بعده أحد الثلاثة الذين يخلف بهم المرء وهو الولد الصالح، ولو صلح الولد نُكأن عاملاً مهماً في جلب الرحمة لوالديه بعد الموت، وهذا هو المطلوب.

١- أوصى حكيم ولده فقال: يا بني، احذر خصلة واحدة تسلم، واتبع خصلة واحدة تغنم: لا تدخل مداخل السوء تتهم، واشكر تده لك النعم، واعلم أنّ العزّ في خصلة واحدة، وهي طاعة الله، والذلّ في خصلة واحدة، وهي معصية الله، والغنى في خصلة واحدة وهو الرضا بقسم الله، والفقر في خصلة واحدة، وهي استقلال نعم الله. والناس يا بني يتفاضلون بشيء واحد وهو العقل، ويتميزون بشيء واحد وهو العلم، ويفوزون بشيء واحد وهو العمل، ويسودون بشيء واحد وهو الحلم، فعليك يا بني في دينك بشيء واحد وهو الازدياد، وفي دنياك بشيء واحد وهو الاقتصاد^(١).

(١) معدن الجواهر: ٢٤.

٢- قال لقمان لابنه : يا بني ، أتهاك عن شيئين : عن الكسل والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤدَّ حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق الله .

٣- أوصى حكيم وندده ، فقال : يا بني ، إن أردت الخلاص فعليك بشيئين : لا تضع ما عندك إلا في حقه ، ولا تأخذ ما ليس لك إلا بحقه . تحصن يا بني من الساعي عليك بشيئين : بالمداواة وحسن المعاشرة ، فإنك لا تعدم أحد شيئين : إما صداقة تحدث بينكما تؤمنك شره ، وإما فرصة تظفرك به ^(١) .

٤- وصية أخرى : يا بني احفظ عني ثلاثة : وقرَّ أباك تطل أيامك ، وقر أمك ترى لبنيك نبيناً ، ولا تحد النظر إلى والديك فتعقهما ^(٢) .

٥- واعلم يا بني : إن الأيام ثلاثة : أمس ، يوم ماضي كأن لم يكن ، وغد ، يوم منتظر كأن قد أتى ، واليوم ، مقيم بغنيمة إلا كآيس لتزود الخيرات ، وتقطعه الفجرة بالأمانى ، مع أنها ليست أيام ولكنها ساعات ، وليست ساعات ولكنها أوقات أقل من ارتداد الطرف ^(٣) .

٦- واعلم أن الناس في الدنيا بين ثلاثة أحوال حسنات وسيئات ولذات ،

(١) معدن الجواهر : ٢٧ .

(٢) معدن الجواهر : ٢٩ ، باب ذكر ما جاء في اثنين .

(٣) معدن الجواهر : ٢٧ .

(٤) معدن الجواهر : ٢٧ .

وصايا الأباء للأبناء ١٣٣

وفي الآخرة بين ثلاثة أحوال درجات ودركات ومحاسبات، فمن عمل في الدنيا بالحسنات نال في الآخرة الدرجات، ومن ترك في الدنيا السيئات نجى في الآخرة من الدرجات، ومن هجر في الدنيا اللذات خلس في الآخرة من المحاسبات...^(١).

٧- واعلم يا بُني، إنَّ أنصف الناس من جمع ثلاثاً: تواضعاً في رفعة، وزهداً عن قدرة، وإنصافاً عن قوّة. وعليك بالتنوع. ففيه ثلاث خصال: صيانة النفس، وعزّ القدر، وطرح مؤن الاستكبار. ولا تضع المعروف إلى ثلاثة: اللئيم فإنّه بمنزلة السبخة، والفاحش فإنّه يرى أنّ الذي صنعت إليه إنّما هو مخافة الفحشة، والأحمق فإنّه لا يعرف ما أسديت إليه...^(٢).

٨- واعلم أنّ الشكر ثلاث منازل: هو لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإفضال...^(٣).

٩- لا تطلب حاجتك يا بُني من ثلاثة: لا من كذاب، فإنّه يقربها بالقول ويباعدها بالعمل، ولا من أحمق فإنّه يريد أن ينفكك فيضرك، ولا ممن له أكلة من جهة رجل فإنّه يؤثر أكلته على حاجتك...^(٤).

(١) معدن الجواهر: ٣٧، باب ذكر ما جاء في ثلاثة.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

١٠- إِيَّاكَ يَا بَنِي وَالْكَذِبَ. فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَكْذِبُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: إِمَّا لِمَهَانَةِ نَفْسِهِ، أَوْ لِسَخَافَةِ رَأْيِهِ، أَوْ لَغَلْبَةِ جَهْلِهِ...^(١)

١١- واحذر مشاورة ثلاثة: الجاهل، والحاسد، وصاحب الهوى...^(٢)

١٢- واعلم أنّ ثلاثة أفضل ما كان لا غناء بهم عن ثلاثة: أحزم ما يكون الرجل لا غنى به عن مشاورة ذوي الرأي، وأعف ما تكون المرأة لا غنى بها عن الزوج، وأوفر ما تكون الدابة لا غنى بها عن السوط...^(٣)

١٣- ثلاث هنّ للكافر مثل ما هنّ للمسلم: من استشارك فانصح له، ومن اتّمنك على أمانة فأدّها إليه، ومن كان بينك وبينه رحم فصلها...^(٤)

١٤- قال عليّ عند وفاته لولده الحسن عليّ: يا بني احفظ عني أربعاً، قال عليّ: وما هنّ يا أبتى؟ قال: اعلم أنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحساب حسن الخلق...^(٥)

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) معدن الجوهر: ٣٨.

(٥) معدن الجواهر: ٤٢.

١٥ - أوصى حكيم ولده فقال : خذ يا بني بأربعة واترك أربعة. فقال : وما هنّ؟ فقال : خذ حسن الحديث إذا حدثت، وحسن الاستماع إذا حدثت، وأيسر المؤونة إذا خولفت، وبحسن البشر إذا لقيت. واترك محادثة اللئيم، ومنازعة اللجوج، وممارة السفه، ومصاحبة الماقت.

واحذر أربع خصال فثمرتهن أربع مكروهات : اللجاجة والعجلة والعجب والشراء، فأما اللجاجة فثمرتها الندامة، وأما العجلة فثمرتها الحيرة، وأما العجب فثمرته البغضة، وأما الشراء فثمرته الفقر.

وكن من أربعة على حذر : من الكريم إذا أهنته، ومن العاقل إذا أهجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا صاحبه.

واحتفظ من أربع نفسك تأمن ما ينزل بغيرك : العجلة، واللجاج، والعجب، والنواني.

واعلم أنّه من أُعطي أربعة لم يمنع أربعاً : من أُعطي الشكر لم يحرم المزيد، ومن أُعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أُعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أُعطي المشورة لم يمنع الصواب... الخ.

١٦ - يا بني، توقّ خمس خصال تأمن الندم : العجلة قبل الاقتدار، والتشبّط مع سقوط الأعدار، وإذاعة السرّ قبل التمام، والاستعانة بالحسدة وأهل الفساد، والعمل بالهوى وميل انطباع... الخ.

(١) معدن الجواهر : ٤٥.

(٢) معدن الجواهر : ٥٢.

- ١٧ - قال لقمان : يا بني ، أحثك على ست خصال ليس منها خصلة إلا تقربك إلى رضوان الله تعالى وتباعدك من سخطه :
- الأولة : أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً .
- الثانية : الرضا بقدر الله تعالى فيما أحببت أو كرهت .
- والثالثة : تحب في الله وتبغض في الله .
- والرابعة : تحب للناس ما تحب لنفسك .
- والخامسة : كظم الغيظ والإحسان إلى من أساء إليك .
- والسادسة : ترك الهوى ومخالفة الردى ...^(١)

١٨ - ستة تحتاج إلى ستة أشياء : حسن الظن يحتاج إلى القبول ، والحسب يحتاج إلى الأدب ، والسرور يحتاج إلى الأمن ، والقراءة تحتاج إلى الصداقة ، والشرف يحتاج إلى التواضع ، والنجدة تحتاج إلى الجدة ...^(٢)

١٩ - أوصى حكيم ولده فقال : يا بني ، اعلم أن أصعب ما على الإنسان ستة أشياء : أن يعرف نفسه ، ويعلم عيبه ، ويكتف سره ، ويهجر هواه ، ويخالف شهوته ، ويمسك عن القول فيما لا يعنيه ...^(٣)

(١) معدن الجواهر : ٥٥

(٢) معدن الجواهر : ٥٥

(٣) نفس المصدر .

٢٠- ستّ خصال لا يطيقها إلا من كانت نفسه شريفة : الثبات عند حدوث النعمة الكبيرة، والصبر عند نزول الرزية العظيمة، وجذب النفس إلى العقل عند دواعي الشهوة، ومداومة كتمان السرّ، والصبر على الجوع، واحتمال الجار...^(١).

٢١- واعلم أنّ النبل في ستّة أشياء : مؤاخاة الأكفاء، ومداراة الأعداء، والحذر من السقطة، واليقظة من الورطة، وتجرّع الغصّة، ومعالجة الفرصة...^(٢).

٢٢- واعلم أنّ السخي من كانت فيه ستّ خصال : أن يكون مسروراً ببذله، متبرّعاً بعطائه، لا يتبعه مناً ولا أذى، ولا يطلب عليه عوضاً عن دنيا، يرى أنّه لما فعله مؤدّله فرضاً، ويعتقد أنّ الذي يقبل عطاءه قاضٍ له حقّاً...^(٣).

٢٣- فأما حقّ النعمة عليك فتشتمل على ستّ خصال : المعرفة بها، وذكر ما يناسي منها عندك، ومعرفة موليتها، وأن ينسبها إليه، وأن يحسن لباسها، وأن يقابل مسديها بالشكر عليها...^(٤).

٢٤- وأوصيك يا ولدي بستّ خصال فيها تمام العلم ونظام الأدب :

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

الأولى : ألا تنازع من فوقك .

والثانية : أن لا تتعاطى ما لا تنال .

الثالثة : أن لا تقول ما لا تعلم .

الرابعة : أن لا يخالف لسانك ما في قلبك .

الخامسة : أن لا يخالف قولك فعلك .

السادسة : أن لا تدع الأمر إذا أقبل وأن لا تطلبه إذا أدبر... إلخ

٢٥- واحذر العجلة، فإنَّ العرب كانت تسميها أمَّ الندامات، وذلك أن فيها ستَّ خصال: يقول صاحبها قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويدمَّ قبل أن يحمد. وهذه الخلال لا تكون في أحد إلاَّ صحب الندامة وعُدم السلامة... إلخ

٢٦- واعلم أن ستة أشياء ينفين الحزن: استماع العلم، ومحادثة الأصدقاء، والمشي في الخضرة، والجلوس على الماء الجاري، والتأسي بدوي المصائب، وحرر الأيام... إلخ.

٢٧- وستة أشياء من مات فيها فهو قاتل نفسه: من أكل طعاماً قد أكله مراراً فلم يوافقته، ومن أكل طعاماً فوق ما تطيقه معدته، ومن أكل قبل أن يستبرئ

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

وصايا الآباء للأبناء ١٣٩

ما أكل، ومن رأى بعض أخلاط جسده قد هجم بهيجان ووجد لذلك دلائل فلم يستدركها بالأدوية المسكنة، وإن أطال حبس الحاجة إذا هاجت به، ومن أقام بالمكان الوحش وحده...^(١)

٢٨ - واعلم أن من رضي بسنة أشياء صفت له دنياه وصح له دينه : من رضي ببلده، ومنزله، وزوجته، ومعيشته، وما قسم الله له من رزقه، وما يقضيه الله عليه إن أمه وخالف أمه...^(٢)

باب ذكر ما جاء في سبعة

٢٩ - أوصى حكيم ولده فقال : اعلم يا بني أنه لا خير في سبعة إلا بسبعة : لا خير في قول إلا بفعل، ولا في منظر إلا بمخبره، ولا في ملك إلا بجد، ولا في صداقة إلا بوفاء، ولا في فقه إلا بورع، ولا في عمل إلا بنية، ولا في حياة إلا بصحة وأمن...^(٣)

٣٠ - واعلم أن سبعة أشياء تؤدي إلى فساد العقل : الكفاية التامة، والتعظيم، والشرف، وإهمال الفكر، والأنفة في التعليم، وشرب الخمر، وملازمة النساء، ومخالطة الجهال...^(٤)

(١) نفس المصدر .

(٢) معدن الجواهر : ٥٧ .

(٣) معدن الجواهر : ٦٠ ، باب ذكر ما جاء في سبعة .

(٤) نفس المصدر : ٦١ .

١٤٠..... الأثر الخالد في الولد والوالد

٣١ - وسبعة أشياء - يا ولدي - لا نحسن بك أن تهملهن: زوجتك ما وافقتك، ومعيشتك ما كفتك، ودارك ما وسعتك، وثيابك ما سترتك، ودايتك ما حملتك، وصاحبك ما أنصفك، وجليسك ما فهم عنك...^(١)

٣٢ - وليس صديقك إلا في سبعة أشياء: في أهلك، وولدك، وعلتك، ونكبتك، وغيبتك، وقتلتك، وبعد وفاتك...^(٢)

٣٣ - أوصى حكيم ولده فقال: تحصن يا بني من ثمان بشمان: بالعدل في المنطق من ملامة الجلساء، وبالروية في القول من الخطأ، وبحسن اللفظ من البذاء، وبالإنصاف من الاعتداء، وبليين الكنف من الجفاء، وبالتودد من ضغائن الأعداء، وبالمقاربة من الاستطالة، إلى آخره...^(٣)

٣٤ - وأعلم أن من كان منه ثمانية كان له من الله ثمانية: من اتقى الله تعالى وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن أقرضه وفاه، ومن سأله أعطاه، ومن عمل بما يرضيه رضاه، ومن صبر على محارمه حباه، ومن أنفق في سبيله جازاه، - الأخيرة لا توجد في الأصل -...^(٤)

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) معدن الجواهر: ٦٥، باب ذكر ما جاء في تسوية

(٤) نفس المصدر.

٣٥- وثمانية أشياء لا تنفع إلا بثمانية: لا العقل إلا بالورع، ولا الحفظ إلا بالعمل، ولا شدة البطش إلا بقوة القلب، ولا الجمال إلا بالحلاوة، ولا السرور إلا بالأمن، ولا الحساب إلا بالأدب، ولا الحفظ إلا بالكفاية، ولا المروءة إلا بالتواضع...^(١)

٣٦- أوصى حكيم ولده فقال: اعلم يا بني أن العجب لتسعة أشياء: لمن عرف الله تعالى ولم يطعه، ولمن رجا ثوابه ولم يعمل، ولمن خاف عقابه ولم يحترز، ولمن عرف شرف العلم ورضى لنفسه بالجهل، ولمن صرف جميع همته إلى عمارة الدنيا مع علمه بفراقه لها، ولمن عرف الآخرة وخرب مستقره منها مع علمه بانتقاله إليها، ولمن جرّ في ميدان أمله وهو لا يعلم متى يعثر بأجله، ولمن غفل عن النظر في عواقبه وهو يعلم أنه لا يغفل عنه، ولمن يهنيه في دار الدنيا عيشه وهو لا يدري إلى ما يصير أمره...^(٢)

٣٧- يا بني، عليك بتسع خلال تسد في الناس وهو: العلم، والأدب، والفقه، والعفة، والأمانة، والوقار، والحزم، والحياء، والكرم - وهي عشرة من الأصل -...^(٣)

(١) نفس المصدر.

(٢) معدن الجواهر: ٦٩، باب ما جاء في تسعة

(٣) نفس المصدر.

٣٨- يا بني، صِنْ نَسْعَةً بِتَسْعَةٍ: صِنْ عَقْلَكَ بِالْعِلْمِ، وَجَهْلَكَ بِالْحِلْمِ، وَدِينَكَ بِمُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَمِرْوَتَكَ بِالْعِفَافِ، وَعِرْضَكَ بِالْكَرَمِ، وَمَنْزِلَتَكَ بِالتَّوَاضُعِ، وَمَعِيشَتَكَ بِحَسَنِ التَّكْسِبِ، وَنَهْضَتَكَ بِتَرْكِ الْعِجْبِ، وَنَعْمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ بِالشُّكْرِ...^(١)

٣٩- وَاَعْلَمُ يَا بَنِي أَنْ الْحُكْمَاءَ مَا ذَمُّوا شَيْئاً ذَمَّهُمْ لَتَسْعِ: الْكُذْبُ، وَالغَضَبُ، وَالْجِرْعُ، وَالْحَسَدُ، وَالْخِيَانَةُ، وَالْبِخْلُ، وَالْعَجَلَةُ، وَسَوْءُ الْخَلْقِ، وَالْجَهْلُ.
وَلَا مَدَحُوا شَيْئاً مَدَحَهُمْ لَتَسْعِ: الصِّدْقُ، وَالْحِلْمُ، وَالصَّبْرُ، وَالرِّضَا بِالْقِسْمِ، وَالْوَفَاءُ، وَالْكَرَمُ، وَالتَّائِيْدُ، وَحَسَنُ الْخَلْقِ، وَالْعِلْمُ...^(٢)

٤٠- وَاحْذَرِ يَا بَنِي مِشَاوِرَةَ تِسْعَةٍ، فَإِنَّ الرَّأْيَ مِنْهُمْ عَازِبٌ: الْبَخِيلُ، وَالْجَبَانَ، وَالْحَرِيصَ، وَالْحُسُودَ، وَذِي الْهَوَى، وَالكَثِيرَ الْقَعُودَ مَعَ النِّسَاءِ، وَمُعَلِّمَ الصَّبِيَّانِ، وَالْمُبْتَلَى بِأَمْرَأَةٍ سَلِيْطَةٍ، نَقَصَتْ وَاحِدَةً وَهِيَ مِنَ الْأَصْلِ...^(٣)

٤١- أَوْصَى حَكِيمٌ وَلَدَهُ فَقَالَ: يَا بَنِي، أَوْصِيكَ بِعِشْرَةِ: لَا تَسْتَكْتَرِ مِنْ عَيْبٍ، فَإِنَّهُ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ شَيْءٍ عَرَفَ بِهِ، وَلَا تَأْسَفْ عَلَى إِثْمٍ، فَإِنَّهُ شَيْءٌ وَقِيْتَهُ وَأَقْلَلَ مِمَّا يَشِينُ، تَزِدُّدَ مِمَّا يَزِينُ، وَمُخَاطَبَةَ السَّفَلَةِ فَإِنَّهُمْ يَفْرُونَ وَلَا يَشْكُونَ، تَعَابَ

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) معدن الجواهر: ٦٩، باب ذكر ما جاء في تسعة.

وصايا الآباء للأبناء ١٤٣

باستصحابهم، ولا تحمد على اصطناعهم، ولا تتجاوز بالأمور حدودها، وإذا أنكرت أمرك فأمسك، وجانب هواك فإنه أضّر ما اتبعت، واعمل بالحق فإنه لا يضيق معه شيء ولا ينعت فيه عاقل، وليكن خوف بطانتك لك أشد من أنفسهم لك...^(١)

٤٢ - واحفظ عني عشرة: اعلم أن الصدق قوة، والكذب عجز، والسرّ أمانة، والجوار قرابة، والمعرفة صداقة، والعمل تجربة، والخلق عبادة، والصمت زين، والشح فقر، والسخاء غنى...^(٢)

٤٣ - وفي (الاختصاص) عن مولانا الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام: عن أمير المؤمنين عليه صلوات الله، في وصية لابنه محمد بن الحنفية: واعلم أن اللسان كلب عقور، إن حليته عقر، وربّ كلمة سلبت نعمة. فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك...^(٣)

٤٤ - حدّثنا أبي عليه السلام، قال: حدّثنا سعيد بن عبد الله، قال: حدّثني القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود، قال: حدّثني حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لقمان لابنه: يا بني، لكلّ شيء علامة يعرف بها، ويشهد عليها.

(١) معدن الجواهر: ٧٢، باب العشرة.

(٢) معدن الجواهر: ٧٢، باب ذكر ما جاء في عشرة.

(٣) ذرابع البيان: ٩، المقالة الثانية.

١٤٤ الأثر الخالد في الولد والوالد

وَأَنَّ لِلدِّينِ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : الْعِلْمُ ، وَالْإِيمَانُ ، وَالْعَمَلُ بِهِ .

وَالْإِيمَانُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : الْإِيمَانُ بِاللَّهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرَسُولِهِ .

وَالْعَالَمُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : الْعِلْمُ بِاللَّهِ ، وَبِمَا يَحِبُّ ، وَبِمَا يَكْرَهُ .

وَالْعَامِلُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : الصَّلَاةُ ، وَالصِّيَامُ ، وَالزَّكَاةُ .

وَالْمُتَكَلِّفُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : يَتَأَزَعُ مِنْ فَوْقِهِ ، وَيَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ ، وَيَتَعَاطَى فِي

مَا لَا يَنَالُ

وَاللِّظَالِمُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلْبَةِ ، وَيُعِينُ

الظُّلْمَةَ .

وَالْمُنَافِقُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : يَخَالِفُ لِسَانَهُ قَلْبِهِ ، وَقَلْبَهُ فِعْلَهُ ، وَعِلَانِيَتَهُ

سُرِّيَرَتَهُ .

وَاللَّائِمُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : يَخُونُ ، وَيَكْذِبُ ، وَيَخَالِفُ مَا يَقُولُ .

وَالْمُرَائِيُّ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : يَكْسِلُ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ ، وَيُنْشِطُ إِذَا كَانَ النَّاسُ

عِنْدَهُ ، وَيَتَعَرَّضُ فِي كُلِّ أَمْرٍ لِلْمُحَمَّدَةِ .

وَاللِّحَاسِدُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : يَغْتَابُ إِذَا غَابَ ، وَيَتَمَلَّقُ إِذَا شَهِدَ ، وَيَشْمَتُ

بِالْمُصِيبَةِ .

وَالْمُسْرِفُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : يَشْتَرِي مَا لَيْسَ لَهُ ، وَيَلْبَسُ مَا لَيْسَ لَهُ ، وَيَأْكُلُ

مَا لَيْسَ لَهُ .

وَاللِّكْسَلَانُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : يَتَوَانَى حَتَّى يَفْرُطَ ، وَيَفْرُطُ حَتَّى يَضِيعَ ، وَيَضِيعُ

حَتَّى يَأْتِمَ .

وَاللِّغَافِلُ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ : السُّهُوُ ، وَاللَّهُوُ ، وَالنِّسْيَانُ .

قَالَ حَمَّادُ بْنُ عَيْسَى : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ

العلامات شعب، يبلغ العلم بها أكثر من ألف باب، وألف باب، وألف باب. فكن يا حماد طالباً للعلم في آناء الليل وأطراف النهار، فإن أردت أن تقرّ عينك، وتنال خير الدنيا والآخرة، فاقطع الطمع ممّا في أيدي الناس، وعد نفسك في الموتى، ولا تحدثن نفسك أنك فوق أحد من الناس، واخزن لسانك كما تخزن مالك... (١)

٤٥ - حدّثنا أبي عليه السلام، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود، قال: حدّثني حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال له: يا بني، ليعتبر من قصر يقينه، وضعفت نيّته في طلب الرزق، إنّ الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره، وآتاه رزقه، ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة. إنّ الله تبارك وتعالى سيرزقه في الحال الرابعة، أمّا أول ذلك فإنّه كان في رحم أمّه يرزقه هناك في قرار مكين، حيث لا يؤذيه حرٌّ ولا برد، ثمّ أخرجته من ذلك وأجرى له رزقاً من لبن أمّه، يكفيه به ويربّيه وينعشه من غير حول به ولا قوّة، ثمّ فطم من ذلك، فأجرى له رزقاً من كسب أبويه برأفة ورحمة له من قلوبهما، لا يملكان غير ذلك، حتّى أنّهما يؤثرانه على أنفسهما في أحوال كثيرة، حتّى إذا كبر وعقل واكتسب لنفسه ضاق به أمره، وظنّ الظنون برّبّه، وجحد الحقوق في ماله، وقتّر على نفسه وعباله، مخافة إفتقار رزق، وسوء ظنّ، ويقين بالخلف من الله تبارك وتعالى في العاجل والآجل، فبئس العبد هذا يا بني... (٢)

(١) الخصال: ٩٦، باب الثلاثة، الحديث ١١٣.

(٢) الخصال: ٩٦، باب الثلاثة، الحديث ١١٤.

نصح الأبناء للآباء

من المعلوم لزوم نصح الأبناء على الآباء، ولما كان التعمد لله أولى من كل شيء لزم على الأبناء أيضاً نصح الآباء في هذا المورد، لذا ترى إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ينصح آذر - سواء كان عمه أو جدّه لأمه كما جاء في التفسير - فكلاهما يسمّون أب عند العرب .

١- قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ ^(١).

٢- ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي ﴾ ^(٢).

٣- ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ ^(٣).

٤- ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ ^(٤).

(١) مريم : ٤٢ .

(٢) مريم : ٤٣ .

(٣) مريم : ٤٤ .

(٤) مريم : ٤٥ .

الرعاية

الرعاية أمر يحسنه العقل والنقل، ومن حسنات المرء أن يكون مراعيًا لمن له أدنى صلة به، فإنّ الرعاية دليل العظمة وجلالة القدر، فمن يكون عظيمًا في نفسه، جليل القدر، لا تفوته رعاية المحقّين، من الأيتام والمستضعفين.

١ - فقد قال أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجلين عليه السلام : من رعى الأيتام رعى في يتمه ^{(١) (٢)}.

(١) جاء في كتاب درر الكلم : ٢٥٥.

(٢) أقول : الدنيا دار المكافاة، وهذه من سنّة الحياة، فمن يراعي شؤون اليتيم - يتيم الناس - ويؤدّي حقّه من التكريم والتعظيم، فإنّ سرّعى في يتيمه - أي الناس يراعون حقوق يتيمه - أيضًا.

الأقوال

توجد أقوال كثيرة من الأنبياء والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِمَّا يَخَصُّ الوالدَ والوالد، ولا تخلو من حكمة ثابتة، أو سنة عادية، أو فلسفة متقنة، أو منطق سليم، وما أشبه، فعلينا وعلى من يأتي بعدنا الاستفادة والاستزادة منها فإن العلم حياة القلوب.

١- قال بعض الحكماء: رأيت أمور الناس على خمسة أوجه، منها: القضاء والقدر، وهو على خمسة أقسام، الأهل والولد والمال والسلطان والعمر...^(١).

٢- قيل: أنس المرء في خمسة أشياء، منه: الولد البار...^(٢).

(١) معدن الجواهر: ٥١.

(٢) معدن الجواهر: ٥١.

تكلّف الآباء بالنسبة للأبناء وبالعكس

ما ترك الله سبحانه وتعالى فائدةً إلا وأخبر، بل وأمر بها الناس أن يتّخذوه منهجاً لحياتهم، كي يعيشوا براحةً وطمأنينة، وليس هناك حكم إلا وله ثواب أو عقاب، وهو القائل عزّ من قائل: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُشْرَكُوا ﴾^(١). إذا لم يترك الخالق عباده، ولم يفوض إليهم الأمر، كما أنّه لا يجبرهم على عمل، غير أنّه يبيّن الخير بعد خلقه وأمر به، ويبيّن الشرّ بعد خلقه ونهى عنه، وهذا هو ما يسمّى بالتكليف، فالكلّ مشتركون بالتكليف، سواء الآباء والأمهات والأولاد، الشريف والوضيع، والمولى والعبد، والكلّ سواسية أمام التكليف، بمعنى أنّ لكلّ منهم تكليفاً معيناً لا يجوز له أن يحدد عنه قيد شعرة، فلا يجرى أحدٌ عن أحدٍ، ولا يغني أحدٌ أحداً، والأمر كلّهُ لله.

١ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(٢).

(١) العنكبوت : ٢.

(٢) المنافقون : ٩.

٢- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَحْسُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴾

٣- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَسْبِيَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْهُمْ كَانَ خَطئًا كَبِيرًا ﴾

(١) لقمان : ٣٣ .

(٢) الإسراء : ٣١ .

العناية والإعانة والرعاية

العناية والإعانة والرعاية أمور يحسنهما العقل والنقل، ومن حسنات المرء أن يكون مراعيًا لمن له أدنى صلة به، فإن الإعانة والرعاية والعناية بالآخر لمن دليل العظمة وجلالة القدر، فمن يكون عظيمًا في نفسه، جليل القدر، لا تفوته الرعاية والعناية والإعانة للمحقين، من الأيتام والمستضعفين والأولاد.

١ - قال أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين عليه السلام: من رعى الأيتام رُعي في يتيمة.

٢ - ورد عن النبي ﷺ أنه قال: رحم الله من أعان ولده على برّه، قال ﷺ: يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به، الخ... (٣).

(١) درر الكلم: ٢٥٥. ونقله المستدرک عن الأمدی (في بيته عوض عن تيممه) الجزء الثاني.

الصفحة ٦٢٥، الباب ٦٢، الحديث ٢.

(٢) مرآة الكمال: ٣٠. الحضائنة، عن الوسائلي.

٣- عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بالناس الظهر، فخَفَّفَ بِالرُّكْعَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ النَّاسُ هَلْ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ عليه السلام: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: خَفَّفْتَ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ، فَقَالَ عليه السلام لَهُمْ: أَوْ مَا سَمِعْتُمْ صِرَاحَ الصَّبِيِّ؟ - حَيْثُ كَانَ صَبِيٌّ يَبْكِي - ^(١).

٤- فقه الرضا عليه السلام: روي عن العالم عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: أَلَمْكَ وَالِدَانِ؟ فَقَالَ: لَا! فَقَالَ عليه السلام: أَلَمْكَ وَلَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ عليه السلام لَهُ: بَرِّ وَلَدَكَ يَحْسَبُ لَكَ بَرٌّ وَالِدِيكَ... ^(٢).

٥- روي أَنَّهُ - أَيُّ الْعَالَمِ عليه السلام - قَالَ: بَرِّوْا أَوْلَادَكُمْ، وَأَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَضُنُّونَ أَنْكُمْ تَرزُقُونَهُمْ... ^(٣).

٦- أَنَّهُ - أَيُّ الْعَالَمِ عليه السلام - قَالَ: إِنَّمَا سَمَّوْا الْأَبْرَارَ، لِأَنََّّهُمْ بَرُّوْا الْآبَاءَ وَالْأَبْنََاءَ... ^(٤).

(١) المصدر السابق.

(٢) المستدرك ٢: ٦٢٦، باب ٦٤، الحديث ٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : قال له رجل من الأنصار : من أبرّ؟ قال :
والديك . قال : قد مضيا . قال : برّ ولدك...^(١)

٨ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أحبوا الصبيان
وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فإنهم لا يرون إلا أنكم
ترزقونهم...^(٢)

٩ - كليب الصيداوي، قال : قال لي أبو الحسن [موسى] عليه السلام : إذا وعدتم
الصبيان ففوا لهم، فإنهم يرون أنكم الذين ترزقونهم، إن الله عزّ وجلّ ليس يغضب
لشيء كغضبه للنساء والصبيان...^(٣)

(١) مرآة الكمال : ٢٧، في التعليقة .

(٢) مرآة الكمال : ٢٧، الحضنة، في التعليقة .

(٣) المصدر نفسه .

نقص العيش

هناك أسباب تنقص العيش وتنقصه، وتتهك الجسم، وتتعب القلب، وتضلّ العقل، أجازنا الله تعالى منها جميعاً، وقد نهبنا عليها أئمتنا سادات البشر صلوات الله وتحياته عليهم أجمعين كي نحذّر منها جهد إمكاننا حتى لا نبتلى في الحياة فتفوتنا السعادة - لا سمح الله - .

١ - حدّثنا أبي عيسى، قال : حدّثنا محمّد بن يحيى العطار، عن محمّد بن أحمد، قال : حدّثني أبو عبد الله الرازي، عن سجادة، عن درست، عن أبي خالد السجستاني، عن أبي عبد الله عليه صلوات الله، قال : خمس خصال - إلى أن قال عليه : - من فقد واحدة منهنّ ثم يزل ناقص العيش، زائل العقل، مشغول القلب. فأولها صحّة البدن. والثانية الأمن. والثالثة السعة في الرزق. والرابعة الأيسر الموافق. قلت : وما الأيسر الموافق ؟ قال عليه : الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والخليط الصالح، والخامسة وهي تجمع هذه الخصال : الدعة أي الراحة والسعة في الحياة... إلخ.

(١) الخصال : (٢٣١)، باب الخمسة، الحديث ٣٤. وقد نقلنا هذا الحديث في فصل نقص

العيش نجهة أخرى فيه.

المصائب

الدنيا دار محفوفة بالبلاء والمصائب، فلا يسلم نزلها، ولا يدّ لكلّ إنسان
عاش على وجه البسيطة أن يصاب بها، فمن صبر ظفر، ومن لهج كفر.

١ - قال الحسن بن عليّ عليهما السلام : مصائب الدنيا أربع، منها: موت الوالد،
وهو قاصم الظهر، وموت الولد وهو صدع الفؤاد... الخ.

(١) معدن الجواهر : ٤٢، باب ذكر ما جاء في أربعة .

الفقدان

لا شك ولا ريب أن الولد قطعة من الكبد، فهو إذ يمشي على الأرض يتحرك كبد والديه بتحرك قدميه، وما من أبوين إلا ويعقدان آمالاً على ولدهما، متى يجنيا ثمرة، ويروا أثره. فأنه الله من ساعة يدنوا إليه هادم اللذات ومفرق الجماعات، الملك المقرب عند الملك العلام، فيسترد الأمانة، وعندها تشبّ النيران في قلوب الأهل والأحبة والإخوان، فتحرق كبد الأبوين بلهب الفقد والفرقة.

١- قال أمير المؤمنين عليه صلاة رب العالمين: فقد الولد محرّق الكبد^(١).

٢- حدّثنا أبو أحمد محمّد بن جعفر البنداد، قال: حدّثنا أبو العباس الحمّادي، قال: حدّثنا محمّد بن علي الصايغ، قال: حدّثنا عمرو بن سهل بن زنجلة الرازي، قال: حدّثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن أبي سلام الأسود، عن أبي سالم راعي رسول الله ﷺ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) جاء في دور الكلم: ٢٠٦، حرف الفاء.

يقول : خمس ما أنقلهن في الميزان : سبحان الله ، وناحمد الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، والولد الصالح يتوفى لمسلم فيصبر ويحسب ... (١)

٣- (أقول) كان خمسة من المشركين قد استهزؤوا بالنبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى بلاء عليهم في آن واحد ، ونزلت الآية الكريمة : ﴿ إِنَّا كَفَيْتَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (٢) . حدثنا أحمد بن الحسن القَطَّان ، قال : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحسني ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن علي الخراساني ، قال : حدثنا أبو سعيد سهل بن صالح العياشي ، عن أبيه ، وإبراهيم بن عبد الرحمن الأبلي ، قال : حدثنا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم الصلاة والسلام ، قال : حدثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدثني أبي محمد بن علي ، قال : حدثني أبي علي بن الحسين ، قال : حدثني أبي الحسين بن علي عليهم السلام جميعاً ، أن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام ، قال ليهودي من يهود الشام - إلى أن قال - وأما الأسود بن عبد يغوث ... إلى آخر القصة ... قال مصنف الكتاب - يعني الخصال - ويقال في خبر آخر في الأسود قول آخر ، يقال أن النبي ﷺ كان قد دعا عليه أن يعمي الله بصره ، وأن يشكله ولده ، فلما كان في ذلك اليوم - أي يوم نزول البلاء على النفوس الخمس - جاء حتى صار إلى كذا - وهو جبل في أسفل مكة عن طريق اليمن - فأتاه جبرئيل عليه السلام بورقة خضراء ، فضرب بها وجهه فعمى ، وبقي حتى أشكله الله عز وجل ولده يوم بدر ، ثم مات (عليه ما يستحق من العذاب) .

(١) الخصال : ٢١٧ ، باب الخمسة ، الحديث ١

(٢) الحجر : ٩٥ .

التعزية

لا بدّ من تعزية من يصاب بمصيبة، وأيّ مصيبة أدهى وأشدّ من فقد الولد، فقلّبه الله، وعظّم الله تعالى أجره، وأجزل ثوابه، وأجمل صبره، وأخذ بيده يوم لا ينفع مال ولا بنون، إن شاء الله تعالى وتقدّس.

١ - عزّى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام من ربّ الأنام رجلاً مات له ولد، ورزق ولد، فقال عليه السلام: عظّم الله أجرك فيما أباد، وبارك لك فيما أفاد^(١).

(١) جاء في كتاب درر الكلمه : ٢٠٥، في حرف العين

الاحتساب

ينبغي بل يجب على كلّ مسلم فطن أن يعلم أن كلّ ما عنده هو من عند الله تعالى، وأنّ الله حقّ في كلّ ما ملّكه وسلّطه عليه ما دام في قيد الحياة، فلا يبخل بمال ولا ولد ولا أهل ولا نفس، ويعطي، وإن كان الجميع، في سبيل الله، ولا تأخذه في الله شحّ نفس، أو غلّ يد، فإنّ العبد وما في يده كان لمولاه.

١ - قال رسول الله ﷺ يوماً: أيّها الناس، ما الرقوب فيكم؟ قالوا: الرجل يموت ولم يترك ولداً. فقال ﷺ: بل الرقوب حقّ الرقوب رجل مات ولم يقدّم من ولده أحداً يحتسبه عند الله تعالى، وإن كانوا كثيراً بعده...^(١)

(١) تحف العقول : ٣٣، مواظ النبي .

السلطة المالية

إنَّ سلطة الأب على الولد ممَّا لا يتنازع فيه اثنان، ولَمَّا كان الأب هو السبب المباشر ظاهراً في كينونة ابنه، كان له حقّ التصرّف في أمواله حتّى مع عدم علمه، لذا جاء في شرائع الإسلام:

١- في قطع يد السارق: أن لا يكون والداً من ولده، ويقطع يد الولد لو سرق من الوالد.

٣- وورد عن رسول الله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك».

إرث الوالدين

كما أن الوالدين يورثان الأبناء، كذلك الأبناء تورث - في بعض الأحيان - الوالدين، والمشرع الجليل جلت عظمته لم يهمل حقاً لأحد مهما صغر أو كبر.

١ - قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُّسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾

الإرث للولد

لا بدّ للآباء من توريث أبنائهم. أمّا المال فليس بمهمّ، والمهمّ الأدب والحكمة والمعرفة وما أشبه. والخير كلّ الخير في توريث العلم.

١- قال أبو ذر جمهر: ما ورّثت الآباء الأبناء خيراً من ثلاثة أشياء: الأدب النافع، والإخوان الصالحون، والثناء الجميل...^(١)

٢- من كلمات أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: أين من جمع فأكثر، واعتقب، واعتقد ونظر، بزعمه للولد...^(٢)

٣- وقال تعالى بالنسبة للمال: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾^(٣)

(١) معدن الجواهر: ٣٦.

(٢) في كتاب درر الكتم في حرف الألف، ألف لاسنهام.

(٣) النساء: ٧.

٤- وقال تعالى : ﴿ يُوَصِّيْكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (١).

٥- وقال القدير جلّت قدرته : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ (٢).

(١) النساء : ١١ .

(٢) النساء : ٣٣ .

إرث الأنثى

إنَّ الإنسانَ يورَثُ، والتوريثُ له أفرادٌ متنوّعةٌ، فبعضُ يورثُ العلمَ والأدبَ، وبعضُ يورثُ الشرفَ في الورثةِ كما رأيناها بأمِّ أعيننا في زماننا هذا، فإنَّه قبلُ أعوامٌ ماتَ أحدهمُ وأوصى ابنه الأكبرُ بأنَّه يبتعدُ عن العلماءِ فإنَّهم يتحيَّلونَ عليه وعلى إخوتهِ ويأخذونَ بعضَ أموالهمُ باسمِ الحقوقِ الشرعيَّةِ، وهو ماتَ ولم يؤدِّ فلساً واحداً لهؤلاءِ، هكذا زرعُ التبغِ والتباعدُ في قلوبِ أولادهِ بالنسبةِ للعلماءِ ولأهلِ الدينِ، ولكنَّ ربَّك بالمرصادِ. فما مضتِ الليالي والأيامُ إلا وقضى على ولدهِ الأكبرِ بالسرطانِ وتشتَّتِ الباقيونَ هداهمُ اللهُ تعالى. أمَّا بالنسبةِ لتوريثِ المالِ فقد حدَّدَ اللهُ تعالى للذكورِ والإناثِ، كلَّ حسبٍ ما تقتضيه المصلحةُ العامَّةُ والخاصَّةُ.

١ - قال عزٌّ من قائلٍ: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾

٢- وقال تبارك وتعالى : ﴿ يُوَصِّيْكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ ۚ وَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِلَّذَلَّتِ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمَّةِ الشُّدُّسُ مِمَّن بَعْدَ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّي بِهَا أَوْ دِينِ آبَاؤِكُمْ وَأَبْنَاؤِكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

نهى الله عن المحارم

هناك أمور نهى الله سبحانه وتعالى عن إتيانها، فهي ممنوعة على العباد، والممنوع بلسان الشرع المقدس يقال له حرام، ولا ريب أن الله تعالى لا يحرم على عباده أمراً إلا مضرّة عليهم، كما لا يوجب عليهم أمراً إلا وفيه مصلحة لهم، فمن ائتمر بأوامر الله تعالى فقد سعد في الدنيا والآخرة، ومن عصى - والعباد بالله - فقد هلك وهوى ومما حرّم علينا، هو ما جاء في الكتاب الكريم :

١ - ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَزَوَّجَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (١)

نكاح المرأة ذات الأولاد

لا شك أن كل رجل يريد المرأة وإن كانت ثيباً، وإن من بعض الثيبات ذوات أولاد، فهل يصلح للرجل أن يقدم على مثلها؟ كلاً... يقول أرباب هذا الفن: إن النساء على ثلاث. الباكر، وهي التي لم تزوجاً، فإن تزوجتها يكن حبها جميعه لك وحدك. الثيب، وهي على قسمين: من رأت زوجاً ولم تلد منه، فأنتك إن تزوجتها يكن نصف حبها لك والنصف الآخر بقي عند النكاح الأول. ومن رأت زوجاً وولدت منه، فأنتك إن ابتليت بها لم تصب من حبها ذرة، فإنه انقسم نصفين: نصف للنكاح والباقي لأولاده، فما بقي لك شيء إلا الأوامر الصادرة منها، والظعن عليك ومدح من قبلك، وهذه الأخيرة تسمى اللفوت - يعني تلذفت إلى فراخها - وليس لك منها ومن ولدها نصيب. فإياك واحذر.

١ - حدثنا أبو الحسن محمد بن عمر البصري، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن الحسن بن البندار التميمي الطبري بأسفراين في الجامع قال: حدثنا أبو نصر محمد بن يوسف الطوسي بطبران، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا علي بن حشرم المروزي، قال: حدثنا الفضل بن موسى السنائي المروزي، قال: قال أبو حنيفة

١٦٨ الأثر الخالد في الولد والوالد

النعمان بن ثابت : أفيدك حديثاً طريفاً لم تسمع أطرف منه . قال : فقلت : نعم ، قال أبو حنيفة : أخبرني حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم النخعي ، عن عبد الله بن نجيب ، عن زيد بن ثابت ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا زيد تزوجت ؟ قال : قلت : لا ! قال ﷺ : تزوج تستعف مع عفتك ، ولا تتزوجن خمساً ، قال زيد : من هن يا رسول الله ﷺ ؟ فقال رسول الله صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين : لا تتزوجن ، شهيرة ، ولا لهبرة ، ولا نهبرة ، ولا هيدرة ، ولا لفوتاً ... فقال زيد : يا رسول الله ﷺ ، ما عرفت ممّا قلت شيئاً ، وإني بأمرهنّ لجاهل ، فقال رسول الله ﷺ : ألسنم عربياً ؟ أمّا الشهيرة فالزرقاء البديّة ... وأمّا اللهبرة فالطويلة المهزولة ... وأمّا النهبرة فالقصيرة الذميمة ... وأمّا الهيدرة فالعجوز المدبرة ... وأمّا اللفوت فذات الولد من غيرك ... (١)

الفرار من الولد

الولد عزيز جداً بحيث نرى بعضهم يفديه روحه، ولكن لكل شيء حدّ، ولكلّ مسير إيقاف، أمّا بالنسبة للعالم فحدّ حبّ الولد الدين، فإذا خيّر المؤمن بين ترك الدين أو الولد، فلا شكّ أنّه يترك الولد، ويحافظ على دينه. وأمّا بالنسبة للآخرة التي هي دار جزاء وبقاء فكلّ ينادي وانفساه، فلا والد يجزي عن ولده، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً، والأمر يؤمّن الله تعالى. فهناك ترى الفرار ممّا لا يطاق من سنن المرسلين. ربنا ارحمنا برحمتك، وأرنا شفعاؤنا في حبوحة جنّتك، واهدنا وذريّاتنا بهدایتك، يا أرحم الراحمين.

١ - حدّثنا أبو الحسن محمّد بن عمرو بن علي بن عبد الله البصري بإيلاق، قال: حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أحمد بن جبلة الواعظ، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا موسى بن جعفر عليه السلام، قال: حدّثنا جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: حدّثنا محمّد بن علي عليه السلام، قال: حدّثنا علي بن الحسين عليه السلام، قال: حدّثنا الحسين بن علي عليه السلام، قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع، إذ قام إليه رجل من أهل الشام، فسأله عن

١٧٠ الأثر الخالد في الولد والوالد

مسائل ، فكان فيما سألته أن قال : أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ من هم ؟ فقال عليه السلام : قاييل يفر من هابيل ، والذي يفر من أمة موسى ، والذي يفر من أبيه إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام ، والذي يفر من صاحبه لوط عليه السلام ، والذي يفر من ابنه نوح ، يفر من ابنه كنعان .

قال الصدوق رحمه الله تعالى : إنما يفر موسى من أمه خشية أن يكون قصر فيما وجب عليه من حقها . وإبراهيم عليه السلام إنما يفر من الأب المربي المشرك لا من الأب الوالد وهو تارخ ...^(١)

أقول : إن الفرار يشمل الجميع حسب ما يتصور لأن القرآن الكريم وإن كان له شأن نزول ، أو خصوصية مورد ، إلا أنه يعم الموارد ويشمل الجميع . نعم يمكن أن يكون أول من يفر هم هؤلاء الذين عدّهم أمير المؤمنين علي عليه أفضل الصلاة والسلام . ودليلنا : إن لفظ (المرء) اسم جنس ، و (الـ) يفيد العموم .

(١) عيس : ٢٤ - ٣٦ .

(٢) الخصال : ٢٥٩ ، باب الخمسة ، الحديث ١٠٢ .

اللعن

اللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى، وأي شيء أمر وأُنكى من الطرد، نعوذ بالله من تلکم الأعمال التي توجب ذلك، وهي كثيرة، منها وأهمها ما جاء في الحديث الشريف المتعلق بالولد ووالديه، والولد والوالدة والتفرقة بينهما، فهذه أشدّ موارد اللعن.

لعن الله آل أمّية كيف فرّقوا بين الأمّهات وأبناءها.
فهذه المخدّرة أمّ القاسم ابن الحسن المجتبي عليه السلام ترى ولدها بين حوافر الخيول.

وهذه المصونة أمّ عليّ الأكبر ابن الحسين الشهيد عليه السلام ترى ولدها مقطّعاً بالسيوف إرباً إرباً وقد فارق أمّه.

وهذه النقيّة أمّ الرضيع ترى ولدها يتلظى من العطش ثمّ عند طلب الماء يرمى بسهم من حرمة لعنه الله فيذبح من الوريد إلى الوريد وهو على يد المظلوم أبي عبد الله روجي فداء.

وهكذا أمّهات أخرى في كربلاء تشكل وتفارق أولادها، كل ذلك ليحكم

١٧٢ الأثر الخالد في الولد والوالد

يزيد بن معاوية عليه وعلى آله لعائن أهل السماوات والأرضين، لعائن الله
والملائكة والناس أجمعين آمين.

١- قال رسول الله ﷺ: لعن الله من فرق بين الوالدة وولدها...^(١).

٢- قال أيضاً ﷺ: لعن الله من لعن والديه...^(٢).

(١) غوالي الدرر: ١٤٣، حرف اللا.

(٢) المصدر السابق.

الممقوت

كل شيء في الدنيا يكون ممقوتاً في بعض الأوان والحالات ومن بعض الوجود، كما يكون ممدوحاً ومستحسناً في الحالات والوجود المعاكسة للوجود والحالات والأوقات الأول.

ومن الأشياء المهمة التي تؤخذ بنظر الاعتبار الكلي هي الأموال والأولاد، وهذه تارة تكون زينة الحياة الدنيا، وأخرى تكون فتنة وامتحاناً، ثالثة تكون وزراً ووبالاً، حيث يمقته العتلاء، وحتى تمقت في بعض الآيات والروايات.

١- (قول النبي ﷺ) يا أبا ذر: إني قد دعوت الله جل جلاله أن يجعل رزق من يحبني الكفاف، وأن يعطي من يبغضني كثرة المال والولد...^(١)

٢- ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، إنما الخير أن يكثر علمك، وأن يعظم حلمك...^(٢)

(١) بندهای کرانمایه پیغمبر گرامی : ٣٠، تجدید ٥٦.

(٢) غرر الحکم : ٥٩٥، فصل ٧٣، لفظ لیس وجامع السعادات : ٢٦٤، فضيلة التحلم.

الفتنة

للفتنة معانٍ في اللغة كثيرة، فلا بأس لعرض بعضها كي يتسنى لنا معرفة المعنى المطلوب. فقد جاء في تاج العروس: الفتنة إعجابك بالشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(١)، أي لا تظهرهم علينا فيعجبوا. والفتنة الضلال، والفتنة الإثم، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾^(٢)، أي الإثم. والفتنة، الكفر، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ ﴾^(٣). والفتنة الفضيحة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ ﴾^(٤)، أي فضيحته. والفتنة العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾^(٥)، أي عذابكم. والفتنة الإضلال، نحو قوله تعالى: ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾^(٦)، أي بمضلين. والفتنة المحنة،

(١) يونس : ٨٥ .

(٢) التوبة : ٤٩ .

(٣) البقرة : ١٩١ .

(٤) المائدة : ٤١ .

(٥) الذاريات : ١٤ .

(٦) النصافات : ١٦٢ .

نحو قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا يُتَّقُونَ ﴾ ، أي لا يمتحنون . والفتنة المال والأولاد .
 كقوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ . والفتنة اختلاف
 الناس في الآراء . وإلى آخر ما جاء في معنى الفتنة . والذي يهتما في ما نحن فيه
 هو أن الولد فتنة بجمع معانيه ، فهو محل الإعجاب لو انديه ، وبسببه بقعان في
 الضلال والإثم أحياناً ، وحبّه كفر بعضهم وافتضح وعذب وأضل ووقع في المحنة
 والامتحان ، لذا جاء في الحديث الشريف ما هذا لفظه :

١ - ابن عمر ، أن النبي ﷺ ، بينما هو يخطب على المنبر ، إذ خرج
 الحسين عليه السلام فوطئ في ثوبه ، فسقط فبكى . فنزل النبي ﷺ عن المنبر فضمه إليه
 وقال : قاتل الله الشيطان ! إن الولد لفتنة ، والذي نفسي بيده ما دريت أني نزلت
 عن منبري ...^(١)

٢ - علي عليه السلام . قال : لا يقولن أحدكم : اللهم إني أعوذ بك من الفتنة ، لأنه
 ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، ولكن من استعاذ فليستعد من مضلات الفتن ،
 فإن الله سبحانه يقول : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ، ومعنى ذلك
 أنه يختبرهم بالأموال والأولاد ... الخ

(١) العنكبوت : ٢ .

(٢) الأنفال : ٢٨ .

(٣) البحار ٤٣ : ٢٩٥ ، في محبة النبي ﷺ .

(٤) الأنفال : ٢٨ .

(٥) نهج البلاغة : ١٦٥ ، المختار من الحكم .

الوَاد

﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (١). كانت المظالم - في زمن الجاهلية - علت فوق الهامات، فلا رادع ولا مانع، وكان من جملتها وأد البنات، كي لا يؤسروا في الغزوات، لأن الغزو كان من شيمة الأعراب، فهذه الطائفة تغزوا تلك، وذي القبيلة تغزوا ذي، ونيران الحرب والجهل قد أحرق الطري واليابس، فأنجاهم الله برجل منهم، هو أشرف الخلائق من الأولين والآخرين، أبي القاسم الأمين، محمد الهاشمي العربي المكي المدني الأبطحي التهامي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي قلب صفحة الشرك، والظلم، والكفر، والنفاق، إلى التوحيد، والعدل، والإيمان، والسلام، والإسلام، فلا جهل، ولا غزو، ولا وأد، فالعلم حلّ مكان الجهل، والاستقرار حلّ مكان الغزو، والدلال والمحبة حلّت مكان الواد، فجزاك الله يا رسول الله عتاً خيراً، صلّى عليك ملك السماء.

١ - الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه

(١) التكوير: ٨-٩.

أفضل السلام، قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال : إنني قد وُلدت بنتاً، وريبتها، حتى إذا بلغت، فألبستها، وحلّيتها، ثم جئت بها إلى قليب فدفعتها في جوفه، وكان آخر ما سمعت منها، وهي تقول : يا أبتاه ! فما كفارة ذلك ؟ قال ﷺ : ألك أم حية ؟ قال : لا . قال ﷺ : فلك خائنة حية، قال : نعم، قال ﷺ : فأبررها، فإنها بمنزلة الأم، يكفر عنك ما صنعت، قال أبو خديجة : قلت لأبي عبد الله صلوات الله عليه : متى كان هذا ؟ فقال ﷺ : كان في الجاهلية، وكانوا يقتلون البنات مخافة أن يسبين، فيلدون في قوم آخرين ...

الاجتناب عن ولد الزنا

لا ينبغي للعاقل أن يخالط كلَّ من عرض له، وإنما ينبغي له الانتقاء، فإنَّ الناس صناديق مغلقة، لا يدري ما تحويه. وقد علّمتنا التجارب أن ما تضرَّ هي أكثر بكثير ممَّا تنفع، فيا ولدي عليك بالتأني فيما تختار، وعليك بالتأمل فيمن تترك، وكن على هون في مسيرك الصعب. واعلم أن الحذر ينجي من الخطر.

١ - حدّثنا محمّد بن علي ماجيلويه رحمته الله، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطار، عن محمّد بن أحمد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سنان، عن عبيد الله ابن عبد الله الدهقان، عن ورست، عن أبي إبراهيم الإمام الكاظم عليه صلوات ربّ العالمين، قال: قال رسول الله ﷺ: خمسة يجتنبون على كلّ حال: المجذوم، والأبرص، والمجنون، وولد الزنا، والأعرابي... (١).

(١) الخصال: ٢٢٣، باب الخمسة، الحديث ٤٢.

لا يولد المؤمن بزنا

إنّ الشيطان (لعنه الله) قويّ غويّ، لا يدع للإنسان أقلّ فرصة إلا ويوقعه في هلكة المعصية، وأكثر بل كلّ جهده أن يضفر بالمؤمن، ويكيد له كلّ مكيدة، حتّى يجرح إيمانه، وإن لم يتمكن على الأقلّ يجرح عمله، وإن لم يتمكن فلا بدّ أن يدفعه إلى ما لا يرضاه المولى جلّ شأنه حتّى يعصي، وهو القائل: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١). لكنّ المؤمن فطن، لا يقدم على ما يضرّه، وإن قدم -والعباد بالله- يتوب من قريب، فيرغم بذلك أنف أبي مرّة اللعين، ويهزمه عنه بقولة لا إله إلا الله. وهذا الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه يحدثنا عنه.

١- حدّثنا أبي بصير رضي الله عنه، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن الهيثم بن أبي مسروق النهدي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رثاب، عن الحلبي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ المؤمن لا يكون سجيته الكذب ولا البخل ولا الفجور، ولكن ربما ألم بشيء من هذا لا يدوم عليه، فقيل له: أفيزني؟

١٨٠ الاثر الخالد في الولد والوالد

قال عَمْرُو بْنُ مَرْثَدَةَ: نَعَمْ هُوَ مَثَلُ تَوَّابٍ، وَلَكِنْ لَا يُولَدُ لَهُ [ابن] مِنْ بِلْكَ النَّطْفَةِ... (١)

٢- حَدَّثَنَا أَبِي بِحَدِيثِهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَدَمِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السِّيَارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْخُرَّازِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَى شِيعَتَنَا مِنْ سِتِّ: مِنَ الْجَنُونَ، وَالْجَذَامِ، وَالْبُرْصِ، وَالْأَبْنَةِ، وَأَنْ يُولَدَ لَهُ مِنْ زِنَا، وَأَنْ يُسْأَلَ النَّاسُ بِكُفِّهِ... (٢)

٣- وَحَدَّثَنَا أَبِي بِحَدِيثِهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ زُرْعَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَضْرَمِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ سِنَانَ، عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ عَمْرِو، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: أَلَا إِنَّ شِيعَتَنَا قَدْ أَعَادَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سِتِّ: [مِنْ] أَنْ يَطْعَمُوا طَمْعَ الْغَرَابِ، أَوْ يَهْرُوا هَرِيرَ الْكِلَابِ، أَوْ يَنْكَحُوا فِي أَدْبَارِهِمْ، أَوْ يُلِدُوا مِنَ الزِّنَا، أَوْ يُولَدَ لَهُمْ مِنَ الزِّنَا، أَوْ يَتَّصِدَّقُوا عَلَى الْأَبْوَابِ... (٣)

(١) الخصال: ١٠٣، باب الثلاثة، الحديث ١٣٤

(٢) الخصال: ٢٧٤، باب الستة، الحديث ٢٧

(٣) الخصال: ٢٧٥، باب الستة، الحديث ٢٨

المضّر

أعاذنا الله تعالى من أن نكون من المضّرين أو المتضرّرين، فالإنسان إن لم يحفظه الله تعالى من شرور نفسه الأمانة بالسوء، سيكون والعياذ بالله إمّا والد سوء، أو ولد سوء، وكلاهما ممّا يبعثان على شقاءه في الدنيا والآخرة، أجازنا الله تعالى وأبناءنا من سوء السريرة وعقوق الوالدين.

١ - من أقوال سيّد الوصيّين أمير المؤمنين عليه السلام، قال: والد السوء يعرّ السلف ويفسد الخلف. هذا بالنسبة إلى الوالد، وأمّا بالنسبة إلى الولد، قال عليه السلام: ولد السوء يهدم السلف ويشين الشريف. وقال عليه السلام أيضاً: ولد عقوق محنة وشوم...^(١).

(١) درر الكلم، ٢٨٧، حرف الواو.

لا ضرار ولا ضرار

من القواعد المسلّمة التي سنّها رسول الله ﷺ هي قاعدة لا ضرر ولا ضرار، وهذه كانت في قصّة سمرة بن جندب مع أحد الأنصار الذي كان قد باعه داراً فيها نخلة، وكان يأتيها سمرة كل يوم فاستنقل الأنصاري الأمر، فشكا إلى النبي ﷺ، فبعث النبي ﷺ إلى سمرة وأحضره، فقال له: بعه النخلة، فأبى سمرة، وأخيراً أمر رسول الله ﷺ بقلع النخلة وإعطائها إياه، وقال: لا ضرر ولا ضرار في الإسلام. وفيما نحن فيه إحدى مصاديق الضرر والضرار، فقال العليّ القدير جلّت قدرته:

١ - ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْتَمِ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)

الهرب بعد الطلب

لقد خلق الإنسان هلوغاً، يحرص على سلامته مهما كلف الأمر، ويبخل بماله مهما قلَّ أو كثر، وتهزمه أصغر صعوبة، ويخيفه أقلَّ شين وليس له صبر ولا تصبّر على مكاره الدهر، حتّى ولو كان يضرّه في دينه أو دنياه، وهذا ديدنه من قديم الزمان. يمتنع عن الخير، ويجزع من الشرّ، فما صلح من هذا النوع إلّا القليل، أولئك الذين هداهم الله تعالى فاهتدوا، وهدوا إلى صراط السويّ، والباقون لا يعنون بقول ولا فعل، ها هو القرآن الكريم يحدثنا عن بعضهم، وهم الذين طلبوا من نبيّ لهم أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون معه في سبيل الله تعالى محتجّين بطردهم عن ديارهم وأبنائهم، ولكن لما حصحص الحقّ وحان وقت العمل تولّوا إلّا قليلاً منهم، فهربوا بعد الطلب.

١- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١١﴾

أولاد إبليس

هكذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون المولودون ثلاثة، وكلّ يولد حسب ما تقتضيه طبيعته الأولية، ثمّ إنه يمكن لأولادهم أن يختاروا غير ما هم عليه، فمثلاً إبليس لا يلد إلا الكافر، ولكن آمن أحد أولاده واسمه هام ابن هيم بن لافيس بن إبليس، وهذا خلاف ما تقتضيه ذاته.

١ - حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال : حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، قال : حدّثنا أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن إسماعيل، عن الحسن بن طريف، عن أبي عبد الرحمن، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : الآباء ثلاثة : ١ - آدم، وند مؤمناً. ٢ - والجان، ولد مؤمناً وكافراً. ٣ - وإبليس، وند كافراً. وليس فيهم نتاج، إنّما يبيض ويفرّخ، وولده ذكور، ليس فيهم أنثى...

الذلّ

هناك أمور كثيرة تسبّب ذلّ الإنسان، كالجهل والحمق وحقارة النفس وما أشبهه. ومن هذه الأمور تتعلّق بشخص الإنسان، يعني يتمكّن دفعها إن أراد، ومنها ما لا تتعلّق بشخصه، وإنّما هي مرتبطة بالقضاء والقدر مثل اليتيم والفقير وعدم الشخصية وما أشبهه، وقد أخبرنا بذلك صادق آل محمّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

١ - حدّثنا أحمد بن محمّد بن الهيثم العجلي رحمته الله، قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القنّان، قال: حدّثنا بكر بن عبد الله بن حبيب، قال: حدّثنا تميم بن بهلون، عن أبيه، عن عبيد الله بن الفضل الهاشمي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ثلاثة من عازهم ذلّ: الوالد، والسلطان، والغريم...^(١)

(١) الخصال: ١٥٥، باب الثلاثة، الحديث ٢٧١.

الكبائر

إنّ المعاصي - كما قسّمت في الشرع - على ضريين : الكبائر والصغائر ، وقال بعض الأعلام أنّه لا توجد صغائر ، فكلّ معصية بالنسبة إلى ما تحتها كبيرة . وأمّا بالنسبة للكبائر فهناك أقوال . قال بعضهم : هي ما ذكر عقابها في القرآن . وقد عدّها أئمّتنا عليهم السلام بأعداد مختلفة ويمكن الجمع بين أقوالهم عليهم السلام بأن نقول : كانوا عليهم السلام يراعون الزمان والمكان والمسائل في أجوبتهم ، وإلّا فكلّ المعاصي كبيرة بالنسبة إلى الأصغر منها ، والموارد تختلف :

١ - ففي مورد قال الإمام الصادق عليه السلام : الكبائر سبع فينا أنزلت ومنا استحلّت ، منها : عقوق الوالدين ...^(١)

٢ - روي عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال : الكبائر تسعة ، منها : وعقوق الوالدين ...^(٢)

(١) معدن الجواهر : ٥٩ .

(٢) معدن الجواهر : ٦٦ .

٣- وأرسل - أي في عيون أخبار الرضا عليه السلام - عن رسول الله ﷺ :
ألا أخبركم بأكبر الكبائر : الإشراف بالله وعقوق الوالدين ، وقول الزور - أي
الكذب - ... (١)

٤- وفيه (أي كتاب الجعفریات) عنه عليه السلام : من أكبر الكبائر : الشرك بالله ،
وعقوق الوالدين ... (٢)

(١) مكاسب الشيخ الأنصاري رحمه الله : ١٦٠ ، الكذب ، الطبعة الجديدة ... وقال في التعليقة :

ارجع إحياء العلوم للغزالي ٣ : ١٣٥ ، سطر ١٢ ، وفي المصدر : ألا أنبئكم ، بدل ألا أخبركم .

(٢) ذرايع البيان : ٢٠٠ ، تكملة الآفة الثامنة .

الجبن

من الصفات الرذيلة صفة الجبن، وهي من أخس الرذائل، وإن تمكنت -والعياذ بالله- من الإنسان، تجعله يهرب من كل شيء، حتى مما له فيه الخير، وحتى من أعز الناس عليه وهو الأب مثلاً، فيا أبناءنا نوصيكم أن لا تكونوا جبناءً، فتهربوا من المسؤولية، ولا تكونوا متهورين فتعثوا في الأرض الفساد، فخير الأمور أوسطها، واختاروا الوسط، وكونوا شجعان لا تهربوا من الطاعة ولا تركبوا المعصية.

١- حدثنا محمد بن الحسن رضي الله عنه، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن محمد ابن عيسى بن عبيد، عن القاسم بن يوسف أخي أحمد بن يوسف بن القاسم الكاتب، عن حنان بن سدير الصيرفي، عن سدير الصيرفي، قال: قال أبو جعفر عليه الصلاة والسلام: لا تقارن ولا تواخي أربعة: الأحمق، والبخيل، والجبان، والكذاب. أمّا الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. وأمّا البخيل فإنه يأخذ منك ولا يعطيك. وأمّا الجبان فإنه يهرب عنك وعن والديه. وأمّا الكذاب فإنه يصدق ولا يصدق...

سنن عبد المطلب

إنَّ الله في خلقه شؤون. كان قبل البعثة رجال عظماء، يدينون الله تعالى بأحسن وجه، والناس تائهون في وديان الجهالة والضلالة، وهؤلاء المتديتون قد تمسكوا بالعروة الوثقى، أي تمسكوا بإرادة السماء والله سبحانه وتعالى هداهم إلى أصوب الطرق وأحَبِّها، فستوا سنناً كبيرة وعظيمة بين الناس، فأمضاها ربُّ الأرباب تعالى وتقدَّس، وبقيت حتَّى البعثة وبعدها وإلى يوم القيامة، ما كان الله ينمو. هكذا وإلَّا فلا. فمن هؤلاء العظماء جدُّنا شيخ بني هاشم، عبد المطلب رضوان الله تعالى عليه، وجزاه عنَّا خيراً.

١ - حدَّثنا محمَّد بن علي بن الشَّاه. قال: حدَّثنا أبو حامد، قال: حدَّثنا أبو يزيد، قال: حدَّثنا محمَّد بن أحمد بن صالح التميمي، عن أبيه، قال: حدَّثنا أنس بن محمَّد أبو مالك، عن أبيه، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جدِّه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال صلى الله عليه وآله في وصيته له: يا علي، إنَّ عبد المطلب سنٌّ في الجاهلية خمس سنن أجزأها الله له في الإسلام:

أ - حرِّم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا

١٩٠ الأثر الخالد في الولد والوالد

نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴿٢٢﴾

ب - ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به، فأنزل الله عز وجل:

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾^(٢٢)... إلى آخره.

ج - ولما حفر زمزم سماها سقاية الحاج، فأنزل الله عز وجل: ﴿ أَجَعَلْتُمْ

سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾^(٢٣)... الآية.

د - وسن في القتل مائة من الإبل، فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام.

هـ - ولم يكن الطواف عدد عند قريش، فسن فيهم عبد المطلب سبعة

أشواط، فأجرى الله تعالى ذلك في الإسلام...

يا علي، إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام،

ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم على نبينا وآله

وعليه السلام...^(٢٤)

٢ - قال سيد الموحدين وقائد الغر المحجلين أمير المؤمنين فداه روعي

وأرواح العالمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى أبنائه الطاهرين إلى يوم الدين:

عقوا عن أولادكم يوم السابع وتصدقوا بوزن شعرهم فضة على مسلم، وكذلك فعل

رسول الله ﷺ بالحسن والحسين عليهما السلام وسائر ولده عليهم السلام...^(٢٥)

(١) النساء : ٢٢

(٢) الأنفال : ٤١

(٣) التوبة : ٩

(٤) الخصال : ٢٥٤، باب الخمسة، الحديث ٩٠.

(٥) المواعظ العددية : ٢٩٤، باب الأربعمائة.

٣ - أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد، حدثني موسى بن إسماعيل، قال :
حدثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن
الحسين، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال : قال رسول الله ﷺ : احلّقوا
شعر الذكّر والأُنثى يوم السابع، وتصدّقوا بوزنه فضّة... إلخ.

ذبح الولد

من العجيب الذي لا يكاد يصدّق - لولا الإيمان - أن نبياً من أولي العزم يرى في المنام أنه يذبح ولده، ثم يقصد تصديق منامه، وتلّه للجبين، ونادينه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا. وهكذا سيّد قريش عبد المطلب رضوان الله تعالى عليه ينذر ذبح ولده العاشر وهو عبد الله أبو النبي ﷺ، فيفدي بمائة من الإبل كما أفدى إسماعيل بذبح عظيم، فبهذه وذلك يدفع عنهما الذبح ويبقى الفخر مدى الزمان حتى يقول رسول الله ﷺ: أنا ابن الذبيحين.

١ - حدّثنا أحمد بن الحسن القطان، قال: أخبرنا أحمد بن محمد سعيد الكوفي، قال: عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضال، عن أبيه، قال: سألت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه الصلاة والسلام عن معنى قول النبي ﷺ أنا ابن الذبيحين، قال ﷺ: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وعبد الله بن عبد المطلب. أمّا إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله به إبراهيم، فلما بلغ معه السعي، قال: يا بني، إني أرى في المنام إني أذبحك، فانظر ماذا ترى، قال: يا أبتِ افعل ما تؤمر، ولم يقل له: يا أبتِ افعل ما رأيت، ستجدني إن شاء الله من

الصابرين، فلَمَّا عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم، بكبش أملح بأكل في سواد، ويشرب في سواد، وينظر في سواد، ومشى في سواد، ويبول ويبعر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أمي، وإنما قال الله جلَّ وعزَّ له كن فكان ليفدي به إسماعيل، فكلَّمَا يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة، فهذا أحد الذبيحين. وأما الآخر، فإنَّ عبد المطلب كان تعلق بحلقة باب الكعبة ودعا الله عزَّ وجلَّ أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله عزَّ وجلَّ أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته، فلَمَّا بلغوا عشرة (أولاد) قال: قد وفى الله لي، فلأوفينَّ لله عزَّ وجلَّ، فأدخل ولده الكعبة، وأسهم بينهم، فخرج سهم عبد الله أبى رسول الله ﷺ، وكان أحبَّ ولده إليه، ثمَّ أجالها ثانية، فخرج سهم عبد الله، ثمَّ أجالها ثالثة، فخرج سهم عبد الله، فأخذه وحبسه، وعزم على ذبحه فاجتمعت قريش وقعته من ذلك، واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن، فقالت له ابنته عاتكة: يا أبناء اعذر فيما بينك وبين الله عزَّ وجلَّ في قتل ابنك، قال: فكيف اعذر يا بنية فإنك مباركة؟ قالت: اعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم، فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل، واعطِ ربك حتى يرضى، فبعث عبد المطلب إلى إبله، فأحضرها وعزل منها عشراً، وضرب بالسهم فخرج سهم عبد الله، فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة، فضرب فخرج السهم على الإبل، فكبرت قريش تكبيراً ارتجت لها جبال تهامة. فقال عبد المطلب: لا، حتى أضرب بالقداح ثلاث مرَّات، فضرب ثلاثاً، كل ذلك يخرج السهم على الإبل، فلَمَّا كان في الثالثة، اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجله فحملوه وقد انسلخت جلده خده الذي كان على الأرض، وأقبلوا يرفعونه، ويقبلونه، ويمسحون عنه التراب، وأمر عبد المطلب أن تنحر الإبل بالخرورة،

ولما يسع أحد منها، وكانت مائة، وكانت لعبد المطلب خمس سنن أجرها الله عز وجل في الإسلام: حرم نساء الآباء عنى الأبناء، وسن الدية في القتل من الإبل، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس، وسمى زمزم كما حفرها سقاية الحاج. ولو أن عبد المطلب كان حجته، وأن عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيه بعزم إبراهيم على نبينا وآله وعليه على ذبح ابنه اسماعيل لما افتخر النبي ﷺ بالانساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان، في قوله ﷺ: أنا ابن الذبيحين، والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن اسماعيل هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله، وهي كون النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في صليهما فببركة النبي والأئمة عليهم السلام رفع الله الذبح عنهما، فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم ولولا ذلك لوجب على الناس كل أضحى التقرب إلى الله تعالى ذكره بقتل أولادهم، وكلما يتقرب الناس به إلى الله عز وجل من أضحية فهو فداء لإسماعيل إلى يوم القيامة ...

٢- حدثنا أحمد بن هارون الفاضي، وجعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنهما، قالوا: حدثنا محمد بن جعفر بطة، عن محمد بن حسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن ابن أخبره، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: أول من سوهم عليه مريم بنت عمران، وهو قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَأَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾، وأسهم ستة. ثم استهموا في يونس

(١) الخصال: ٤٥، باب الاثنين، الحديث ٧٨.

(٢) آل عمران: ٤٤.

ثمًا ركب مع القواد، فوقفت السفينة في الدجّة، فاستهموا فرفع السهم على يونس ثلاث مرّات، قال: فمضى يونس إلى صدر السفينة، فإذا الحوت فاتح فاه، فرمى بنفسه. ثمّ كان عبد المطلب ولد له تسعة فنذر في العاشر، أن يرزقه الله تعالى غلاماً أن يذبحه، قال عليه السلام: فلما ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله ﷺ في صلبه، فجاء بعشر من الإبل وسأهم عليها وعلى عبد الله، فخرج السهام على عبد الله، فزاد عشراً، فلم يزل السهام يخرج على عبد الله ويزيد عشراً، فلما «لأن» بلغت مائة خرجت السهام على الإبل، فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربّي، فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل، فقال: الآن علمت أن ربّي قد رضي، فتحرها...^(١)

(١) الخصال : ١٢٤، باب الثلاثة، الحديث ١٩٨.

متفرقات

١ - دعائم الإسلام : عن عليّ عليه السلام ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : من ولد له مولود فليؤذن في أذنه اليمنى ويقيم في اليسرى ، فإن ذلك عصمة من الشيطان ، وأنه عليه السلام أمر أن يفعل ذلك بالحسن والحسين عليهما السلام ، وأن يقرأ مع الأذان في أذنهما فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، وآخر سورة الحشر ، وسورة الإخلاص ، والمعوذتان ... الخ .

٢ - يا عليّ ، إذا وُلد لك غلام أو جارية ، فأذن في أذنه اليمنى ، وأقم في اليسرى ، فإنه لا يسره الشيطان أبداً ... الخ .

٣ - عنه عليه السلام أنه قال : واحلق رأس المولود ، وتصدق بوزنه ذهباً أو فضةً ... الخ .

(١) المستدرک ٢ : ٦١٩ ، باب ٢٦ ، الحديث ١

(٢) تحف العقول : ١١ ، وصيته لعليّ عليه السلام .

(٣) المستدرک ٢ : ٦٢٠ ، باب ٣٢ ، الحديث ٤ .

٤ - أخبرنا عبد الله بن محمد، قال : أخبرنا محمد بن محمد، قال : حدثني موسى بن إسماعيل، قال : حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أن رسول الله أبصر رجلاً له وندين قبل أحدهما وترك الآخر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : فهلاً واسيت بينهما... الخ.

ختامه مسك

هذا ما وجدته لوالدي رحمته من كتابه (الأثر الخالد)، وقد طبعته في الطبعة الأولى سنة ١٤١١ على ما وجدته، وقد طبعه بيده الكريمة بالتايب. وهذه هي الطبعة الثانية بحلة جديدة وطباعة أنيقة، مزادة ومنقحة، وقد أضفت عليها ما وجدته في أوراق والدي مرةً أخرى، وكان يتعلق بالكتاب نفسه. ولكي يكون ختامه مسك، ارتأيت أن أختمه بدعائين من الصحيفة السجادية لمولانا وإمامنا وجدنا الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ونكي تعم الفائدة، نقلتها من كتاب (في ظلال الصحيفة السجادية) للكاتب الشهير الشيخ محمد جواد مغنية رحمته، ثم أردفتها بلمحة من حياة السيد الوالد من كتاب (الكوكب الدرّي في حياة السيد العلوي).

أملي من القراء الكرام أن يذكره بالدعاء وبفاتحة وسورة مباركة من كتاب الله الكريم، ولهم من الله الأجر والثواب، ومن أسرته ألف شكر، ودمتم بخير.

العبد

عادل العلوي

إيران - قم - ص ب ٣٦٣٤

دعاء مولانا الإمام السجّاد عليه السلام لأبويه

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ
الطَّاهِرِينَ، وَأَخْصِصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ
وَسَلَامِكَ، وَأَخْصِصِ اللَّهُمَّ وَالِدَيَّ بِالكَرَامَةِ لَدَيْكَ، وَالصَّلَاةِ
مِنْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَلْهِمْنِي عِلْمَ مَا يَجِبُ
لَهُمَا عَلَيَّ الْإِهَامَا، وَاجْمَعْ لِي عِلْمَ ذَلِكَ كُلَّهُ تَمَامًا، ثُمَّ اسْتَعْمِلْنِي
بِمَا تَلْهِمْنِي مِنْهُ، وَوَقِّفْنِي لِلنُّفُوزِ فِيمَا تُبَصِّرُنِي مِنْ عِلْمِهِ، حَتَّى
لَا يَفُوتَنِي اسْتِعْمَالُ شَيْءٍ عِلْمْتِيهِ، وَلَا تَثْقُلَ أَرْكَانِي عَنِ
الْخُفُوفِ فِيمَا أَلْهِمْتَنِيهِ.

(وألهمني علم ما يجب فهما...) العلم بالحلال والحرام لا ينبع من داخل
الإنسان وأوهامه، وإنما يؤخذ من الوحي أو ما يمضيه الوحي ويقرّه، ولذا طلب
الإمام من الله سبحانه أن يرشده ويهديه إلى ما يجب عليه نوالديه، ويتلخص هذا
الواجب بطاعتها في كل شيء، إلا في معصية الله حيث لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق، وبهذا تجد تفسير الآية ٨ من العنكبوت: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

٢٠٠ الأثر الخالد في الولد والوالد

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴿١٠٦﴾
وغيرها من آيات هذا الباب وأحاديثه.

وبالمناسبة أشير، لمجرد التنبيه والتحذير، أنني أعرف شيخاً باسمه وشخصه
يحلل ويحرم ويحكم بالقروح والأموال بوحى من فهمه ووهمه، أما الدرس
والمراجعة والمطالعة فهي للذين يسيرون في الطريق لالمن يطفر بلا رابطة
وواصله! ومع هذا يؤمن ويوقن أنه ألمع من تخرج من مدرسة الإمام جعفر
الصادق عليه السلام! أعاذنا الله من مضغ هذا الهواء.

(واجمع لي علم ذلك...) إشارة إلى واجبات الوالدين بالكامل، والمعنى
اجعلني عالماً بكل ما عليّ لهما.

(ثم استعملني بما تلهمني، ووفقتني للنفوذ...) بعد أن طلب الإمام من الله
الهداية إلى العلم بالواجبات سألته التوفيق إلى العمل بموجب العلم، لأن الهدف
الأساس من كل علم هو التنفيذ والتطبيق، وبتعبير فيلسوف معاصر: «ليست
المعرفة بناءات - أو بنايات - تبنى بالذهن ليتعلمها الإنسان، ثم يأوي إلى مخدعه
ليستريح» وكفى.

(ولا تثقل أركانني عن الحفوف...) المراد بالثقل هنا الكسل والفتور،
وبالأركان الأعضاء التي يتركب منها البدن، وبالحفوف الخدمة، من حفف الخدم
حواله أي أحذقوا به، والمعنى: هب لي من لديك قوة ونشاطاً في طاعة والدي
ومرضاتهما.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَمَا شَرَّفْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَى

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَمَا أَوْجِبَتْ لَنَا الْحَقُّ عَلَى الْخَلْقِ بِسَبَبِهِ.
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ، وَأَبْرَهُمَا
 بِرَّ الْأُمِّ الرَّؤُوفِ، وَاجْعَلْ طَاعَتِي لِوَالِدَيَّ وَبِرِّي بِهِمَا أَقْرَبَ لِعَيْنِي
 مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ، وَأَثْلَجْ لِصَدْرِي مِنْ شُرْبَةِ الظَّمآنِ، حَتَّى
 أُوَثِّرَ عَلَى هَوَايَ هَوَاهُمَا، وَأُقَدِّمَ عَلَى رِضَايَ رِضَاهُمَا،
 وَأَسْتَكْتَبِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ، وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِمَا وَإِنْ كَثُرَ.

(اللهم صلّ على محمد وآله كما شرفتنا به) أي بميراثنا لعلمه، وعملنا
 بسنته، وسيرنا على طريقته، لا بمجرد الانساب إليه، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ
 فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) ... ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
 أَتْقَاكُمْ﴾ (٢). وسئل الرسول الأعظم ﷺ عن أحبّ الناس إلى الله؟ فقال: «أنفعهم
 للناس». ويأتي في الدعاء ٤٢: «لترفعنا فوق من لم يطق حملته» أي حمل علم
 الكتاب والسنة.

(كما أوجبت لنا الحقّ على الخلق بسببه) يشير بهذا إلى الآية ٢٣ من
 الشورى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٣). وما وجبت هذه
 المودة إلا لأنّ أهل البيت عليهم السلام امتداد نجدتهم الرسول ﷺ علماً وعملاً وسيرة
 وسريرة.

(اللهم اجعلني أهابهما هيبته السلطان العسوف): الظلوم، يهاب والديه على

(١) المؤمنون: ١٠١.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) الشورى: ٢٣.

٢٠٢ الأثر الخالد في الولد والوالد

دلتوه منهما وعلمته بأنهما أرفأ به من نفسه. ولا غربة. إنها هيبه التعظيم والتقدير. لا هيبه الخوف من العقاب العسير. هيبه الأبوة التي لا يشعر بها إلا العارفون. كانت فاطمة عليها السلام بضعة من النبي صلى الله عليه وآله. وأحب الخلق إلى قلبه، ومع هذا كانت تقول: ما استطعت أن أكله أبي من هيبته.

(وأبرهما برّ الأم...) ولا شيء عند الأبوين أغلى وأثمن من برّ الإبن بهما، علماً بأنّه وفاء لدين سابق... ومع هذا يسعدان به سعادة الغارس بشمرات غرسه، وبهذه السعادة نفسها يشعر الإبن البار إذا نكّد من سعادة أبيه به، ورضاهما عنه. (الموسنان): من أخذ النعاس.

(وأستكثر برهما بي وإن قلّ، وأستقلّ برّي بهما وإن كثرت) الخير منه ضئيل وصغير بالغاً ما بلغ، ومنهما جليل وكبير وإن كان حبة من خردل؟! وليس هذا تواضعاً، بل إيماناً وعظمة نفس، وشعوراً حياً بمسؤولية التكليف، وهو أمره تعالى: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾، وكل شيء قليل في جنب الله والشكر له لمن قرن شكره بشكره. وهكذا العظيم يستصغر الحسنة منه وإن كبرت، ويستكبر السيئة وإن صغرت على العكس تماماً من الحقيقير، وفي الحديث الشريف: «المؤمن يرى ذنبه فوقه كالجبل، يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مرّ على أنفه فأطاره». وقال قائل لأحد المتّقين حقاً: رأيت في منامي أنك في الجنة. فقال له: ويحك أما وجد الشيطان من يسخر منه غيري وغيرك؟

اللَّهُمَّ حَفِّضْ لَهُم صَوْتِي، وَأَطِبْ لَهُمَا كَلَامِي، وَالْأَلَمِ
لَهُمَا عَرِيكَتِي، وَأَعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي، وَصَيِّرْني بِهِمَا رَفِيقاً.

وَعَلَيْهِمَا شَفِيقًا؛ اللَّهُمَّ اشْكُرْ لِهَيْمَا تَرْبِيَّتِي، وَأَثْنِهِمَا عَلَيَّ
تَكَرُّمَتِي، وَاحْفَظْ لَهُمَا مَا حَفِظْتَهُ مِنِّي فِي صَغْرِي.

اللَّهُمَّ وَمَا مَسَّتَهُمَا مِنِّي مِنْ أَدْنَى، أَوْ خَلَصَ إِلَيْهِمَا عَنِّي
مِنْ مَكْرُوهِ، أَوْ ضَاعَ قَبْلِي لِهَيْمَا مِنْ حَقٍّ ... فَاجْعَلْهُ حِطَّةً
لُدُنُوبِهِمَا، وَعَلِّمُوا فِي دَرَجَاتِهِمَا، وَزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمَا؛ يَا
مُبَدِّلَ السَّمَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ.

(اللهم خفف لهما صوتي) غصّ الصوت وخفضه من الآداب الشرعية
والعرفية، بخاصة عن مخاطبة الكبار وأهل المكانة. وفي الآية ١٩ من لقمان:
﴿ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتَ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ ﴾ (١)

(وأطب لهما كلامي)، قال سبحانه: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ
لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢)، على أن الكلمة الطيبة بوجه عام كالشجرة الطيبة ﴿ أَصْلُهَا
ثَابِتٌ وَقَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٣) تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴿ (٤)

(عريكتي) طيبعتي.

(رفيقاً) لطيفاً لفظاً غليظاً.

(اللهم واشكر لهما...) أجزهما بالإحسان إحساناً، وبالسيئات عفواً
وغفراناً.

(واحفظ لهما ما حفظاه مني في صغري) أجزل لهما الأجر والثواب على

(١) لقمان : ١٩ .

(٢) الإسراء : ٢٣ .

(٣) إبراهيم : ٢٤ - ٢٥ .

٢٠٤ الأثر الخالد في الولد والوالد

ما لقيت من التعب والعناء في سبيلي رضيعاً وصبيّاً. وقال رجل للنبي ﷺ: إنَّ أبوي بلغا من الكبر عتياً. وأنا أولي منهما - أبشر - ما وليا مني في الصغر فهل قضيت حقهما؟ قال: لا، فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنت تفعله، وتريد موتهما.

(اللهمّ وما مستهما مني من أذى ... كل ما أصابهما بسببي من مكروه.
(فاجعله حطة) محوّاً.

(لذنوبهما وعلوّاً) لمقامهما عندك بحيث يكون شقاؤهما بي في الدنيا سبباً لسعادتهما في الآخرة.

(يا مبدّل السيئات بأضعافها حسناً) لمحو السيئات العديد من الطرق، منها التوبة، ومنها إصلاح ذات البين وكلّ عمل نافع مفيد للفرد والجماعة، ومنها المرض فإنه يحطّ السيئات، ويحتها حتّ الأوراق، على حدّ تعبير نهج البلاغة، ومنها العدوان حيث يتحمّل المعتدي سيئات المعتدى عليه، وأيضاً يأخذ هذا حسناً ذلك، وسبقت الإشارة إلى ذلك في الدعاء ٢٢ عند تفسير «تقاضي به من حسناتي وتضاعف به من سيئاتي».

اللَّهُمَّ وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ أَسْرَفَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ، أَوْ ضَيَعَا لِي مِنْ حَقٍّ، أَوْ قَصَّرَا بِي عَنْهُ مِنْ وَاجِبٍ ... فَتَدَّ وَهَبْتَهُ لهُمَا، وَجَدْتُ بِهِ عَلَيَّهِمَا، وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فِي وَضْعِ تَبِعْتِهِ عَنْهُمَا، فَإِنِّي لَا أَتَّهَمُهُمَا عَلَيَّ نَفْسِي، وَلَا أَسْتَبْطُهُمَا فِي بَرِّي، وَلَا أَكْرَهُ مَا تَوَلَّيَاهُ مِنْ أَمْرِي يَا رَبِّ؛ فَهُمَا أَوْجَبُ حَقًّا عَلَيَّ، وَأَقْدَمُ إِحْسَانًا إِلَيَّ، وَأَعْظَمُ مِنَّةً لَدَيْ ... مِنْ أَنْ أَقَاصَهُمَا بِعَدْلِ، أَوْ أَجَارِيَهُمَا عَلَيَّ بِمِثْلِ.

أَيْنَ إِذَا يَا إِلَهِي طَوَّلَ شُغْلَهُمَا بَرِّيَّتِي؟ ! وَأَيْنَ شِدَّةُ
تَعْيِهِمَا فِي جِرَاسَتِي؟ ! وَأَيْنَ إِقْتَارُهُمَا عَلَيَّ أَنْفُسَهُمَا لِلتَّوْبِيعَةِ
عَلَيَّ؟ ! هَيْهَاتَ مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا، وَلَا أَدْرِكُ مَا يَجِبُ
عَلَيَّ لَهُمَا، وَلَا أَنَا بِقَاضٍ وَظِيْفَةٌ خَدَمْتَهُمَا.

(اللهم وما تعدّيا عليّ فيه...) كما أوجب الله سبحانه حقوقاً للوالدين على
الولد، أوجب أيضاً حقوقاً له عليهما، ومن أهمل وقصّر استحقّق اللوم والعقاب
والدأ كان أو ولداً، والإمام السجّاد عليه السلام يتجاوز ويتنازل عما افترضه الله له على
أبويه، وحملهما من حقه أياً كان نوعه ويكون، وعبر عن هذا التسامح والتجاوز
بقوله:

(وهبته لهما...) أسألك اللهم أن لا تؤاخذ أبوي عليّ أي شيء يتصل بي من
قريب أو بعيد.

(فإني لا أتهمهما على نفسي...) هما عندي وفي عقيدتي من الناصحين
المخلصين لا تواني منهما في حقي ولا تقصير.
(ولا أكره ما توليا من أمري) مهما أتى من المحبوب محبوب، والعكس
بالعكس.

(فهما أوجب حقاً عليّ وإحساناً إليّ...) لي حقّ ولهما حقّ، ولكن حقّهما
أقدم وأعظم.

(من أن أقاصهما بعدل...) لا مقاصة عادلة إلا مع المساواة، ولا مكان لها
بين المنعم والمنعم عليه. ومن هنا يُقتل الولد بالده، ولا يُقتل الوالد بالولد.

(أين إذن يا إلهي طول شغلهم...) لقد تحمّلا الضيق والشدة لأعيش في
سعة، والتعب والعناء لأكون في راحة، والدلّ والهوان من أجل سعادتني.

(هيهات، يفتح التاء وكسرها وضمها: اسم فعل بمعنى بعد.

(ما يسوفيان حقهما...) أقرّ وأعترف بالعجز عن القيام بحقهما مهما

اجتهدت وبالغت، لأنه جسيم وعظيم.

وبعد، فمن أراد أن يستدرك ما فرط من حقّ أبيه بعد موتهما، فليستغفر الله

لهما، ويقض دينهما، إن كان عليهما شيء منه لله أو للناس، وإلا تصدّق عنهما

بما يستطيع. وفي الحديث: من الأبرار يوم القيامة رجل برّ وائديه بعد موتهما.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنِّي يَا خَيْرَ مَنْ أَسْتَعِينُ بِهِ،

وَوَفَّقْنِي يَا أَهْدَى مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ، وَلَا تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ الْعُقُوقِ

لِلآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظَلَمُونَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَأَخْصِصْ أَبَوَيَّ

بِأَفْضَلِ مَا خَصَّصْتَ بِهِ آبَاءَ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَأُمَّهَاتِهِمْ؛ يَا

أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(وأعني يا خير من أستعين به...) كل أدعية أهل البيت عليهم السلام ومناجاتهم،

تهدف إلى طلب الهداية والنعون والتوفيق للعلم بالحق والخير والعمل بموجبه، لأنّ

التوفيق هو الأصل والمنطلق لكل نفع وصلاح دنيا و آخرة.

(ولا تجعلني في أهل العقوق): العصيان والتمرد.

(للآباء والأمهات) ولا أدري كيف يعق الولد والديه، وهو على علم اليقين

أنهما أرحم به من نفسه، وأنهما يضحيان بالنفس والنفيس من أجله، ولا يجزي

الإحسان بالإساءة إلا من فيه طبع الحيّة والعقرب.

(وصلّى على محمد وآله وذريته) قيل: الذرية أخص من الآل، لأن الآل

لكلّ ذي رحم، والذرية للنسل فقط. ولكن المراد هنا العكس، لأنّ القصد من كلمة الآل في الصلاة عليه وعليهم، المعصومون بالخصوص، أمّا الصلاة على الذرية فتعمّ كلّ مؤمن صالح من نسل الرسول الأعظم ﷺ.

(واخصص أبويّ بأفضل) ما تخصّص به المقرّبين لديك.

اللَّهُمَّ لَا تُنْسِنِي ذِكْرَهُمَا فِي أَدْبَارِ صَلَوَاتِي، وَفِي إِنْسِي مِنْ آتَاءِ لَيْلِي، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَاعْفُرْ لِي بِدُعَائِي لَهُمَا وَاعْفُرْ لَهُمَا بِبِرِّهِمَا بِي مَعْفِرَةً حَتْمًا، وَارْضَ عَنْهُمَا بِشَفَاعَتِي لَهُمَا رِضَى عَزْمًا، وَبَلِّغُهُمَا بِالكَرَامَةِ مَوَاطِنَ السَّلَامَةِ.

اللَّهُمَّ وَإِنْ سَبَقَتْ مَعْفِرَتُكَ لَهُمَا فَشَفِّعْنِي فِيهِمَا، وَإِنْ سَبَقَتْ مَعْفِرَتُكَ لِي فَشَفِّعْنِي فِيهِمَا، حَتَّى نَجْتَمِعَ بِرَأْفَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ وَمَحَلِّ مَعْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ.

إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَالْمَنَّ الْقَدِيمِ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ.

(اللهم لا تنسني ذكرهما في أدبار صلواتي) كان الشعب العاملي المعروف الآن بجنوب لبنان، من أشدّ الناس ولاءً لأهل البيت عليهم السلام وأحرصهم على حفظ مناقبهم وآثارهم، وبخاصّة الأدعية حيث يكرّرونها صباح مساء، وكان من عادة العامليين أن يقرأوا سورة الفاتحة بعد الصلاة، ويهدون ثوابها إلى الأبوين، وما زال الكثير منهم على ذلك. وغير بعيد أن يكون المصدر هذا الدعاء بالذات.

(وفي آتاء من آتاء ليلي وفي كلّ ساعة...) لا تنسني ذكرهما في أيّ وقت

وحين.

٢٠٨ الأثر الخالد في الولد والوالد

(واغفر لي...) اجعل ثوابي عندك على البرّ بهما، وثوابهما على البرّ بي،
مغفرتك ورحمتك لي ولهما.

(حتماً) : غفراناً محتوماً.

(رضيَّ عزماً) : معزوماً أي مقصوداً.

(وبلغهما بالكرامة ومواطن السلامة) تكرم عليهما بالجنة وتفضل.

(وإن سبقت مغفرتك لهما...) إن تك منزلتهما لديك أعلى وأرفع من مكاتي

فارحمني بشفاعتهما، وإن تك منزلتي أعلى فارحمهما بشافعتي.

(حتى نجتمع) في جناتك، ونسعد برضوانك.

والخلاصة أن للوالدين حقوقاً تمتاز عن أكثر الحقوق حتى عن حقّ المؤمن

على المؤمن ولو كان الأبوان مشركين بنصّ القرآن الكريم : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى

أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾^(١).

دعاء مولانا الإمام السجّاد عليه السلام لولده

اللَّهُمَّ وَمَنْ عَلَيَّ بِنِقَاءِ وُلْدِي، وَبِإِصْلَاحِهِمْ لِي
وَبِإِمْتَاعِي بِهِمْ؛ إِلَهِي امْدُدْ لِي فِي أَعْمَارِهِمْ، وَزِدْ لِي فِي
أَجَالِهِمْ، وَزَبِّ لِي صَغِيرَهُمْ، وَقَوِّ لِي ضَعِيفَهُمْ، وَأَصِحِّ لِي
أَبْدَانَهُمْ وَأَدْيَانَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، وَعَافِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي
جَوَارِحِهِمْ وَفِي كُلِّ مَا عُنَيْتُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَأَذِرْ لِي وَعَلَى
يَدَيَّ أَرْزَاقَهُمْ؛ وَاجْعَلْهُمْ أَيْرَاراً أَتْقِيَاءَ بُصْرَاءَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ
لَكَ، وَلَاوَلِيَّائِكَ مُحِبِّينَ مُنَاصِحِينَ، وَلِجَمِيعِ أَعْدَائِكَ مُعَانِدِينَ
وَمُبْغِضِينَ؛ آمِينَ ...

(اللَّهُمَّ وَمَنْ عَلَيَّ بِنِقَاءِ وُلْدِي) يتمنى الوالد طول الحياة لولده، لأنه امتداد
لوجوده وذكوره وأجله وعمره.

(وبإصلاحهم لي) اجعلهم من أهل الإيمان والصلاح كي يطيعوك شاكرين،
ويسمعوا مني غير عاصين.

(وبإمتاعي بهم ...) اتقوى بهم في شيخوختي، ويخدموني في ضعفي
وعنتي.

(ورب لي صغيرهم) مدني بالعون من فضلك على تربيتهم تربية صالحة نافعة.

التوكل في العمل لا في البطالة والكسل :

(وَقَوْلِي ضَعِيْفَهُمْ وَأَصْحَابَهُمْ... أَنَسَانِكَ يَا إِلَهِي أَنْ يَكُونَ أَوْلَادِي بِالْكَامِلِ أَصْحَاءَ أَقْوِيَاءَ وَأَبْرَاراً أَتْقِيَاءَ... وَنَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنْ يَهْمَلَ الْوَالِدُ شَأْنَ أَوْلَادِهِ بِالْمَرَّةِ، وَيَتْرَكَ تَدْبِيرَهُمْ لِلَّهِ وَهُوَ وَاقِفٌ يَنْظُرُ وَيَتَفَرَّجُ، بَلْ مَعْنَاهُ أَنْ يَأْخُذَ لِلْأَمْرِ هَيْبَتَهُ مِنْ أَجْلِهِمْ وَيُكَافِحُ بِمَا كُنْزٌ وَمَلَلٌ، وَفِي سَبِيلِهِمْ مُتَوَكِّلاً عَلَى اللَّهِ مُسْتَعِيناً بِهِ فِي التَّوْفِيقِ وَبَلُوغِ الْغَايَةِ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، كَيْفَ وَقَدْ أَمَرَ بِالْجِهَادِ وَالنِّضَالِ وَقَالَ فِيمَا قَالَ: ﴿اعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ (١)، وَتَدَدَّ بِمَنْ يَعِيشُ كَلًّا عَلَى سِوَاهِ فِي الْآيَةِ ٧٦ مِنَ النَّحْلِ.

وما من شك أن من ترك الكدح والعمل مع طاقته وقدرته بزعم الإتكال على الله، فقد تمرد على أمره تعالى، ووضع رأيه فوق مشيئة الخالق وإرادته من حيث يريد أو لا يريد. وتواتر عن الرسول الأعظم ﷺ: «إعقلها وتوكل»، وقال حكيم قديم: إن الله سبحانه أمرنا بالتوكل عليه في العمل لا في البطالة والكسل. وبكلام آخر إن التربية من صنع الإنسان، ولها أسس وقوانين تماماً كإصناعة الزراعة وغيرها. والإمام عليه السلام في دعائه هذا يسأل الله سبحانه أن يمهّد له السبيل إلى التنفيذ والقيام بما فرضه عليه من تربية الأولاد والعناية بهم والكدح من أجلهم، وسبق الكلام عن ذلك في الدعاء رقم ٢٠. وأيضاً قد يأتي بأسلوب ثالث أو رابع.

(١) التوبة: ١٠٥

أجهل الناس بالله :

(وأدرر على يدي أرزاقهم) ما داموا صغارا وأطفالا حتى إذا بلغوا أشدهم سعوا في الأرض وأكلوا من كدّ اليمين. وفيه إيحاء إلى أنّه ينبغي للإنسان أن يحتاط ويحترز من أن يترك أيتاماً بلا مال ولا راع وكفيل، وفي الحديث: «إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفّفون الناس» وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَغْنِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١١).

وأجهل خلق الله بالله ودينه وسنته وشريعته، من ترك العلاج للشفاء، والسعي للرزق زاعماً - بنسان حاله وأفعاله - أنّه قد أخذ من الله عهداً أن يعطيه ما يحتاج بمجرد نيّة التوكّل دون أن يسرح ويتزحزح! إن الله سبحانه هو الذي يشفي المريض، ما في ذلك ريب، ولكن بالعلاج، ويطعم الجائع ولكن بالسعي تماماً كما يخلق الحيوان من النطفة والشجرة من النواة والليل والنهار من دوران الأرض... وهكذا كلّ ما في السماوات والأرض من أسباب ومسببات، تُردّ إلى السبب الأوّل الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى.

اللَّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدِي، وَأَقِمْ بِهِمْ أَوْدِي، وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي، وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَرِي، وَأَخِي بِهِمْ ذِكْرِي، وَأَكْفِنِي بِهِمْ فِي غَيْبِي، وَأَعِنِّي بِهِمْ عَلَى حَاجَتِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي مُحِبِّينَ، وَعَلَيَّ حَدِيثِينَ مُثْبَلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِي، مُطِيعِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا عَاقِبِينَ وَلَا مُخَالِفِينَ وَلَا خَاطِبِينَ؛ وَأَعِنِّي عَلَى تَرْبِيَّتِهِمْ

وَتَأْتِيهِمْ وَإِرْهَمُ، وَهَبَ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلَادًا ذُكُورًا،
وَاجْعَلْ ذَلِكَ خَيْرًا لِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوْنًا عَلَى مَا سَأَلْتُكَ.

هذا الجزء من الدعاء واضح لا يحتاج إلى الشرح والتفسير. وأيضاً تقدم بالحرف أو بالمضمون في هذا الفصل وغيره، ولذا نكتفي بالإشارة إلى المراد من بعض المفردات، والفرق بين عطف الوالد عنى ولده، وعطف هذا على أبيه، ثم نذكر ما يهدف إليه الإمام بإشارة خاطفة.

(عضدي) العضد: الساعد وهو من المرفق إلى الكتف، والمراد به هنا القوة والمساعدة، قال سبحانه: ﴿سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي يساعدك ويعينك.
(أودي): ثقلي وحملي، قال عز من قائل: ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يتقله حفظهما.

(حديين): مشفقين.

بين عطف الوالد والولد :

أوصى سبحانه الولد بوالديه، وأمره بانعطف عليهما، ولم يوصِ الوالد بشيء من ذلك. والسبب واضح، لأنَّ الوالد بضعة من الوالد بل هو نفسه ولا عكس، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «لَوْلَدَهُ الْإِمَامُ الْحَسَنُ عليه السلام : «وجدتك بعضي، بل وجدتك كلِّي حتى لو أن شيئاً أصابك أصابني» وكتب ولد لوالده: جُعِلت فداك. فكتب إليه والده: لا تقل مثل هذا، فأنت على يومي أصبر منِّي على يومك. ومن الأمثال عندنا في جبل عامل: قلبي على ولدي وقلبي على الحجر. وقال

(١) القصص: ٣٥

(٢) البقرة: ٢٥٥

سبحانه : ﴿ إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ . وما قال : إن من آباءكم وأمهاتكم عدوًّا لكم فاحذروهم ، لأن عاطفة الوالدين ذاتية كما أمرنا . أمّا عاطفة الولد نحو أبيه فهي في - الغالب - مجردة المصلحة ، وقد تكون هذه المصلحة في موت والده . فينقلب عليه عدوًّا كما أشارت آية التغابن ، وفي الأشعار :

أرى ولد الفتي كلاً عليه لقد سعد الذي أمسى عقيماً
فإمّا أن تريه عدوًّا وإمّا أن تخلفه يتيماً

وكنت ذات يوم في (التكسي) ذاهباً إلى المطبعة ، وفيها مراهقان ، فسمعت أحدهما يقول للآخر : هنيئاً لك ، أبوك من ذوي الأملاك والأموال . فقال له علناً وبكلّ صراحة ووقاحة : « لكن العكروت ما كان يموت » والكثير من الجيل الجديد على هذه الطوية والسجية .

وبعد ، فإنّ الولد إمّا نعيم ليس كمثلته إلا الجنة ، وإمّا جحيم دونه عذاب الحريق ، والويل كلّ الويل لمن ابتلاه الله بامرأة سوء وولد عاق ... والإمام عليه السلام يدعو الله ويناشده في أن يمدّه ويسعده بأولاد يحبهم ويحبّونه ، أدلة عليه وعلى المؤمنين ، أعزّة على أعداء الله وأعدائه ، وزين له في مغيبه ومحضره ، وفي الحديث : « إن الله سبحانه رفع العذاب عن رجل ، أدرك له ولد صالح ، فأصلح طريقاً ، وآوى يتيماً » .

وَأَعِزَّنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا
وَأَمْرَتَنَا وَنَهَيْتَنَا ، وَرَغَبْتَنَا فِي ثَوَابِ مَا أَمَرْتَنَا ، وَرَهَبْتَنَا عِقَابَهُ ،

وجعلت لنا عدوًّا يَكِيدُنَا، سَلَطْتَهُ مَنَّا عَلَيَّ مَا لَمْ تَسَلْطْنَا عَلَيْهِ
 مِنهُ، أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنَا، وَأَجْرَيْتَهُ مَجَارِي دِمَائِنَا، لَا يَغْفُلُ إِنُّ
 غَفَلْنَا، وَلَا يَنْسَى إِن نَسِينَا، يُؤْمِنُنَا عِقَابَكَ، وَيُخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ؛ إِنُّ
 هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ شَجَعْنَا عَلَيْهَا، وَإِنُّ هَمَمْنَا بِعَمَلٍ صَالِحٍ تَبَطَّنَا
 عَنْهُ. يَتَعَوَّضُ لَنَا بِالشَّهَوَاتِ، وَيَنْصِبُ لَنَا بِالشُّبُهَاتِ، إِنُّ
 وَعَدْنَا كَذِبًا، وَإِنُّ مَنَّا أَخْلَفْنَا، وَإِلَّا تَصْرِفُ عَنَّا كَيْدَهُ...
 يُضِلُّنَا، وَإِلَّا تَقِنَا خِبَالَهُ... يَسْتَرِلُنَا.

اللَّهُمَّ فَاقْتَهَرِ سُلْطَانَهُ عَنَّا بِسُلْطَانِكَ، حَتَّى تَحْبِسَهُ عَنَّا
 بِكَرَّةِ الدُّعَاءِ لَكَ فَتُصِحَّ مِنْ كَيْدِهِ فِي الْمَعْصُومِينَ بِكَ.

(وأعدني وذريتي...) واضح، وتقدم بالحرف في الدعاء ٢٢ (فإنك خلقتنا
 وأمرتنا...) خلق سبحانه الإنسان، ومنحه العقل والقدرة والحرية، وبهذه العناصر
 الثلاثة مجتمعة يستحق الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية.

(ورهبنا عقابه) أي خوفنا عقاب عصيان ما أمرتنا به ونهيتنا عنه.
 (وجعلت لنا عدوًّا) وهو الوسواس الخناس الذي يغلي في الصدور من
 الحقد والحسد والعزم على غيرهما من المآثم... والدليل على إرادة هذا المعنى
 قوله: أسكنته صدورنا، وأجريته مجاري دماننا، أمَّا قوله:

(سلطته منا على ما لم تسلطنا عليه) فمعناه أن هذا الوسواس الخبيث
 لا هو يذهب من تلقائه، ولا نحن نستطيع الفرار منه... وهذا صحيح لا ريب فيه،
 ومن أجل ذلك لا يحاسب سبحانه ويعاقب على أي شيء يدور ويمور في النفس
 من الأفكار والنوايا السوداء إلا إذا ظهرت وتجسمت في قول أو فعل.

(يؤمننا عقابك) يضمن لنا الأمن والأمان من غضبك وعذابك.

(ويخوفنا بغيرك) ومن ذلك أن الله سبحانه قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ (١) والنفوس الأمارة أو الوسواس يخوفنا الفقر، إن أطعنا وأنفقتنا.

(وإن هممنا بفاحشة شجعنا عليها...) يشير بهذا إلى جهاد النفس التي تحاول التغلب بالهوى على العقل والتقوى.

(ونصب لنا بالشبهات) أظهر لنا الأفكار الخاطئة التي تلبس الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق، وتوقع السدج البسطاء في الشك والحيرة.

(إن وعدنا كذبنا...) يعدهم ويمنيهم ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٢).

(وإلا تصرف عنا كيده يضلنا) اقتباس من الآية ٣٣ يوسف: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ (٣)، أي إن لم تعني على نفسي أكن من الجاهلين. (وإلا تقنا خباله): فساده.

(يستزلنا) يوقعنا بالزلل والخطايا.

(فاقهر سلطانه عنا بسلطانك...) هب لنا من نذك صبراً عن الحرام، ونصراً على الهوى حتى لا نعصيك في جميع الحالات.

(تحبسه عنا بكثرة الدعاء لك) حثت على الدعاء، ووعدت بالإجابة، وقد دعونا أن تصد عنا كل مكروه، وتوصلنا بك وأكثرنا، فكن لدعائنا مجيباً، ومن ندائنا قريباً.

(١) البقرة: ٢٦٧

(٢) النساء: ١٢٠

(٣) يوسف: ٣٣

اللَّهُمَّ اعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي ، واقْضِ لِي حَوَائِجِي ، وَلَا تَمْنَعْنِي الإِجَابَةَ وَقَدْ ضَمِنْتَهَا لِي ؛ وَلَا تَحْجُبْ دُعَائِي عَنْكَ ، وَقَدْ أَمَرْتَنِي بِهِ .

وَأَمُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي مَا ذَكَرْتَ مِنْهُ وَمَا نَسِيتَ ؛ أَوْ أَظْهَرْتَ أَوْ أَحْفَيْتَ أَوْ أَعْلَنْتَ أَوْ أَسْرَرْتَ .

وَأَجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ ، الْمُنْجِحِينَ بِالطَّلَبِ إِلَيْكَ ، غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، الْمُعَوِّدِينَ بِالتَّعَوُّدِ بِكَ ، الرَّابِحِينَ فِي التَّجَارَةِ عَلَيْكَ ، الْمُجَارِينَ بِعِزِّكَ ؛ الموسِعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الحَلَالُ مِنْ فَضْلِكَ الواسِعِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ ؛ الْمُعْزِينَ مِنَ الدُّلِّ بِكَ ، وَالْمُجَارِينَ مِنَ الظُّلْمِ بَعْدْلِكَ ، وَالْمُعَافِينَ مِنَ البَلَاءِ بِرَحْمَتِكَ ، وَالْمُعْتَنِينَ مِنَ الفَقْرِ بِعِنَاكَ ، وَالْمَعْصُومِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالخَطَأِ بِتَقْوَاكَ ، وَالْمَوْفُقِينَ لِلخَيْرِ وَالرُّشْدِ وَالصَّوَابِ بِطَاعَتِكَ ، وَالْمُحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ ، التَّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ السَّاكِنِينَ فِي جِوَارِكَ .

(اللهم اعطني كل سؤالي ...) مطلوبي وهو قضاء حوائجي ، فقد أنزلتها بك دون سواك .

(ولا تمنعني الإجابة ، وقد ضمنتها لي) بقولك : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . ثم بين الإمام عيلاً هذه الحوائج بقوله :

(وَأَمِنَ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يَصِلُنِي ...) هَذَا هُوَ هَمُّ الْمُؤْمِنِ وَهَمَّتَهُ : الصَّلَاحُ وَعَمَلُ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا ، وَالنَّجَاةُ وَالْخَلَاصُ فِي الْآخِرَةِ ، لَا التَّكَاثُرَ وَالنَّفَاخِرَ .

(مَا ذَكَرْتَ مِنْهُ وَمَا نَسِيتَ ...) وَاضِحٌ ، وَتَقَدَّمَ مِثْلُهُ فِي الدُّعَاءِ ٢٢ .
(وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ ...) أَسْتَرْشِدُكَ بِدُعَائِي لِكُلِّ مَا فِيهِ صِلَاحِي فِي الدُّنْيَا وَفَوْزِي فِي الْآخِرَةِ .

(غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ) أَنْتَ يَا إِلَهِي تَسْمَعُ الشَّاكِينَ إِلَيْكَ ، وَلَا تَمْنَعُ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ ، وَأَنَا مِنْهُمْ ، وَأَيْضاً أَنَا مِنْ .

(الْمُعْوَدِينَ بِالتَّعْوِذِ بِكَ) لَقَدْ عَوَّدْتَ الَّذِينَ يَسْتَعْوِذُونَ بِكَ وَيَلْجِئُونَ . أَنْ لَا تَرُدَّهُمْ خَائِبِينَ .

(الرَّابِحِينَ فِي التَّجَارَةِ عَلَيْكَ) أَيُّ مِنْكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾ (١) ، أَيُّ مِنَ النَّاسِ ، وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِالرَّابِحِينَ ، وَالْمَعْنَى مِنْ عَمَلٍ صَالِحاً لَوْجِهَ اللَّهِ تَعَالَى زَادَهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالْإِمَامُ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ الْعَامِلِينَ لَهُ لَا لِسِوَاهُ ، وَمِنْ

(الْمَجَارِينَ بِعَزِّكَ) : الْمَحْفُوظِينَ بِعِنَايَةِ اللَّهِ وَحِرَاسَتِهِ .
(الْمَوْسِعَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ ...) وَلَا شَيْءَ أَجَلَ وَأَحْلَ مِنْ لِقْمَةٍ يَأْكُلُهَا الْمَرْءُ بِكَدْحِهِ وَسَعِيهِ لَا بِالرِّيَاءِ وَرَدَاءِ الصُّلَحَاءِ .

(الْمُعَزَّيْنَ مِنْ الذَّلْبِ بِكَ) أَيُّ بِطَاعَتِكَ ، وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ طَلَبُوا الْعِزَّ بِالنِّسْبِ وَالثَّرَاءِ وَالْخِدَاعِ وَالرِّيَاءِ فَاتَّضَعُوا وَذَلُّوا .
(وَالْمَجَارِينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ) أَجْرَنِي بِعَدْلِكَ وَقَدَّرْتَكَ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ .

٢١٨ الأثر الخالد في الولد والوالد

(والمعافين من البلاء برحمتك ...) برحمتي برحمتك، وأمنن عليّ قبل
البلاء بعافيتك، وأيضاً أغني بفضلك عن الناس، وأبعدني بعنايتك عن الخطأ
والخطيئة، ووفّقي للعمل بطاعتك... وكلّ ذلك تقدّم مراراً وتكراراً، وأخيراً
اجعلني في الآخرة من

(الساكين بجوارك) ومن سكن في جوار العظيم الكريم فهو في حرز
حارز، وحصن مانع من كلّ سوء.

اللَّهُمَّ أَعْطِنَا جَمِيعَ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَأَعِدْنَا مِنْ
عَذَابِ السَّعِيرِ. وَأَعْطِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُكَ لِنَفْسِي وَلِوَلَدِي فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ
الْآخِرَةِ.

إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ سَمِيعٌ عَلِيمٌ غَفُورٌ رَوُوفٌ رَحِيمٌ؛
وَأَتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
(اللهم أعطنا جميع ذلك ...) إشارة إلى كلّ ما تقدّم من صحة الأبدان
والأديان إلى وفرة الأرزاق والسكنى في جوار الرحمن.

(واعط جميع المسلمين والمسلمات ...) ختم الإمام دعاءه هذا بالرجاء أن
يوفق سبحانه ويسهل السبيل إلى ما ذكر وسأل نفسه ولذويه وأهل التوحيد، لأنّ
من أخصّ خصائص المؤمن أن يكون تعاونياً مع الجميع. وفي الحديث: «المؤمن
يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه... المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» هذا، إنى أنّ العلاقة ما بين أفراد
المجتمع الواحد حتمية لتشابك المصالح ووحدة المصير.

(وأتنا في الدنيا حسنة...) تقدّم مثله في آخر الدعاء ٢٠.

الكوكب الدرّي

في حياة السيّد العلوي عليه السلام

لمحة خاطفة من حياة آية الله المجاهد العلامة السيّد علي بن الحسين العلوي عليه السلام بمناسبة أربعين وفاته.
وقد أقدمنا على تأليف هذه المجموعة التي تمثل نواحي مختلفة من نواحي حياته تجسيداً وبقاءً لآثاره ومآثره.
(وآثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار)
وزبدة الكلام أنّ هذه العجالة كشدرة من عقد نحر، وقطرة من ماء بحر، فعذراً من هفوة القلم وزلّة القدم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾

نبأ مفجع وخبر موجه ويوم كئيب حزين، فنتت الأكباد، وأضرم الخلد، وأدمى العين، وأذبل الفؤاد، وخبث الآمان.
أيها القلم الحزين، ما بالك والحزن قد أنقض ظهرك، وأضاق صدرك، وأدمى مقتلتك، وأجج لهيب الفراق في أحشائك...
فراق الحبيب.

إنه الشعلة الوهاجة تثير كل سبل الخير وطريق الهداية ودروب الصلاح، إنه رجل الدين المجاهد، والمنكر الإسلامي، العلامة الحجة آية الله السيد علي بن الحسين العلوي قدس الله نفسه، طاب مضجعه، ونور الله قبره، وأنزل على رmse شأبيب رحمته.

أفل كوكبه الدرّي، وغابت شمس الزاهية، وودّع الدنيا الفانية، بين ليلة وضحاها، وفجعنا بما لم يكن بالحسبان، ولم يخطر على البال قط، نبأ مفجع...

فبهت الناس، وصعدوا من هذا لبّ التّوالم، ولكنّهم سرعان ما هبّوا...
فعلت الأصوات من الحناجر، والحسرات من القلوب، والكلّ لا يصدّق
بعد، ولكن شاءت الأقدار أن تصدّقه، وحكم الله لا غالب له.

فكانت الثّلمة العظيمة في الإسلام، والفتقدان الفادح في الأمتة، والفراغ
العصيب في صحبه وأخوانه لا يسدّها شيء، وليس لنا إلاّ الاستسلام لأمر الله
الحكيم، والقلوب مضمّمة مفجعة بنار الفراق الطويل، والعيون مذرفة دموع الحزن
والكآبة والغزاء، والناس يلهجون له بحسن الشّناء، ويعزّون الأولاد والأهل
والأقرباء والأحباء، ولمّا يصدّقون الخبر المنجع.

سيّدي ومولاي :

يحقّ لنا جميعاً أن نترك الحناجر هاتفة صارخة والدموع سائلة ساخنة
وننادي وأبناء... وأسّيءاء... وأمصلحاء...!!

عزّ والله علينا فراقك، وعزّ على الأرواح والقلوب أن ترثيك، وكنا نشعر
بقوّة نعتد عليها، ونستلهم من مغزها روح الجهاد والنضال، فأين هي الآن؟
سيّدي أبتاه :

ما دار في خلدي أن أكتب ما أكتب! ودمي الحزين ينزف من عيني، أيقنّ
لي أن أكتب عن حياتك البطوليّة والنصمود، حياة العلم والعمل، وأنت لم تمت؟
سيّدي العلوي إنك بعلاك خالد في التاريخ، إذ عشت للإسلام والأمتة الإسلاميّة.
لا تأخذك في الله لومة لائم، إذ لا تخشى إلاّ الله، ولا تهاب إلاّ الحقّ، فإنك
المجاهد الورع، والعابد العالم والمصلح، الممتفاني في الله وخدمة خلقه.

ماذا أكتب عن حياتك، وحياتك مليئة بالعمل المتواصل والكفاح المرير
حتّى مضيت إلى ربّك قرير العين.

٢٢٢ الأثر الخالد في الولد والوالد

وقد خلّفت أمة من الناس تحمل روحك وقلبك الحنون، خلّفت علماء من طلبتك الكرام، وشباباً ناهضاً، وثرورة علمية من مطبوع وغير مطبوع، خلّفت مواكب ومدارس إسلامية، تربي الأجيال وتسمو بهم مدارج الكمال.
سيدي :

لم ولن تموت ولك المآثر الخالدة في المجتمع والنفوس، لن تموت ولك كتب قيمة وشباب طاهر يسير نحو الهدف الذي كنت ترمي إليه، وذلك حكومة الإسلام وإقامة الحقّ والعدل في المجتمع.
فتم قرير العين، فإنا كما عهدت مخلصون.
مولاي : سكنت الفرديس وجنّات عرضها السماوات والأرض.
وسرعان ما غاب شمسك النير.
الله أكبر...

لن أنسى تلك السويعة المريرة التي كنت بجنبك أقبل يديك الكريمة تكراراً ودموع حبستها في حدقة العين، كي لا تحزن وأنت على سرير المستشفى، توصي ولدك، ولم يكن بالحسبان أن تفقدك.
وفراق الأحبة والله أصعب.

لن أنسى آخر لحظة من الوداع الحزين عندما كانت يدي بين يديك الخالدة بمدادك الذي أفضل من دماء الشهداء تضغط عليها حباً وحناناً وشفقة.
آه ساعة كئيبة، لا أنساها مدى الحياة يحزّ قلبي، ويؤجج لهيب الفراق في صدري، فوا أسفاه على ذلك القلب الحنون المفقود، وما يجدي الأسف، ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

وما كان قيس فقد واحدٍ ولكته بنيان قومٍ تهدّما

سيّدي :

في هذا الظرف العصيب الذي تمرّ به الأُمّة الإسلامية، في عراقنا المضطهد، في هذه المرحلة الرسائيّة الشاقّة، وفي هذه الأجواء التي تكالبت فيها على الإسلام والمسلمين كلّ قوى الإلحاد والصهيونية ولا سيّما العنقليّة في العراق الحزين.

في هذه الفترة الحاسمة المحتاجة إلى جهابذة مفكّرين مصلحين، ومجاهدين صابرين، وقادة أمّناء، أصيبت الأُمّة في كبدها بفقدك المغالي العزيز، وإتّها لم تكن فاجعة آل العلوي فحسب، إنّها فجيعة إيران والعراق، فجيعة كلّ محبٍّ وموَالٍ لأهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سيّدي :

عذراً من روحك الطاهرة الزكيّة، بأيّ المفاخر من حياتك أبداً، وبأيّ المناهج أشرع، وأنت أبو المفاخر.

كنت النور تغمر من رؤادك بضيائك الزاهر، ووسع قلبك مشاكل الأُمّة، ولم تغفل عنها لحظة حتّى الأجل.

واستقبلت المصاعب والمتاعب بصدر رحب، شُرح بالإسلام، إذ تؤمن بأنّ الجنّة مأواك، والتّعيم نهاية حياتك.

وأخيراً إلى شعبك الحزين بفقدك أقدام لمحة خاطفة من أبعاد حياتك الخالدة.

ولعلّنا نوقّ أن نشير إلى لمحات وشذرات من سجل حياتك طاب ثراك و قدّس الله روحك.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الحزين الكئيب

مولده وحياته العائلية

ولد ففيدنا الراحل إلى جوار رحمة ربّه الكريم في اليوم الثاني من محرّم الحرام عام ١٣٤٦ هجري قمري المصادف ٢٣ / ٦ / ١٩٢٧ ميلادي في محلّة (أمّ النومي) في بلدة الكاظمية المقدّسة بجوار الإمامين الكاظمين موسى بن جعفر ومحمّد الجواد عليهما السلام، وتعرّع في أحضان الإيمان والتقوى، وتغذّى من ثدي العلم والعمل، حيث انحدر من سلالة طيّبة طاهرة في التقوى والفضيلة، في أرحام طاهرة وأصلاب شامخة، وكان خيرة أولاد أبيه الصالح المتّقّي الوقور السيّد حسين عليه السلام ذكوراً وإناثاً في النشاط والحيوية والذكاء، والعمل الدائب والجهد المتواصل. ونسبه الشريف وشجرته المباركة تصل إلى الإمام السجّاد، زين العابدين مولانا وسيدنا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام.

ويأتيك التفصيل بقلمه وخطّه الشريف، ولقد اقترن إبان بلوغه بابنة عمّه، وتوفّيت في الثامن عشر من عمرها وخلفت ثلاث ذكور وماتوا، ورأى المصائب العظيمة حتّى اشتهر بين مجتمعه بالوليّ الصبور، وكانت المصائب تصبّ عليه حتّى مماته لكثرة إيمانه وعمله... تمّ تزوّج السيّدة العلويّة سليمة الكرام، المنحدرة من سلالة الرسول، وآل البتول عليهنّ السلام، التي جاهدت معه طيلة عمره في خطّ العلم

والعمل الجهادي حتّى شهد في حقّها فيدنا الرّاحل أّمّام جمع من طلابه، إذ كان يتكلّم حول المرأة فقال: إنّ نصف ما عندي من العلم والشرف والشّواب فهو لأدّ أولادي حيث إنّها ساعدتني وساندتني في العمل وطلب العلم.

وهي بنت رجل الدين، صاحب المواكب الحسينية، المتّقّي الورع، كبير قومه السيّد محمّد الحسيني المشهور في النجف الأشرف. فأنجبت له خمسة أولاد ذكور وأربعة أنثى، بعدما مات لهما طفلان صغيران.

وعندما ترعرعوا وبلغوا الحلم والشباب، استشهد لهما أربعة في آن واحد في سانحة مؤلمة في طريق الدّعاء لانتصار الثورة الإسلامية وقائدها، وهم:

ثقة الإسلام السيّد عامر العلوي.

السيّد عقيل العلوي.

بنت العليّ العلوي.

بنت الإيمان العلوي.

والباقون حجج الإسلام:

السيّد عادل العلوي.

السيّد عماد الدين العلوي.

السيّد عارف العلوي.

وبنتان

وكان عطفاً على أولاده، ويريد الخير والصلاح لهم دوماً، وحتّى كان يضحّي بنفسه من أجلهم، كما لنا في ذلك قضايا تاريخية.

فقدّ أربعة من أفلاد كبده وبعد أربعة أعوام فارق الدنيا بنوبة قلبية، ثلاث

٢٢٦ الأثر الخالد في الولد والوالد

مرّات في ثلاث ليالٍ مواليه وقرب الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل،
مسيّة يوم الأحد، ارتحل إلى رحمة ربّه في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.
فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وإخوتي الأعزاء في ليلة الانقلاب جرّعوا كأس الشهادة عندما ذهبوا...
ليدعوا ربّهم بنصرة الإسلام ونجاح ثورة الإمام الخميني بقرب مسجد جمكران
لمولانا الإمام المنتظر صاحب الزمان عليه السلام.

١- حجة الإسلام سيّد عامر العلوي (عمره ٢١ سنة)، صاحب كتاب
(المفاهيم الإسلامية)، مطبوع.

٢- السيّد عقيل العلوي (عمره ١٥ سنة).

٣- بنت العليّ العلويّ صاحبة كتاب (بيرامون زن) مطبوع باللغة الفارسية
حول المرأة وحجابها وتاريخها ودخولها في السياسة (عمرها ١٦ سنة).

٤- بنت الإيمان العلوي (١٢ سنة) عليها السلام.

حياته العلمية والعملية

منذ نعومة أظافره رحمه الله كان يحب العلم والعمل به، نه ظموح يتسامى مع عزمه ونشاطه، ولعلّ النبوغ وانظموح أبرز سمة تميّزت بها شخصية فقيدنا الراحل السيّد العلوي طاب ثراه، فقد عرف في الوسط العلمي والحوزات العلمية، بذكائه وولعه في طلب العلم منذ صباه، فأقام على التعلّم والتعليم ولا يبالي بالكوارث والمشاكل التي تصبّ عليه كالوايل، بل حباً وشوقاً ينتهي شوطاً بعد شوط من كعبة آماله وأمنياته، فقد تعلّم القرآن وختمه في المكتب وهو صبي ترك اللعب واللهو لأهله، وفاق أترابه لما يحمل من ذكاء وحيوية، فدخل المدرسة ليتعلّم العلوم الجديدة كالحساب والهندسة وما شابه، وذلك في (مدرسة أخوت) في الكاظمة المقدّسة ثم دخل في سلك طلبة العلوم الندينية القديمة، شوقاً للإسلام وحباً لمفاهيمه وتعاليمه القيّمة، وفاق أقرانه وزملاءه لثابته وعمله المتواصل ونشاطه المستمر، وأخذ حظاً وافراً من العلوم الإسلامية كالتحوي والصرف والمنطق والفقه والأصول والتفسير وما شابه، وتوّج بالعمّة المباركة وزيّ رجال الدين، في الجامع الهاشمي، على يد سماحة آية الله المجاهد الفقيد السيّد إسماعيل الصدر طاب ثراه، بعدما حاز على رتبة الأستاذية وأصبح الأستاذ الأوحدي في

الجامع الهاشمي، فشاغ صيته في الكاظمية المقدسة وبغداد وأصبح منهلاً عذباً للشباب وطلاب الجامعات وطبقة العلوة القديمة، وكان إمام الجامع الهاشمي، ومصباح بحبوحة، ونائب السيد إسماعيل الصدر، وأخذ يشق طريقه في العلم والعمل، والتأليف والتصنيف، لكي يصل القمة وأقصى مدارج الكمال والفقاهة، لنبوغه وطموحه الذي فلما نه مشيل، فطوى المراحل الثلاثة في دراسة العلوم القديمة من المقدمات والسطح والخارج، حيث تتلمذ في الأولين على يد العلامة التحرير الشيخ حامد الواعظي وآية الله السيد إسماعيل الصدر في العراق، ومن ثم هُجّر إلى إيران الإسلام، فتصد الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة الثائرة ضد الطغاة والجبايرة، وحضر درس الخارج لآية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبايگاني، وآية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دام ظلّهما الوارف، وجاور كريمة أهل البيت السيد المعصومة الطاهرة بنت رسول الله السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام، واشتغل مدرساً في الحوزة العلمية كما كان في العراق منذ أكثر من ثلاثين سنة، حتى تخرّج على يديه الكريمتين وأنفاسه القدسية كثير من المؤلفين والشعراء ورجال الدين الواعين المخلصين.

فحياته - حياة العلم والعمل - كلها تدلّ على السبق والتبحر والتعمق في المفاهيم الإسلامية والرسالة المحمدية، فحاز مراتب الكمال، وأصبح كالشمس في رابعة النهار، وكالقمر تحفّه النجوم والكواكب من طلاب الفضيلة ورواد العلم والكرامة والشرف، فكان مورداً سائغاً للطلاب وعشاق الفضيلة والعلم والمعرفة، وله المكانة السامية في الحوزات العلمية سواء في النجف الأشرف أو المشهد المقدس أو قم الثائرة.

وهكذا كانت آثار المجد والعظمة والخلود، ترافق فقيدنا الراحل في جميع

أدوار حياته، وبرز نوره في الجماهير والأوساط العلمية بعدما تحلّى بالصفات الحميدة، وهذب نفسه، وكسب العلم ليعمل به أولاً، ثمّ يعلم الناس ثانياً، ويهدّهم الصراط المستقيم.

وسيتقى خالداً مع الأيام بعلمه وقلمه النابض المفعم بالحيوية والإخلاص. وقد ألف في حياته المباركة أكثر من (٤٠) مؤلفاً، تتجلّى فيه المفاهيم الإسلامية الغزيرة، وسعة اطلاعه وجمال أسلوبه وحلاوة تعبيره، وستبقى المكتبة الإسلامية تضمّ بين أحضانها ما فاض من يراعه السيال، فهو يؤتف ويعمّق الخطّ الإسلامي الأصيل، ويستعرض المعارف والأصول الإسلامية في بيان سلس وتعبير جميل.

ولأن كانت مؤلفاته القيّمة وبحوثه الثمينة تمثّل جانباً من جوانب جهاده في الإسلام العظيم، فإنّ لهذه المؤلفات فضلها على المكتبة الإسلامية، وتثار الفكر الإسلامي، والأوساط العلمية، والجماهير المسلمة.

ففي مجال الفقه طبع من مؤلفاته :

١- زكاة الفطرة.

٢- مخطط كتاب الإرث.

وفي علم الكلام :

٣- الأصول الثلاثة.

٤- محاضرات في أصول الدين.

وفي أصول الفقه :

٥- دروس وحلول في شرح كفاية الأصول، عشرة أجزاء، جزءان قد

طبعا.

٦- لباب معانم الدين.

وفي التربية والأخلاق والتوجيه الإسلامي :

٧- العمل الجهادي ، وهو أول ما طبع من تأليفاته .

٨- الفارق .

٩- الكلمة الطيبة .

١٠- اختر لنفسك .

١١- العفاف على مذبح التبرج .

١٢- الرافد .

كما أن للعلامة العلوي دور رفيع في (الشعر) بقسميه القريض والشعبي بلغتين العربي والفارسي ، فقد نظم في مختلف المناسبات والذكريات سيما مرثي أهل البيت عليهم السلام ورثاء ملحمة الطف واقعة كربلاء ، ومصائب سيد الشهداء وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ، وقد طبع من أشعاره :

١٣- ديوان العلوي ، الجزء الأول والثالث .

وإليكم قطعة شعرية من ديوانه الخاند :

من للعقيدة يرفع الأعلاما	حار الحجا من ينصر الإسلاما
كي يحفظ القرآن والأحكاما	من ذا يضحى بالنفيس ونفسه
يأتي يداوي الجرح كي يلناما	من ذا يكون طيب أتمته ومن
يشفي الغليل ويبرئ الأسقاما	صعب العلاج أما ترى من ضامن
نرجو الزمان ونرتجي الأياما	كم نحمل الأرزاء في الدنيا وكم
صبرت ومنه تحملت آثاما	الله أكبر ما رأينا أمة
قد دام فينا داؤنا قد داما	الداء داء الجهل أين دواؤه

الكوكب الدرّي في حياة السيّد العلوي ٢٣١

الطّبّ دين محمّد وعلومه وانوصفة القرآن خذّه مرأما
والواصفون هم الذين تبيّنوا سرّ الشفاء وحققوا الأحلاما
علماء دين الله حفظا لما قد جاء فيه : مبدّو الأوهاما
وقد طبع من تأليفاته القيمة باللغة الفارسية، حاوياً تعاليم الإسلام والقرآن

الكريم :

١٤ - ياد آوری .

١٥ - رستگاران .

١٦ - سوداگران .

١٧ - بيبك رحمت .

١٨ - بباء بسملة .

١٩ - تربيت از نظر قرآن و عترت .

٢٠ - پاسخ اندیشه های جوانان ١ و ٢ .

٢١ - کتابخانه .

٢٢ - رهنمای قرآن کریم .

وأما المخطوطات، سوف تطبع إن شاء الله تعالى في المستقبل، فمنها كما

يلي :

٢٣ - الأثر الخالد في الوند والوالدات .

٢٤ - الجنسان .

(١) طبع مرتان سنة ١٤١١ و سنة ١٤٢٢ .

(٢) طبع سنة ١٤٢٢ .

- ٢٥- تفسير الإمام الصادق عليه السلام، عدة أجزاء .
٢٦- دروس وحلول من الثالث حتى العاشر .
٢٧- ديوان العلوي (الجزء الثاني)، شعر شعبي .
٢٨- منتظنات العلوي، شعر قريض .
٢٩- دليند نس، شعر فارسي .
٣٠- أشك و آه، شعر فارسي .
٣١- نداي آسمان .
٣٢- سخنان ماه مبارك رمضان .
٣٣- منتخب حوادث الأيام في الإسلام .
٢٤- الرافد من الثاني فما فوق .
٣٥- الخير والسعادة .
٣٦- عفت بر كشتارگاه تبرج (١) .
٣٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢) .
وغير ذلك من المؤلفات الفريدة التي لها الأثر البالغ في إلهام الشباب المسلم طريق العمل ومنهج البناء السليم .
فكرس حياته لخدمة الإسلام، متعلماً وعالمياً وعاملاً، وكان خير مثالٍ يُحتذى به في التقوى والإخلاص والعلم والعمل .
لقد كان عالي الهمة صادق العزيمة واسع الاطلاع ثابت البيان .

(١) طبع سنة ١٤١١ .

(٢) طبع سنة ١٤١١ .

تنظر إليه فتري على وجهه سمة الوفا، وبذكرك الله رؤيته، ويزيد في علمك منطقته، ويرغبك في الآخرة عمله، ثم ارجع البصر كرتة ثانية فتري عليه مسحة الصالحين وهيبة المتّقين وصمود المجاهدين وملامح المؤمنين.

ففقيدنا الراحل إلى جوار رحمة ربّه الكريم، لم يكتف بالدعوة إلى الإسلام بالكلمة والعلم فقط، وإنما تعدّأها إلى العمل والتطبيق، فكانت له مشاريع خيريّة قيّمة من محافل إسلامية ومواكب حسينية ومساجد يذكر فيها اسم الله، وكتب توجيهية ونضال وكفاح لأجل المستضعفين والمحرومين، ولأجل حكومة الإسلام وإعادة مجد المسلمين وتراثهم العظيم.

رحمك الله يا أبا عادل، وإنا لفقدانك لمحزونون، وقد خسرت الأمة وجودك المبارك، لا سيّما في مثل هذه الأيام الحاسمة حيث الناس أحوج إلى العالم المصلح المجاهد المخلص، أكثر من كل شيء، فقدناك جسماً ولكن معك يا أبا عادل على نهجك ودربك، درب الإسلام والتضحية والفداء، ولا نقول في عزائنا وعظم المصاب وجلل الرزاء إلا ما يرضي ربنا.

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (١)

وتنحوقل ونسترجع ونحمد الله تعالى، أن أمداً في عمرك الزاهي بمواقف إسلامية رائعة، مواقف المعترّ برّبّه والواقف من نصره، ومضت حياتك الرسالية على صورة تموج بالكفاح المستمر والنشاط الدائم، فلم تتمهل ولم تتوقّف عن الجهاد وطلب العلم والعمل به، وإنك قلت الحقّ وعملت به ولم تبال بالوعد

٢٣٤ الأثر الخالد في الولد والوالد

والموعيد، ولم تنن عزيمتك الإلهية أسباب الإغراء والتهديد عمّا اعتقدت به، بل
كالجبل الأشمّ والبحر الهادئ والتسيم العليل والمنهل العذب.

وسنستمدّ من حياتك البطولية العلمية والعملية وهي لنا نبراس وضاء تنير
دروب النضال والجهاد، ومعالمه على الطريق الصائب والصرائط المستقيم.

إنّ الجيل المؤمن في أرض الإسلام، في عراقنا الجريح وإيراننا المسلمة
وكلّ مكان يذكرون موافقك التي عزّ على الظالمين والحاسدين امتثالها.

وماذا أقول يا أبتاه؛ وقد تركت وراءك سيرة تذكّر الناس برّتهم، وتفاديهم
لمبدئهم وعقيدتهم ورسالتهم الإسلامية.

فهنيئاً لك لفائك ربك الكريم في جنّات عرضها السماوات والأرض في
مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، وفزت فوزاً عظيماً، ولكن أسفاً لفقدك منا.

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانٌ

حياته السياسية والثوريّة

يشهد التاريخ أنّ علمائنا الأعلام هم الذين قارعوا الطغاة والجبابرة،
وفتدوا خطط الاستعمار ومظاهره الفاتنة في البلاد الإسلامية.

كانوا السبّاقين لصدّ الهجوم الكافر على الدين والغزو الاستعماري بشتّى
أساليبه، من السياسة الاستكباريّة والاقتصاد الربوي والاشتراكي والثقافة
السوداء، والحضارة الفارغة.

فهم الدرع الحصين لوقاية الإسلام والمسلمين من الانحراف والفساد
والانحطاط.

وفقيدنا المتفاني في سبيل الله ودينه القويم والأمة الإسلامية العظيمة، منذ
بلوغ الحلم كان متنقراً من انّظلم والجور - حتّى كُنّي بأبي عادل وسُمّي ولده الأكبر
عادل حبّاً للعدالة - فشاعراً وخطيباً وعالمًا، كتلة متفجّرة ضدّ الأنظمة الفاسدة في
مدى حياته في العراق الجرح النازف وإيران الثورة الإسلامية.

فكان يرى السياسة من الإسلام والإسلام من السياسة، إذ السياسة ليست
منفصلة عن الإسلام بل هي منه وإليه.

فحياته سياسة وثورة، ثورة على الطغاة والمستكبرين والمترفين، ثورة

على الاستعمار والامبرالية والصهيونية العالمية.

ثورة على الفساد والظلم والجور والفسخ والمنكر، وصفحات حياته المشرفة تشهد بذلك، وإيكم لقطات من محاربه الطغاة وأحكام الجور:

عام ١٢٨٢ هـ في صحن الكاظمين عليه السلام في العراق ليلة السابع من محرم، صعد المنبر شاعراً وخطيباً، فبند فيها زيف النظام القاسمي ويحاكم الدكتاتور عبد الكريم قاسم في قصيدة شعبية مطلعها:

أَنْظِرِ الْأَوْضَاعَ وَأَحْكَمْ بِالْعَدْلِ بَيْنَهُ
لَا تُخْبِطِ الْمَيَّ الْعَكْرَ
أَنْظِرِ الْأَوْضَاعَ وَأَحْكَمْ بِالْعَدْلِ بَيْنَهُ

وكانت للقصيدة الأثر البالغ في الجماهير المحتشدة في الصحن الشريف، فأشعل فتيلة الثورة ضد النظام القاسمي فاعتقلته السلطات - آنذاك - أربعة أشهر فحكم عليه بالإعدام، فأبرق آية الله العظمى المرجع الديني الإمام السيد محسن الحكيم عليه السلام، بأن السيد العلوي جزء من كياننا يصينا ما أصابه (فأفرج عنه خوفاً من الانتفاضة الشعبية الإسلامية بعدما دسوا السم في مأكله، ولكن شاء الله أن يبقى حياً، لخدمة الأمة الإسلامية وترويج دين الإسلام الحنيف).

وفي زمن النظام العارفي أخذ يحارب عبد السلام عارف وطائفته المشؤومة، وصعد المنبر في الجامع الهاشمي في الكاظمة المقدسة، وألقى على المسامع الواعية قصيدته الثائرة في مطلع (الضائفة فرقة وشور...) ثم أخذ يحاكم عبد السلام هاتفاً صارخاً:

قِفْ كِي نَحَاسِبْ فِي جَدِّ وَنَحْتَكَمَا إِلَى مَتَى نَتَبَدُّ الْأَخْلَاقَ وَالذَّمَّ مَا

وَعِنْدَ النَّظَامِ الْعَقْلِي الْعَفْنُ حَارِبُهُمْ بِقَلَمِ الْبِتَّارِ، وَبِيَانِهِ الصَّارِمِ، حَارِبُ

الكوكب الدرّي في حياة السيد العلوي ٢٣٧

جلاوزة البعث والطغمة التكريتية، ولا يبني بالموت وقع عليه أم وقع على الموت ولا تأخذه في الله لومة لائم ...

ولكن عام ١٣٩١ هجري هُجّر مع عائلته إلى إيران انتقاماً منه لما أبداء من بطولة وصمود وشجاعة وجهاد، حتى قال في حقّه الإمام الحكيم عليه السلام: (إنك البطل المجاهد) وكفى ...

وبعد تهجيرهم سكن واستوطن مدينة العلم والثورة والفتاء قم المقدّسة وأخذ يحارب النظام البهلوي المتبور.

فلم يغب عن ذهن المجاهد العلامة العلوي طاب رمسه أن يواكب ويتعايش مع الجمهور الإيراني المسلم، ويخوض صولاته الانتخابية الحرة لتأسيس الجمهورية الإسلامية بقيادة الإمام الخميني العظيم.

فمعهم في شوارع النضال والمظاهرات المليونية ومعهم على صندوق الانتخابات المتعدّدة في أدوار حاسمة، ومعهم في التضحية والفتداء، وفي كلّ شيء، إذ يرى ذلك من أهمّ مسؤولياته الشرعيّة، وكان يعشق الإمام الخميني ويقدّسه، فما رآه على لوحة أو شاشة التلفزة أو لقاء سعيد، إلّا وخاطبه بشغف ولهفة (روحي فداك أيّها الإمام الحبيب).

فكرّس حياته للثورة الإسلامية وحكومة الإسلام التي كانت أمّيته الوحيدة في الحياة، سواء في العراق المضطهد أو إيران المسلمة.

وكان يستلذّ المصائب والعذاب في سبيل مبدئه الحنيف، فتلقّى السجن والزنانات برحابة صدره، وبنفس صابرة محتسبة، إذ تعلم أنّ ذنبها الوحيد، الدعوة إلى الله، وجريمتها صيحة الحقّ والعدالة دوت في الضمائر، أرسلها بلا هوادة تصرخ في وجوه الحكّام الذين يحكمون المسلمين في البلاد

٢٣٨ الأثر الخالد في الولد والوالد

الإسلامية: أن طبّقوا الإسلام، ودستوروا القرآن، وحكومتنا حكومة الله وعباده الصالحين، لا شرقية ولا غربية، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

أيها البطل المجاهد فقيدنا الغالي، لقد صبرت وصابرت حتى انتصرت وتحملت المشقة والعناء وكابدت الرهق والنبأس، ومع ذلك وقفت شامخاً على قمة الاعتزاز، ورفضت أن تطلب العنق من الظالمين، في بطولة المؤمن الذي فنى في حب الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام.

وحب الحق والعدالة والحرية الإنسانية، وما هي إلا تربية المدرسة الإسلامية الخالدة التي يخرج منها كبارنا الأعلام على مرّ الدهور وتعاقب الأجيال.

فخرجت من السجن عزيزاً كريماً رغم أنف الظالمين، موثوق الصلة بالسماء وربّها الرحيم.

ولدت مع المحرومين وعشت مع المستضعفين، وتركت قلبك مع الفقراء، ومنذ عنفوان شبابك كانت البراءة ترافق عينك، وانقضت الأيام وأنت تسير على نهج الإسلام وخدمة المسلمين، وشاركتهم آلامهم، وتفجّر من قلبك الغضب على الحكومات الجائرة في العراق وإيران، حتى ارتفعت راية الثورة الإسلامية تكافح الظلم والاستبداد، وصرخت في وجه الامبريالية والمتخاذلين بالموت. وأخيراً كنت تعيش القضية العراقية، وبذلت الجهود لخلاص العراق من فاشستية صدام الكافر، وشاركت في الدفاع عن المهجرّين والمهاجرين الذين شردهم صدام وطعمته الفجرة من ديارهم ووطنهم العراق الجريح، ترافق دوماً الأمين العام لمكتب الثورة الإسلامية في العراق العلامة المجاهد السيّد محمّد باقر الحكيم وكنت عضده الأيمن آنذاك.

كنت المشرف العامّ للهيئة الإدارية في الحسينية الكاظمية في طهران،
والحسينية النجفية في قم المقدّسة. فكنت عالماً حليماً شفيقاً عطوفاً، وأخاً رؤوفاً
خدوماً.

كنت دوماً تطلب الشهادة، ومن بطلب الشهادة لا يخاف الموت ولا يهابه،
ولم يكن الموت شبحاً مخيفاً في حياته كما قتلها على سرير المستشفى آخر
ساعات حياتك، حياة البطولة والشجاعة والجهاد والمثابرة، حياة العقيدة
والإيمان، فودّعت الحياة بزهّد وتقوى وورع واجتهاد، وحلّفت روحك الطاهرة
إلى السماء عند مليكٍ مقتدر مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
رفيقاً.

فألف تحيةً وسلاماً لك يا من كان عملك وجهودك وجهدك وحياتك من
أجل الفقراء والبؤساء، من أجل الإسلام وترويج شريعة السماء السمحاء، وإقامة
حدود الله في الأرض وإعلاء كلمة الحقّ وإدحاض كلمة النباطل.

وأنت في التاريخ من أعزّ الخالدين، وأروع مثال للإخلاص والعمل
الدائب، والطموح المتسامي، والخلق الإسلامي، والفكر العملاق، والمؤلف
المسؤول، والمبّع الواعي، وانداعية الصادق، والعالم الحليم، والخلوق الكريم،
والمسلم التائر، والمجاهد الشهم... والأب الحنون، والأخ الشفيق، والولد البار
للإسلام والأمة الإسلامية... وأنتم يا شباب الإسلام سيروا...

على درب فقيدنا الراحل السيّد العلوي وأمثاله من المجاهدين الصابرين.
سيروا على هامة العزّ وقمة الخلود، ردّدوا أناشيد الجهاد والنضال وألحان
الشهادة والقتل في سبيل الله...

واهتفوا الله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين...

والموت للمطغاة والجبايرة وحكام الجور والمستكبرين .

إن نصرنا الله، الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

وعهداً للفقيد العلوي أن نخطوا خطاه، ونحیی آثاره ومآثره، وأن نكون جنود الإسلام الأوفياء حتى تحرير عراقنا الكئيب من براثن البعث الصدامي الكافر، ومخالب الاستعمار الأمريكي، والبريطاني والروسي وكل الأجانب، عهداً للفقيد العالي أن نحرر العراق بقيادة قائد الأمة الإسلامية الإمام الخميني العظيم مفتي، والإسلام يومئذ يحكم العراق وكل البلاد المضطهدة إن شاء الله تعالى، ونواصل الثورة حتى ظهور صاحب الأمر والزمان الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، وجعلنا من خيرة شيعته وأنصاره وأعوانه .

حياته الاجتماعية والأخلاقية

أروع مثال كان يضربه شهيد الإسلام المفكر الإسلامي الأكبر مولانا الصدر رحمه الله، لرجل الدين والداعية الناجح : هو فقيدنا الراحل السيّد العلوي طاب ثراه، وحقاً كان ذلك، لنشاطاته الدينية وعمله الدؤوب المتواصل بلا هوادة ولا هوان، وبكل إخلاص وتفادي، فمذ أن عرف نفسه أحسن بالمسؤولية التي وضعها الإسلام على عاتقه، فجاهد وضحّى بالنفس والنفيس في سبيل الإسلام والأمة الإسلامية، وأصبح ملاذاً للمحرومين، وملجأً للمستضعفين وعوناً للفقراء والمساكين، وأباً شقيقاً للشباب وأخاً حنوناً للشبية، وسعى سعيه في إصلاح الفرد والمجتمع أينما حلّ وارتحل، ورسم للأجيال خطوط النهضة الإصلاحية والانتفاضة الاجتماعية ضدّ الفساد والانحطاط الخلقي، وهذا جزء لازم على طريق الدعوة والحركة التي أرشدنا إليها الإسلام، وبغيره يكون تصوّر الإصلاح والتغيير والبناء سراب بقية، إذ الإسلام دين الإنسانية الصالح لكلّ زمان ومكان، فكان يعتقد ويعمل بقول رسول الله ﷺ (خير الناس من نفع الناس).

فسيّدنا الراحل، ناضل وجاهد في سبيل إصلاح المجتمع من أجل العقيدة ومن أجل إحياء معالم الإسلام ونشر مفاهيمه إنسانية التي تهدي الرشاد وطريق

الصواب.

جاهد بنفسه وبكل ما يملك من أجل الدين الإسلامي وقرآنه الخالد، فتركز عمله - بياناً وجوارحاً - على التربية والإصلاح كأجداده الطاهرين عليهم السلام، وحزم نفسه لخدمة الأمة والشعوب والجماهير المؤمنة مهما كانت الظروف والأحوال، واستمر على العمل في هذا السبيل والطريق النوع المليء بالأشواق، رغم ما كان يمرّ به من مشاكل مادية واجتماعية، وجفاء الخلق، ومتاعب نفسية وروحية وأجهها بصمود ومثابرة وإيمان لا يلين، وقوة وعزم لا يقل، وذلك شأن الداعي المؤمن الصادق دائماً.

إنّه يؤمن بالإسلام كمبدأً وعقيدة بكل وجوده، ودرس الإسلام حتى شهد عقله وقلبه أنّه لا طريق سليم لنجاة الشعوب المستضعفة من مكالب الطغاة ومخالب المستكبرين سوى الإسلام القويم، إذ يهتف صارخاً: كن للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

فالسعادة في الإسلام، وكانت له في الإسلام مواقف مشرقة ناصعة لأهل الدين والإنسانية، فإنّه رجل العلم والعمل.

وفي كل صفحة من تاريخ الإسلام المجيد عظماء حملوا الرسالة الإلهية بكل نفاذ وبطوته ونبل وإخلاص.

إذ لا شك ولا ريب أنّ عبء الإرشاد والإصلاح والترويج الإسلامي عبء ثقيل، يقع على أكتاف العظماء المنتخبين في المجتمعات الإنسانية، وهم دوماً الطريق المنير المتلائم لإنقاذ الجمهور من ظلمات الجهل والشرك والفساد إلى جنة الطهر والعلم والتوحيد.

وكان فقيدها العلوي واحد منهم، وإليكم نبذة يسيرة من خدماته

الاجتماعية ومشاريعه الإسلامية والإصلاحية.

١- تأسيس موكب (الكاشانيون) في الكاظمية المقدّسة بمعيّة والده الماجد الرجل الحسيني الصالح السيّد حسين عليه السلام، وأخيراً سُمّي الموكب باسم (موكب الإمامين الجوادين عليهما السلام) لإقامة المجالس الحسينية وعزاء جدّه الأظهر سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، إذ الموكب الحسينية تعتبر مدرسة الأجيال المسلمة، ودروسها الغداء والتضحية من أجل العقيدة، فإنّ الحياة عقيدة وجهاد.

٢- موكب العبيدية في الجامع العبيدي في بغداد.

٣- موكب حي طاروق في الجامع العلوي في بغداد - العراق.

٤- تأسيس (هيئت علوي) - قم - إيران الثورة عام ١٣٩١.

٥- تأسيس (هيئت محله مسجد علوي) - قم - ١٣٩٤.

٦- تأسيس وبناء (الجامع العلوي) في بغداد عام ١٣٨٨ هـ ق.

٧- تأسيس وبناء (مسجد علوي) في قم عام ١٣٩٣.

٨- مكتبة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام العامّة في الجامع العلوي.

٩- تأسيس (كتابخانه عمومي الإمام علي بن الحسين عليهما السلام) في (مسجد

علوي).

١٠- مدرسة العلوي الدينية، أسست عام ١٣٧٦.

١١- تأسيس وبناء (مسجد بني هاشم)، قم - عام ١٣٩٨.

١٢- تأسيس (مجمع الآثار) في (مسجد علوي).

وله المشاريع الإسلامية الأخرى في إيران الثورة الإسلامية وعراقنا

الجريح المضطهد تحت نير الطغاة صدام وجلالوته وطغتمته التكريتية، خذلهم الله

عاجلاً إن شاء الله تعالى.

وأما خلقه من ربما يعجز اللب عن وصفه، فإنه حسن الخلق، طيب القلب يحب العباد ويخدمهم. رحيم شقيق صبور، وله خصائص أخلاقية يمتاز بها عن الآخرين: مثل البساطة بتمام المعنى فلا تكلف في حياته الاجتماعية، ومثل الطهارة والقداسة حتى قال في حقّه فقيه الإسلام آية الله السيّد إسماعيل الصدر في مجمع من رجاله مشيراً إلى السيّد العلوي: (إنّ هذا السيّد أظهر من ماء السماء).

تغره باسم دوماً حتى في الشدائد، وكان يعتقد ويردّد قول المعصوم عليه السلام: (المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه)، ومن خصائصه الصبر على البلياء والرياء، حتى ضرب المثل به سيّما بعد فقد أربعة من أولاده الأبرياء وأفلاذ أكباده في ليلة واحدة، في سانحة تجرح القلوب وتكلم الأفتدة وتقطر المها دماً، وذلك ليلة الثورة الإسلامية في إيران الحبيبة ليلة (٢١ بهمن) حينما ذهب الأفلاذ إلى مسجد جمكران، مسجد صاحب الزمان - قريب قم المقدّسة - ليدعوا لقائدهم المفدى الإمام الخميني العظيم وثورته الإسلامية المجيدة بالنصر والنجاح، فوافاهم الأجل عشية الجمعة قريباً من المسجد الشريف، وجرعوا كأس الشهادة وسبحوا في دمايتهم الطاهرة، كي يسقوا شجرة الإسلام بالدماء، ويرفعوا راية الإسلام خفاقة عالية ترفرف على ربوع العالم بأجسادهم المملّخة بالدماء الزكية عليهم سلام الله، وقدّس أرواحهم البريئة الطاهرة، وأسكنهم مع أبيهم وحشرهم مع جدّهم رسول الله ﷺ في فسيح جنّاته وفردوسه الأعلى مع الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ومن أخلاقه البارزة حبه وولعه في طلب العلم، وطموحه في طلب العلى والمعارف السامية، والعمل المتواصل ليل نهار، بلا فتور ولا جمود.

إنّه كان مع الشعب، إذ يرى نفسه من الشعب وإنّى الشعب، يفكر في الجماهير أكثر ممّا كان يفكر بنفسه، وحتى عائلته، يجالس الجاهل ليعلّمه، والعالم ليذكّره، والفقير ليواسيه، والغني ليوصيه بالفقراء، والمقاتل في سبيل الله ليقوّي معنويّاته، والشاب ليثبّته، والجميع يعاشرهم بوداً وشفقة ورحمة ليهديهم الصراط المستقيم ويرشدهم إلى أحكام القرآن وقوانين الإسلام.

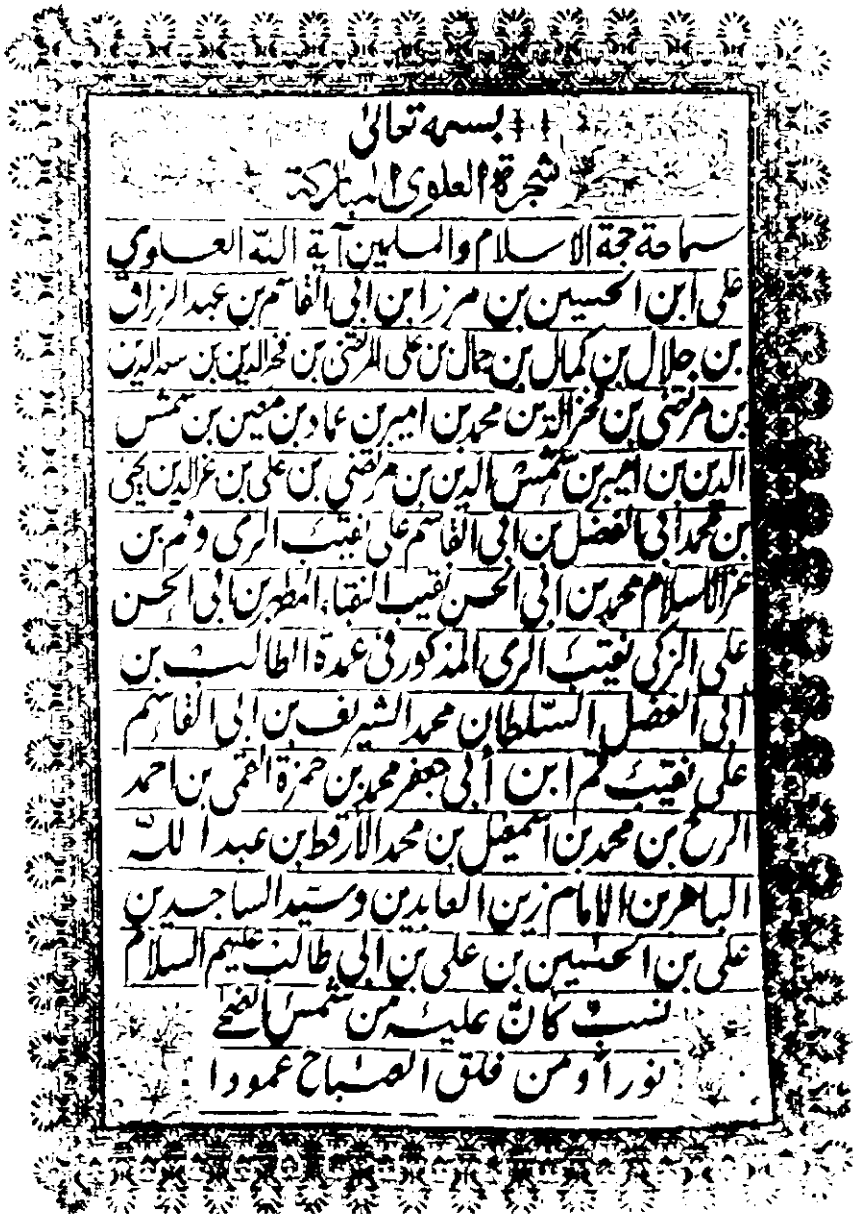
وبهذا استحقّ إعجاب وحبّ الجماهير، سيّما الشباب الواعي المتعطّش لمنهل علمه العذب... وأخيراً حياته مدرسة الأخلاق جيلاً بعد جيل...
فعاش سعيداً ومات سعيداً ويحشر سعيداً إن شاء الله.

وإليكم البيان الذي أصدره مكتب السيّد الحكيم ومؤسسة الشهيد الصدر في طهران يوم وفاته، ثمّ يليه حياة الفقيّد السعيد بقلمه المبارك وخطّه الشريف، وقد طبع أواخر كتابه (لباب المعالم).

ثمّ ختاماً كلمة الأسرة المنجوعة (آل العلوي).
ونوافيكم لقطات مصوّرة من حياته الخالدة^(١)، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

رحم الله من قرأ سورة الفاتحة على روحه الطاهرة، ولكم جزيل الأجر والثواب.

(١) ما ذكر في نهاية المقال مطبوع في كتاب الكوكب الدرّي في حياة السيّد العلوي.



المصادر

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - تحف العقول عن آل الرسول
ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة
الحرّاني، من أعلام القرن الرابع، منشورات
مكتبة بصيري - قم - شوال المكرّم ١٣٩٤ هـ.
نظبة الخامسة.
- ٣ - الخصال.
الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن
الحسين بن موسى بن بابويه القمي رحمه الله
تعالى، المولود سنة ٣٠٦، والمتوفى سنة ٣٨١،
الجزء الأول، تصحيح وتعليق السيّد فضل الله
الطباطبائي، نيزدي، مطبعة قم.
- ٤ - معدن الجواهر ورياضة الخواطر.
ابو الفتح محمد بن علي الكراچكي ... تحقيق
السيّد أحمد الحسيني، منشورات المكتبة
المرتضوية - طهران - مطبعة مهر - قم ١٣٩٤ هـ.
- ٥ - ذرايع البيان في عوارض اللسان.
الشيخ محمد رضا الطوسي النجفي، المجلد
الأول، الطبعة الثانية.

٢٤٨ الأثر الخالد في الولد والوالد

٦ - تاج العروس من جواهر القاموس . محمد مرتضى الزبيدي . منسورات دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان .

٧ - غوالي الدرّ من كلاء السيّد البشر . السيّد مهدي اللاجوردي الحسيني - قم ١٣٨٦ هـ .

٨ - الجعفریات أو الأشعّیات . أبو عني محمد بن محمد بن الأشعث بن محمد الكوفي الساكن بمصر - إصدار مكتبة لبنان الحديثة - طهران - ناصر خسرو - مروی .

٩ - المواعظ العددية . تهذيب . الشيخ علي المشكيني الأردبيلي ، وشروح وإضافات لكتاب الإثنى عشرية . وتعانيق لشيخ علي الأحمدی الميانجي .

١٠ - تسليّة المؤاد في بيان الموت والمعاد . السيّد عبد الله شبر ١١٨٨ هـ - ١٢٤٢ هـ تحقيق السيّد أحمد الحسيني والشيخ رضا أستاذي .

١١ - زندگانی سلطان علی و هلال بن علی . السيّد عزيز الله امامت .

١٢ - المكاسب . الشيخ مرتضى الأنصاري ١٢١٤ - ١٢٨١ هـ ق تحقيق وتعليق السيّد محمد كلانتر .

١٣ - مجمع البيان في تفسير القرآن . الشيخ أبو عني الفضل بن الحسن الطبرسي ، القرن السادس ، طبع طهران .

١٤ - علل الشرائع . الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رحمه الله تعالى ، المتوفى ٣٨١ .

١٥ - إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ .

- ١٦ - أصول الكافي. أبو جعفر محمد بن يعقوب الكشي الرازي،
طبع الإسلامية طهران
- ١٧ - پندهای گرانمایه بیغمبر اکرم به
أبو ذر غفاری.
- ١٨ - بحار الأنوار.
المولى محمد باقر بن المولى محمد تقي بن
المقصود علي التستلي بالمجلسي، مولده
١٠٣٧، وفاته ٢٧ رمضان المبارك ١١١١.
عمره الشريف يناهز الـ (٧٣). قبره المقدس
عند أبيه في الجامع العتيق بإصفهان.
- ١٩ - الأخلاق.
السيد عبد الله بن السيد محمد رضا الشير
الحسيني (١١٨٨ - ١٢٤٢) ولد في النجف
الأشرف وتوفي في النكاطية المقدسة ودفن في
الرواق الشريف.
- ٢٠ - معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة.
العلامة المحقق علم الهدى محمد بن المحسن
ابن المرتضى الفيض الكاشاني (ليلة غرة ربيع
الأول ١٠٣٩ - ١١١٥) ودفن في كاشان عند قبر
والده رحمهما الله تعالى).
- ٢١ - مرآة الكمال.
آية الله العظمى فقيه العلم والحق الشيخ عبد الله
ابن آية الله الحاج الشيخ محمد حسن المامقاني
(١٢٨٠ - ١٣٥١ هـ).
- ٢٢ - مستدرک وسائل الشيعة.
خاتم المحدثين المحقق الشيخ حسن النوري.

٢٥٠ الأثر الخالد في الولد والوالد

٢٣ - غرر الحكم ودرر الكلمه . السيد فاضل الدين أبو الفتح عبد الواحد بن

محمد بن عبد الواحد التميمي الأمدى من بلاد
الجزيرة بين الدجلة والفرات من ديار بكر .

٢٤ - فضائل الأشهر الثلاث .

الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن
الحسين بن موسى بن بابويه القمي المولود سنة
٣٠٦ والمتوفى ٣٨١ هـ ، حَقَّقَهُ عرفانيان .

٢٥ - أمالي الشيخ المفيد .

الإمام تقيته المحقق محمد بن محمد بن النعمان
بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن
جبير ، مولده (٣٣٨) وهو من أهل قرية تعرف
أسوقه (بن البصري) من (عكبرا) تبعد من
بغداد إلى ناحية الدجيل بعشرة فراسخ . وفاته
(٤١٣) .

٢٦ - مشكاة الأنوار .

العلامة الأجل ، ثقة الإسلام ، أبي الفضل علي بن
أبي نصر رضي الدين الحسن صاحب (مكارم
الأخلاق) ابن أمين الدين أبي علي الفضل بن
الحسن بن الفضل (مؤلف مجمع البيان) . وهو
من علماء أواخر القرن السادس أوائل القرن
السابع على الظاهر .

٢٧ - عيون أخبار الرضا عليه السلام .

الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي
بن بابويه القمي .

الفهرست

- صورة السيد العلوي ٣
- الإهداء ٥
- التمهيد ٧
- الأئمة الأطهار عليهم السلام وُلد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ١١
- العزير في كلِّ مكان ١٣
- الأولاد والسعادة ١٤
- السعادة والنعمة ١٦
- عمارة الدنيا ١٩
- حراث الدنيا البنون ٢٠
- العون والعضادة ٢١
- الولد نعمة ٢٢
- كفران النعمة ٢٣
- الولد ربحانة ٢٤
- الأنس بالولد ٢٦

٢٥٢	الأثر الخالد في الولد والوالد
٢٩	المتوّم
٣٠	البشائر
٣٢	شراكة الشيطان
٣٣	قانون الوراثة
٣٥	تأثير المأكولات في الأولاد
٣٨	تسمية الأولاد
٤١	الكنية من الأدب
٤٢	عند الولادة
٤٤	وليمة المولود
٤٥	التهنئة بالولد
٤٧	شباهاة الولد
٤٨	الولد الصالح
٥٣	الأدب والتعليم والتربية
٥٨	التصابي
٥٩	إعالة الأولاد
٦٠	موجبات الرحمة على الوالد
٦٣	توابع المرء
٦٤	التمتع بالولد بعد الموت
٦٥	كمال الأدب مع الوالدين
٦٧	أفضل الأعمال للولد
٦٨	الإطاعة (إطاعة الوالدين)

٢٥٣	الفهرست
٧١	جزاء الوالد
٧٣	الدافع إلى الجنة بر الوالدين
٧٤	الخلود
٧٦	الجنة
٧٨	النار
٧٩	الجنة من النار
٨٠	سخط الله ورضاه
٨١	رضا الله ورضا الوالدين
٨٣	حقّ الوالدين
٨٦	الشكر (شكر الوالدين)
٨٨	جند العقل
٨٩	البرّ والبارّ
٩٤	الإشفاق
٩٦	التفقة على الوالد
٩٨	البرّ بالأمّ
١٠٢	رضا الأمّ وسخطها
١٠٥	معنى العاقّ والعقوق
١٠٧	عاقّ الوالدين
١٠٩	درجات العقوق
١١٥	عقّ الأولاد
١١٦	حيّان أو ميّتان

٢٥٤ الأثر الخالد في الولد والوالد

١١٨ الدعاء (دعوى الوالدين)

١٢١ حقّ الولد على الوالد

١٢٤ الفريضة (برّ الآباء)

١٢٦ العبادة

١٢٨ أحبّ الأبناء

١٢٩ تعدّد الآباء

١٣٠ نصيحة الوالد لولده

١٣١ وصايا الآباء للأبناء

١٤٦ نصح الأبناء للآباء

١٤٧ الرعاية

١٤٨ الأقوال

١٤٩ تكلف الآباء بالنسبة للأبناء وبالعكس

١٥١ العناية والإعانة والرعاية

١٥٤ نعص العيش

١٥٥ المصائب

١٥٦ فقدان

١٥٨ التعزية

١٥٩ الاحتساب

١٦٠ السلطة المالية

١٦١ إرث الوالدين

١٦٢ الإرث للولد

٢٥٥	الفهرست
١٦٤	إرث الأثمي
١٦٦	نهى الله عن المحارم
١٦٧	نكاح المرأة ذات الأولاد
١٦٩	الفرار من الولد
١٧١	اللعن
١٧٣	الممقوت
١٧٤	الفتنة
١٧٦	الوَاد
١٧٨	الاجتناب عن ولد الزنا
١٧٩	لا يولد المؤمن بزنا
١٨١	المضّر
١٨٢	لا ضرار ولا ضرار
١٨٣	الهرب بعد الطلب
١٨٤	أولاد إبليس
١٨٥	الذلل
١٨٦	الكبائر
١٨٨	الجبن
١٨٩	سنن عبد المطلب
١٩٢	ذبح الولد
١٩٦	متفرقات
١٩٨	● ختامه مسك

٢٥٦ الأثر الخالد في الولد والوالد

● دعاء مولانا الإمام السجاد عليه السلام لأبويه ١٩٩

● دعاء مولانا الإمام السجاد عليه السلام لولده ٢٠٩

التوكل في العمل لا في البطالة والركسل ٢١٠

أجهل الناس بالله ٢١١

بين عطف الوالد والولد ٢١٢

● الكوكب الدرّي في حياة السيّد العلوي عليه السلام ٢١٩

مولده وحياته العائلية ٢٢٤

حياته العلميّة والعملية ٢٢٧

حياته السياسيّة والثورية ٢٣٥

حياته الاجتماعيّة والأخلاقية ٢٤١

نسبه إلى الإمام السجاد عليه السلام ٢٤٦

● المصادر ٢٤٧

● الفهرست ٢٥١

الليظة الإنسانية

في المفاهيم الإسلامية

السيد عادل العلوي

دار الأبحاث الإسلامية



العلوي . السيد عادل . ١٩٥٥ -

اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية / تأليف السيد عادل العلوي . - قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد . ١٤٢٢ ق . = ١٣٨٠ .

١٦ ص . - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 18 - X . - (دوره) . - ISBN 964 - 5915 - 62 - 7

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیبا .

عنوان دیگر : رسالة اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية .

عربی .

کتابنامه به صورت زیر نویس .

١ . اخلاق اسلامی . ٢ . اخلاق اجتماعی . الف . عنوان . ب . عنوان : رسالة اليقظة الإنسانية في المفاهيم

الإسلامية .

٢٩٧ / ٦٥

٧٨ ع / ٢٥٤ BP

کتابخانه ملی ایران

محل نگهداری

٢٢٨٦٨ - ٨٠ م

موسوعة

رسالات إسلامية

رسالة

اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية

تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران ، قم ، ص . ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هجري قمري

التنضيد والإخراج الكومبيوترى - حكمت ، قم

المطبعة - النهضة ، قم

ISBN 964 - 5915 - 62 - 7

شابك ٧ - ٦٢ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

EAN 9789645915627

ای . ای . ان . ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٦٢٧

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دوره ١٠٠ جلد)

اليقظة الإنسانية^(١)
في المفاهيم الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا من المهتدين لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

إن الصراع المرير بين الحق والباطل كان ولا يزال منذ بدء الخلق، فإن آدم صفوة الله تمثل فيه الحق وتجلّى فيه أسماء الله وصفاته، كما أن الشيطان الرجيم تمثل فيه الشرور والفساد، فكان الصراع بينهما من اليوم الأول وإلى يومنا هذا وغداً، وقد حلف بعزة الله أن يغوي ذرية آدم ﴿لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣) إلا عباد الله الذين أخلصوا لله، وإنهم لقليلون ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(٤).

(١) مقدمة لكتاب (المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق) بقلم المرحوم حجة

الإسلام السيد عامر العلوي رحمه الله.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) ص: ٨٢.

(٤) سبأ: ١٣.

٤ اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية

وكَلِّمًا سارت البشرية في طريقها الحالك، وتخبّطت في متاهة إيليس الرجيم ومدارسه الضالّة والمضلّة، برزت الحاجة ملحة للعودة في رحاب الله ودينه القويم الذي ختم بالرسالة الإسلامية السمحاء، ليرتوي من معينها الصافية، ونبعها الطاهر.

وتطلّع المخلصون إلى ثورة الفكر الإسلامي المحمّدي الأصيل، الذي يحارب من قبل أعداء الإنسانية ورسالات السماء لينحى عن الحياة، أو يشوّه صورته ويحرّف كلماته بين جهل أبنائه ولجاجة أعداءه، إلّا أنّ الإسلام يعلو ولا يعلو عليه، وسيبقى كالشمس المضيئة والدافئة لا تحجبها السحاب والغيوم، فلا يستغنى عن دورها الحيوي في بعث وانتشار الدفء والغذاء والنشاط إلى صميم البذور والجذور، كما بدا واضحاّ أخيراً خلال الوعي الإسلامي العام والصحوّة الإسلامية المعاصرة، والتي عاد المسلمون فيها - بحمد الله - بعد طول غياب ومعاناة إلى حضيرة الإسلام ومناهله الثرة ومنابعه الفكرية الوضاء، يستجيبون بها من لهيب الأفكار الملحدة والمادية المستوردة من الغرب والشرق، وإنّهم يحتفّوا حول علماء الإسلام ويستمدّون بالمفكرين الإسلاميين والعلماء المخلصين أن يهبوا لإنقاذ البشرية الحيرانة والمعذّبة ليطرحوا لها مفاهيم إسلامية في أصول الدين وفروعه وأخلاقه ومثله العليا، فإنّها المخلّص الوحيد للبشرية من عناء الركنز وراء الفلسفات والنظم البشرية المنحرفة والتعيسة، ويأخذوا بيد هذا الإنسان المعذّب إلى ما اختار الله له من الأحكام القويمية والقوانين الرصينة والأخلاق الطيبة والآداب الحسنة والسنن السليمة التي تتلائم مع فطرته الصادقة وعقله السليم في كلّ مجالات الحياة.

والبشرية اليوم تبحث عن المخلّص والمصلح والمنقذ لها، فكَلِّمًا أذن صاغية وتلهّف متواصل لتلقّي مفاهيم الإسلام من منابعه المعطاء، من القرآن

الكريم والسنة الشريفة المتجسّدة بقول المعصوم وفعله وتقريره، فإنّه حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض، ما أن يتمسك به الإنسان إلا ويسعد في الدارين، ولن يضلّ أبداً.

أجل: لقد شهد القرن العشرون حروباً ضارية، وعراك مدمر، ذهب ضحيّتها عشرات الملايين من القتلى والناس المشرّدين، الذين فقدوا أهلهم، ودمّرت ديارهم، فبرزت الأزمات الروحية والانحطاط الأخلاقي والفساد الاجتماعي، والتي كانت سمة من سمات المجتمعات المعاصرة دفعت بسببها ثمناً باهضاً جرّاء تفشّي الروح العدوانية والقوّة الدكتاتورية، وغياب الرحمة والتآلف بين الناس وبين الدول. وضعفت القيم والأخلاق الأسرية والاجتماعية، فكان إنسان القرن العشرين يفتقد إلى الأمان والطمأنينة والسكون والاستقرار النفسي، ويعاني من فقدان الهوية وضمور الانتماء الاجتماعي، وفي هذه الأمواج المادية الرأسمالية والاشتراكية كان للفكر الإسلامي والمفاهيم الدينية النازلة من السماء مساهمات كبيرة في معالجة قضايا الناس على الصعيدين الفردي والاجتماعي، فكان للإسلام الذي ارتضاه الله لنا ديناً قيماً لا اعوجاج ولا انحراف فيه الأثر البالغ في إدخال الطمأنينة إلى قلوب الناس وارتباطهم بالله تعالى وتعميق شعورهم الإيماني الذي يهبهم رؤية ثابتة وحياة مفعمة بالأمل كما كان للإسلام في صدره هذا الأثر البالغ على النفوس والمجتمعات.

وفي عصرنا الراهن إذ تقترب مجتمعات كثيرة في بلاد المسلمين من حمل مسؤولية تطبيق الإسلام وإشاعة مفاهيمه القيمة في شؤون الحياة ومجالات المعيشة، تلبية لرغبة عموم الناس والطبقات الشابة منهم على الخصوص، تبرز بالحاح ضرورة بحث مسائل الدين والدولة والمجتمع ومعالجة قضايا وشؤونه المختلفة بما ينسجم والمفاهيم الإسلامية، وبما لا يعيق عيش المسلم لحياته في

٦ اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية

موازاة التطور العلمي والتكنولوجي ومتطلبات الحداثة المتبلورة بالأصالة اللازمة لتقدم الشعوب والمجتمعات.

مصدر التشريع الإسلامي :

ولا يخفى أنّ مصدر التشريع الإسلامي ومنبع مفاهيم الإسلام هو الله سبحانه وتعالى العالم بما خلق، وإنّ إرادته تتجلّى في كتابه الكريم والقرآن المجيد وفي السنّة الشريفة، وإنّ استقراء آيات القرآن الكريم والسنّة المطهّرة التي تعني قول المعصوم - النبيّ والإمام - وفعله وتقريره، وما أنتجه الفقه الإسلامي من دراسات وقواعد ونصوص فقهية تسوقنا وتقودنا إلى حقيقة حضارية وإنسانية هامة، وهي أنّ الرسالة الإسلامية رسالة اجتماعية متطورة تواكب العصر في رؤيتها للحياة، فهي كما تنظر إلى الفرد في بعض المواقع كياناً مستقلاً وتقول بملكيتّه الفردية مثلاً، تنظر إليه جزءاً من الكلّ الاجتماعي أيضاً، وتعامل معه ليس فرداً منفصلاً كجزيرة في بحر، بل جزءاً من مجتمع كبير له كيانه ومصالحه العامة والخاصّة، وشخصيته المستقلّة عن شخصيات الأفراد والمجموعات الاجتماعية الأخرى، وله حقوق كما عليه واجبات ومتطلّبات.

فالرسالة الإسلامية اهتمت ببناء الفرد ليكون عضواً صالحاً للمجتمع، كما اهتمت ببناء المجتمع ليكون ظرفاً نظيفاً للفرد، ويتّضح اهتمام الإسلام العظيم في البناء الاجتماعي في كلّ مجال من المجالات التي قام بتأسيسها وتنظيمها حتّى العبادات والطوقس الدينية التي شرّعها كالصلاة والصيام والحجّ والدعاء، فإنّ لها آثارها الإيجابية ونتائجها الاجتماعية والتربوية الفردية ذات الطابع الاجتماعي. فالإسلام بمفاهيمه المتعالية له أحكامه وقوانينه في العقيدة وفي المجالات التعبديّة الفردية والاجتماعية، وفي سلطة الدولة والحكومة، وحركية القيم

الأخلاقية والمثل العليا بشكل متساوق ومتكامل ومتماسك بعضه مع بعض .
 فعنده العناصر الإنسانية والفكرية من العقيدة الواحدة السليمة الجامعة بين
 أفراد المجتمع، فإن الفرد المسلم يشعر في مجتمعه الإسلامي بأنّ العلاقة بينه وبين
 الآخرين هي علاقة الأخوة الإيمانية والمحبة الإنسانية، فالناس صنفان : إما أخ
 لك في الدين أو نظيرُ لك في الخلق .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(١) .

فالعلاقة والترابط بين المؤمنين علاقة الولاء والموودة، وإنّ مثلهم في
 توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر
 الجسد بالسهر والحمى .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
 لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٢) .

وبهذا الشكل الرائع يشكّل الإسلام المجتمع ويبني صرحه على الإنسانية
 المتعايشة والتي تهدف التقوى في الحياة .

ثمّ يتمسك المجتمع الإسلامي بالقانون المنظم لحقوق الأفراد وواجباتهم
 وسلوكهم ونشاطاتهم الفردية والاجتماعية، فإنّ القانون في نظر الإسلام هو
 العنصر الفعّال بعد العقيدة في تنظيم المجتمع وتماسكه، ويحوي الفقه الإسلامي
 بعد العقائد السليمة على ثروة تشريعية ضخمة تمدّ المجتمع بما يحتاجه من قوانين
 وآداب تنظّم سلوك الأفراد وعلاقاتهم المختلفة، وتنظّم ما لهم من حقوق

(١) التوبة : ٧١ .

(٢) الحجرات : ١٣ .

٨ اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية

وما عليهم من واجبات، وما يرتبط بالسلطة والأسرة والأمن والقضاء وشؤون المال والمؤسسات والعلاقات الدولية والداخلية. ويشهد لذلك الآلاف من النصوص الفقهية والمئات من القواعد الفقهية والأصولية بالإضافة إلى ما هو مستودع في مصادر التشريع من الكتاب والسنة.

ومن هذا المنطلق والحجة ثبتت القاعدة القائلة: (ما من واقعة إلا والله حكم فيها)، وقد اصطادوا هذه القاعدة من قول الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة»^(١).

فالعقيدة والقانون ركنان أساسيان في الإسلام، وكذلك الركن الثالث وهو الأخلاق الحسنة النابعة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة، فإن البناء الإنساني في الإسلام يقوم على أساس الأخلاق، كما يوضح الرسول الكريم أهمية العنصر الأخلاقي في بناء الحياة والشخصية وبيان فلسفة بعثته المباركة بقوله ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ولا يخفى أن أمهات العلوم الإسلامية - كما ورد في الحديث النبوي الشريف: إنما العلم ثلاث: آية محكمة وفريضة عادلة وسنة قائمة - إنما هي: علم الكلام (العقائد)، وعلم الفقه وعلم الأخلاق، وهذه العلوم هي منطلقات تكوّن المجتمع الإسلامي (حكومةً وشعباً) بما فيه من السلطات: القانونية والتنفيذية والقضائية، والتي يطلق على الجميع في تعقلها النظري بالمفاهيم الإسلامية.

دور الأخلاق الحسنة في حياة المسلم :

الإسلام دين المحاسن والأخلاق الطيبة، فإن الأخلاق الفاضلة تشكل

الركن الأساس في بناء الشخصية الإسلامية وتنظيم المجتمع، وهي مصدر سعادة الإنسان واستقامة شخصيته وبناء الإنسان السوي السلوك والنزعة. لذا كانت التربية الأخلاقية من أهم عناصر التربية الإنسانية التي اعتنى بها الإسلام وأكد الاهتمام بها.

ونستطيع أن نعرف قيمة الأخلاق في الإسلام من ثناء الله على نبيه الكريم ﷺ عندما وصفه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١). وكان خلقه القرآن الكريم، فهو القرآن الناطق.

ومن قوله ﷺ: «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا».

وكما يقترن كمال الإيمان والسعادة النفسية في عالم الدنيا بحسن الخلق تقترن المعاناة النفسية وعذاب الضمير بسوء الخلق أيضاً. لذا يحذر رسول الله ﷺ بقوله: «من ساء خلقه فقد عذب نفسه».

إن هذا الحديث الشريف يشرح لنا العلاقة بين التكوين الداخلي للإنسان وبين السعادة والشقاء اللذين يحيطان بالإنسان، فالشخص الأحق سريع الغضب والحسود والحقود والأناني والساخط يعاني من مرارة هذا السلوك ومردوداته، ويضرب نفسه أكثر من غيره، وبهذا يُحوّل حياته إلى شقاء وعذاب نفسي وقلق دائم وحياة مضطربة.

من ذلك نعرف أن قيمة الشخصية في الإسلام وسر السعادة في الحياة مرتبطان بمستوى ما يتمتع به الإنسان من أخلاق سامية ونزعات نفسية سوية وصالحة، والتربية الأخلاقية تعنى ببناء المحتوى الداخلي والخارجي للإنسان على أساس الفضيلة والقيم الإنسانية من الصدق والرحمة والعدل والأمانة والمحبة

١٠ اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية

والإيثار والثقة بالنفس والجِدَّ في العمل... لتكوين الملكات الخيرة والنزعات الإنسانية الفاضلة التي توجه سلوكه نحو الخير والاستقامة وتتفاعل مع قيم الحق والفضيلة.

وهنا ولكي يتضح الأمر أكثر فأكثر، نتحدّث عن جانبين :

الجانب الأول : أن البيئة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية المختلفة والتفاعل والتعامل الإنساني القائم بين الأفراد والأجواء التي تحتضن الشخص وتؤثر على أدوار نموه وتكامله الأخلاقي والعقائدي والفكري والعرفي، تتلخّص بالمجالات التالية :

المستوى الأول - الأسرة : تعتبر الأسرة هي المحيط الأوّل الذي يحتضن الشخص حيث ينمو ويتعرّع في أوساطها ويتأثر بأخلاقها ويكتسب نبذة من عقائدها وأفكارها. ولهذا ورد في الحديث الشريف : كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى والديه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

وبهذا يكتسب كذلك صفاته وعاداته وتقاليده سواء كان ذلك بالقُدوة أو الخبرة. والسلوك العملي الذي يعامل به أو بما يسمعه أو يشاهده أو يستوحيه من ظروف أسرته... فللعائلة وبصورة خاصّة السلوك الأبوي الأثر الكبير في صنع مستقبل الفرد ومكانته، فالعائلة إذا كانت طيبة النفس مؤمنة الأخلاق صحيحة وسليمة العقائد تزرع روح الثقة بنفسه، وتعدّه لأن يكون إنساناً ذا شخصية قوية يملك روح العزيمة وتنفجر في نفسه ينابيع العبقريّة والخير والإحسان.

المستوى الثاني - المجتمع : يعتبر المجتمع هو المحيط الثاني للفرد حيث يحتضنه بعد أبويه وأسرته، ويشيع في روحه وينقل إليه عاداته ومفاهيمه وسلوكه وعقائده وأخلاقه.

المجتمع هو ملقّي ما يعمله وينتجه الأفراد المعاصرون من أفكار وعادات

وتقاليد وأخلاق.

والفرد المسلم في المجتمع الإسلامي يجد البيئة الصالحة لنموه ونشأته واستقامة شخصيته فيقوم بتوفير الأجواء اللازمة لنمو الشخصية الإسلامية اجتماعياً.

المستوى الثالث - المدرسة : والمدرسة تعتبر الحاضنة الثالثة بعد البيت والمجتمع الذي يحتضن الفرد ويؤثر في تكوين شخصيته وصياغة فكره وسلوكه وعقائده. وهنا أربعة عوامل أو عناصر أساسية في إخراج الأثر المدرسي إلى حيز الوجود، وهي : (المعلم - المنهج - المحيط الطلابي - والنظام والنشاطات والمظاهر المدرسية)، والشرح لهذه العناصر يفتقر إلى دراسة عميقة ومفصلة نعرض عنها طلباً للاختصار.

المستوى الرابع - الدولة : صارت علاقة الإنسان بالدولة علاقة حيوية، فما من مجال من مجالات الحياة إلا والدولة أثر أو علاقة به بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مثلاً إن الدولة الإسلامية هي دولة عقيدية فكرية لها خط فكري متميز المعالم، وفلسفة حياتية مستقلة، لذا فهي مسؤولة عن توجيه التربية والتخطيط لكل عناصرها وأجهزتها.

هذه هي نظرة إجمالية للجانب الأول.

الجانب الثاني : توجد مجموعة من الأسس الأخلاقية والتي منها :

المقصد الأول - التربية العبادية والإيمانية : يتحدث القرآن الكريم في العديد من آياته عن علاقة الموجودات العبادية بالله سبحانه. والارتباط العبودي بينه وبين الخلائق كلها، ويقرّر القرآن هذا المبدأ، مبدأ العبادات والتسبيح والصلاة في العوالم كلها، فيقول :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ

١٢ اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية

عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٧﴾.

ويؤكد القرآن في موارد أخرى أن العبادة هي غاية الخلق وسرّ الوجود البشري فيقول :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢١).

إلا أن هذه العبادة التكوينية والتشريعية يتقدمها العلم والرحمة الإلهية كما هو مذكور في محله.

المقصد الثاني - التربية القرآنية : القرآن هو الرسالة الإلهية الخالدة ومستودع الفكر والوعي ومنهج الاستقامة والهداية ومقياس النقاء والأصالة، القرآن يعمل على بناء شخصيته بناءً إيمانياً ويربّي في نفسه قيم الأخلاق والسلوك المستقيم. ويشكل شخصيته وطريقة تفكيره تشكيلاً يتسم بالنقاء والأصالة كما يمنحه الفصاحة وحسن الخلق وسلامة المنطق، ويزوّده بالوعي والمعرفة.

المقصد الثالث - التربية البدنية : إن التربية السليمة هي التربية التي تراعي التكوين الإنساني بعناصره المادية والجسمانية والعقلية والنفسية، وقد رفض الإسلام الرهبانية وحرمان الجسد ودعا في العديد من أحكامه وتشريعاته إلى رعايته والعناية به.

المقصد الرابع - التربية الاجتماعية : الإنسان كائن اجتماعي مفطور على الحياة الاجتماعية، فهو يحمل في أعماق نفسه غريزة حبّ الاجتماع والعيش ضمن الجماعة، وجاءت الرسالة الإلهية لبناء الفرد والمجتمع والموازنة بين حقوق الفرد والمجتمع، فإنه يشرع صلاة الليل في جوف الليل الدامس منفرداً يخلو بربه

(١) النور : ٥١.

(٢) الذاريات : ٥٦.

مناجياً، كما يشرع صلاة الجماعة والجمعة.

واهتمّ الإسلام بتكوين البيئة الاجتماعية الصالحة وأوجب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإصلاح الوضع الاجتماعي بقوله تعالى :

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

المقصد الخامس - التربية الاقتصادية : يشكّل الاقتصاد الركن الأساس في بناء المجتمع المسلم الأخلاقي والعقائدي وتطويره وتنمية قابلياته، وللتربية الأخلاقية علاقة وثيقة باقتصاد الأمة وبالتنمية الاقتصادية، كما لها علاقة بالتنمية الاجتماعية والبشرية. لذا فقد أدخل الإسلام في منهاجه التربوي كيفية تربية الإنسان وتنظيم علاقته بالمال والثروة، فالقرآن مثلاً حثّ على العمل والإنتاج بقوله :

﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٢)

وحرمّ الاحتكار والربا واكتناز المال ليتحرك ويحرك الحياة الاقتصادية ومجالات التنمية الاجتماعية كافة، فقال تعالى :

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٣)

هذه خمسة نماذج، وتوجد نماذج أخرى نعرض عن ذكرها طلباً للإيجاز. فالإسلام دين ودولة، علم وعمل، عقائد وأخلاق... وإنه يعلو ولا يعلى عليه.

(١) آل عمران : ١٠٤.

(٢) الملك : ١٥.

(٣) البقرة : ٢٧٥.

بشائر النصر :

أجل : إن أعلام بشائر النصر الإلهي الذي وعد الله عباده بقوله تعالى :

﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

الْوَارِثِينَ ﴾ (١)

ترترف على المعمورة في ربوع البلاد الإسلامية لتسود العالم، شاء الأعداء
والعملاء أم أبوا.

فإن أعداء الإسلام وأعداء البشرية -أمريكا الشيطان الأكبر- وأذنبها
الذين هالهم وأفزعهم انتصار الإسلام بثورته في إيران الإسلامية، وعوده إلى
الحياة مرة أخرى، لا زالوا وبضراوة وشراسة يعملون على عرقلة مسيرة الإسلام
وتطور المسلمين ووعيمهم، بكل وسائلهم الحربية، من الغزو الثقافي والسياسي
والاقتصادي والهجوم العسكري، فهم وإن كثرُوا عن أنيابهم الدموية - وعرفتهم
الشعوب المضطهدة - وأبرزوا عدائهم السافر عبر الحرب المفروضة على إيران
الإسلام، واستنفروا قواهم وعملاءهم في المنطقة كصدّام القذّر لحمل السلاح في
وجه الإسلام والصحة الإسلامية المنطلقة من ثورة الإمام والأمة المسلمة
والمؤمنة، إلا أنّهم لم يغفلوا - لا سيّما بعد فشلهم في الحرب المفروضة - عن
مواصلة الحروب النفسية والثقافية في التشويه والكذب والافتراء المتعمّد على
الإسلام ومثله القيّمة وآراءه الرائدة، لهذا يلزم على كلّ مسلم ومسلمة أن يحملا
غيرة الإسلام والقرآن الكريم بالوقوف أمامهم والتصدي لمخطّطاتهم، ومن موضع
الفكر والعقيدة والقلم والدم بعرض المفاهيم الإسلامية وتسليح الأمة بهذه المفاهيم
المستوحاة من القرآن والسنة، وتسهيل مواردها للبشرية كافّة.

دعوة الحق :

وكان بحمد الله استجابة مباركة لدعوة الحق من علماء الأمة الإسلامية
ومتقفيها الرساليين ...

ومن أولئك الأفاضل أخي المرحوم حجة الإسلام السيد عامر العلوي،
أسكنه الله فسيح جنانه، وأنزل على رmse شآبيب رحمته.

فإنه رحمة الله ولد سنة ١٣٣٧ هـ ش، واستشهد سنة ١٣٥٧ هـ ش ٢٢ بهمن، في
عنفوان شبابه.

كان من أهل العلم ومن الشباب المتحمس، قد سجن في أواخر أيام شاه
إيران البهلوي المقبور، وأدمي جسده، وكانت الأسرة تحتفظ بقميصه الملطخ بدمه
الزكي.

وفي إبان انتصار الثورة الإسلامية أطلق سراحه مع مجموعة من إخوته في
الجهاد.

في ليلة انتصار الثورة الإسلامية في إيران (٢٢ بهمن ١٣٥٧ هـ ش) أراد أن
يشارك في المظاهرات المليونية الثائرة في طهران عاصمة إيران، إلا أن الوالدة
الحنونة الصابرة - جزاها الله خيراً - طلبت منه أن يذهب بإخوته الصغار إلى
مسجد جمكران - جامع صاحب الزمان عليه السلام - وكان - آنذاك - عصر الجمعة،
ليدعو بانتصار الإمام الخميني مؤيد والثورة الإسلامية، فإن الدعاء سلاح المؤمن
ومفتاح كل صلاح. فذهب في سيارته الصغيرة ومعه أخي الصغير السيد عقيل
وكان عمره (١٥ سنة) دخل الحوزة العلمية تَوّاً، ومعهما أختي السيدة بنت العلي
العلوي صاحبة كتاب (بيرامون زن = حول المرأة) باللغة الفارسية وهو مطبوع،
وكان عمرها (١٦ سنة) وأختي الأخرى بنت الإيمان العلوي وكان عمرها (١٢
سنة).

وبتقرب المسجد في أول الليل في حادث اصطدام فاضت أرواحهم الطاهرة، ورجعت إلى ربهم الكريم راضية مرضية، وما أعظم المصيبة في تلك الليلة العصيبة حيث تفقد الأسرة أربعة من شبانها، فإننا لله وإننا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان والدي العلامة آية الله السيد علي العلوي رحمته يعتقد - باعتبار القرائن الحالية والمقالية - إن حادث السيارة كانت خطة مدبرة من قبل السافاك البهلوي حيث كان أخي ملاحقاً من قبلهم.

كان رحمته يدرس الرسائل والمكاسب، وقد تزياً بزَيِّ أهل العلم، وعرف بأخلاقه الرفيعة وحنانه وخدمته للناس وعبادته، وقد حضر عندي : مختصر المعاني ومنطق مظفر وحاشية ملاً عبد الله واللمعة الدمشقية مع زميله في الدرس فضيلة حجة الإسلام السيد علي رضا التكيه اي دام عزّه، كما كان من طلاب مدرسة آية الله العظمى السيد الكلبيكاني رحمته.

ورأيت في مجموع ما خلف بعض الكتابات في العقائد والأخلاق، فإحياءً لذكراه ولمجهوده الثقافي، وليكون من العلم الذي ينتفع به الناس بعد موته، ليذكروه بالخير والرحمة ولسان صدق في الآخرين، عزمت على تهذيبه وترتيبه وإلحاق بعض الإضافات عليه، ثم طبعه ونشره.

وها هو بين يديك الكريمتين، أرجو التبول والدعاء.
وما توفيقنا إلا بالله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العبد
عادل العلوي

١٤٢٢

الفتاوى الإسلامية

قراءة موعزة عن أصول الدين والأخلاق الإسلامية

بقلم

مجتبة الإسلام المصوم

السيد عامر العلوي

إشراف

السيد عادل العلوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



العلوي، السيد عامر، ١٩٥٩ -

المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق / تأليف السيد عامر العلوي؛ إشراف السيد عادل العلوي.

— قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢٢ ق. — ٢٠٠١ م. = ١٣٨٠.

١١٢ ص. — موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دور ١) · ISBN 964 - 5915 - 53 - 8

فهرستونویسی بر اساس اطلاعات قبلی.

عربی

کتابخانه به صورت زیر نویس

١. تبعید — اصول دین، ٢. اخلاق اسلامی، الف. عنوی، عادل، ١٩٥٥ — ب. مؤسسه اسلامی جهانی

تبلیغ و ارشاد، ج. عنون

٢٩٧ / ٤١٧٢

BP ٢١١ / ٥ / ٤٧ م

کتابخانه ملی ایران

م ٩٣٥٤ — ٨٠ م

محل نگهداری

موسوعة رسالات إسلامية

کتاب

المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

تأليف - السيد عامر العلوي

إشراف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

الطبعة الأولى - ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥ م

التنضيد والإخراج الكومبيوترى - حكمت، قم

المطبعة - النهضة، قم

الكمية - ٥٠٠ نسخة

ISBN 964 - 5915 - 53 - 8

شابك ٨ - ٥٣ - ٥٩١٥ - ٩٦٥

EAN 9789645915535

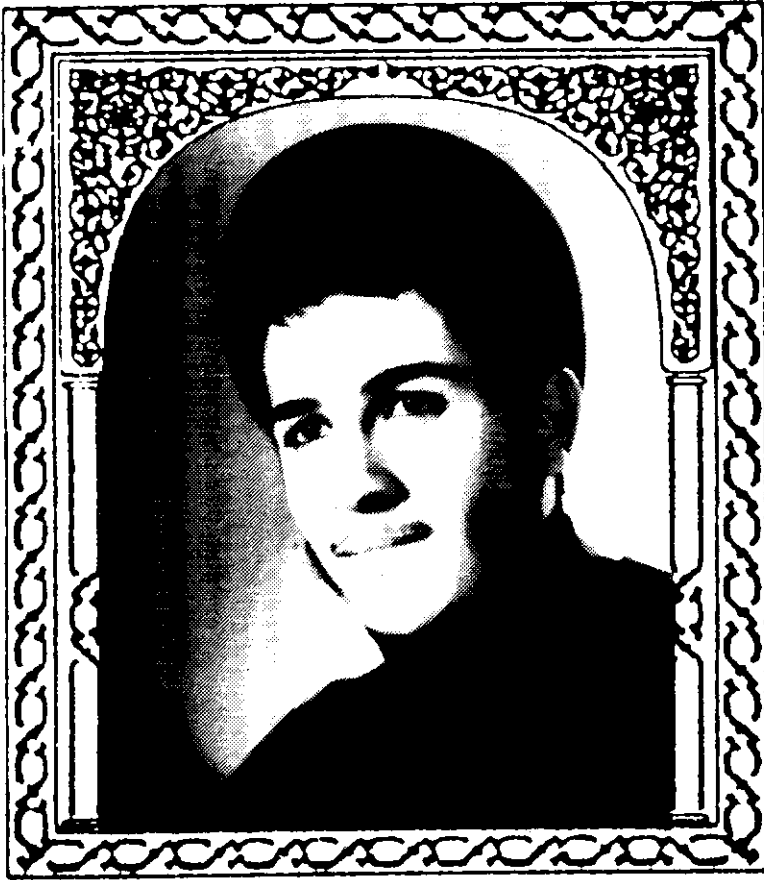
ای. ای. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٥٣٥

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك ٨ - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٥ (دور ١٠٠ جلد)

الفهارس الإسلامية

قراءة مُجمّعة عن أصول الدين والأخلاق الإسلامية



المرحوم حجّة الإسلام السيّد عامر العلوي رحمته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

مقدمة

ما هي المفاهيم الإسلامية ؟

المفهوم في المصطلح المنطقي ما يقابل المصداق الخارجي ، فالمفهوم يكون من المعنى ، وإثته من التصورات الذهنية التي تحكي عن المعلوم الخارجي والذي يسمّى بالمصداق ، فزيد في الخارج مصداق وعندما يتصوره الإنسان في الذهن يكون مفهوماً ، فالمفهوم محطّه الذهن كما أنّ المصداق محلّه الخارج . والمفاهيم إنّما هي وجودات ذهنيّة ، كما أنّ المصاديق وجودات خارجيّة .

وأما توصيف المفاهيم بالإسلامية بمعنى أنّ المفاهيم التي ننظر إليها وتعلّقها باعتبار ما جاء حكمها وبيانها في الإسلام ، وباعتبار الثقافة الإسلامية المتبلورة في مصدر الإسلام وهو القرآن الكريم والسنة الشريفة ، أي قول المعصوم عليه السلام وهو النبيّ والإمام المعصوم وفعله وتقريره .

ويقصد من المفاهيم الإسلامية تارةً الموضوعات الأخلاقية أو العقائدية أو الفقهية العملية التي تطرح في الإسلام ، أعمّ من أن تكون فردية أو اجتماعية . وموضوع المفاهيم الإسلامية هو المكلف المسلم - الرجل أو المرأة - وذلك من حيث وظائفه الإسلامية في العقائد والفقه والأخلاق وغير ذلك ، وعلى الصعيدين الفردي والاجتماعي ، وتارةً يقصد من المفاهيم الإسلامية خصوص

٤ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

الأخلاقيات الواردة في الإسلام، وحينئذٍ ربما يكون فرقاً بين الفقه وبين المفاهيم الإسلامية مثلاً، فإن موضوع الفقه هو أفعال المكلفين باعتبار التكاليف الشرعية من الواجبات والمحرمات، وبالتبع يبحث عن المستحبات والمكروهات، ولكن موضوع المفاهيم الإسلامية بالمعنى الأخص سيكون هو صفات الإنسان أو قل الآداب والأخلاق أو السنن والمستحبات، فيبحث أولاً عن المندوبات والمستحبات وكذلك المكروهات والصفات الذميمة، ثم يبحث عن الواجبات تبعاً وضمناً، وربما المفاهيم الإسلامية تشمل موضوعات أوسع من الأخلاق، وبهذا يمتاز عن علم الأخلاق.

ثم الإسلام دين الله القويم الذي رضي الله لنا ديناً، ومن يبتغي غيره فلن يقبل منه، قد هدب أمته بمفاهيم قيمة توجب سعادة الدارين، وحرّض معنقيه على العلم والعمل، فإن الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه، وإنما يعلو بأمرته، بالمسلمين الواعين والكاملين، فأمر كل مسلم ومسلمة بطلب العلم، وأنه فريضة واجبة عليهما، ولا بد من تحصيل وتعلّم المسائل التي يتلى بها، لا بد في الدرجة الأولى من العلم بأصول دينه ثم بفروعه، وبما يتعلق بتكاليف الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات - عبادية - وأخلاقية واقتصادية وسياسية وغيرها - فكل واحد عليه أن يتعظ بموعظة الله سبحانه، أن يقوم لله فرداً أو مثني، وجمعاً، ويتعلّم ما يتعلق بالفضائل والمكارم والأخلاق الطيبة، فإن نبيّه ﷺ بعث ليتّم له مكارم الأخلاق. ثم يتعلّم ما يتعلق بسلامته وصحته، وبسلامة المجتمع.

وقد قسم الإسلام الحكم في تعلّم المسلم لهذه العلوم إلى أقسام ثلاثة :

١- واجب عيني .

٢- واجب كفائي .

ما هي المفاهيم الإسلامية ؟ 5

٣- مندوب .

فالواجب العيني منها : ما يتعلّق أولاً بأصول الدين من معرفة الله وإثبات الصانع وأفعاله ، ومنها العدل الإلهي والنبوة والإمامة والمعاد يوم القيامة ، وكلّ هذا بالاجتهاد والدليل والبرهان القاطع .

وثانياً : ما يتعلّق بالواجبات العينية في العبادات والمعاملات التي يبتهل بها ، وهي كثيرة ، اعتاد العلماء على ذكر عشرة منها تسمى (فروع الدين) كالصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولّي والتبرّي .

وثالثاً : ما تعلّق بتعلّم الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلّتها التفصيلية لمن كان أهلاً ، وفيه الاستعداد والقابلية ليسدّ حاجة الأمة ، ويكون مرجعاً وفقهاً جامعاً للشرائط في الفتوى والتقليد .

والواجب الكفائي منها : تعلّم ما يسدّ حاجات المجتمع الفردية والاجتماعية من الصناعات والمهن والحرف والفنون وضروب الأعمال المباحة .
والمندوب منها : علوم الأخلاق الإسلامية .

ولا بدّ لنا من درك المفاهيم الإسلامية بشعبها وأقسامها دركاً صحيحاً ، لا يشوبه الخرافات والأوهام والانحراف والتشكيك والضلال .

وهذا إنّما يتمّ برجعنا إلى الثقلين اللذين خلفهما لنا رسول الله ﷺ ، أعني : الكتاب الكريم والعترة الطاهرة عليهما السلام .

كما تواتر عند الفريقين السنة والشيعه أنّ الرسول الأعظم محمد ﷺ قال في مواطن كثيرة : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلّوا بعدي أبداً ما إن تمسّكتم بهما ، وإتھما لن يفرقا حتّى يردا عليّ الحوض» .

٦ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

فهلّمّ لتكون على موائد كتاب الله وسنة رسوله ومنهاج عترته الطاهرين عليهم صلوات الله أجمعين .

وما توفيقنا إلا بالله، فعليه نتوكل وإياه نعبد ونستعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مفهوم الدين في الإسلام

الدين لغةً مشتقٌّ من دان يدين بمعنى اعتقد والتزم وتعهّد، ومنه الدّين -بفتح الدال- أي ما يلتزم ويتعهّد به الشخص في ذمّته، وفي الخبر والمثل (كما تُدين تُدان).

ويجري هذا المعنى في الدين الإلهي، فإنّه بمعنى ما يلتزم ويتعهّد به الشخص في ذمّته من القوانين والداستير التي شرّعها الله له، والدين الذي جاء به الأنبياء جميعاً من آدم إلى الخاتم (١٢٤ ألف نبي) إنّما هو الإسلام بمعنى التسليم لله سبحانه، فقال عزّ من قائل :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾^(١).

ثمّ جعل لكلّ نبيّ منهجة وشرعاً، واختار اسم الإسلام لخاتم الأديان والملة ورضيه للناس كافةً ديناً قيماً، ومن يتنغي غيره فلن يقبل منه :

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾^(٢).

(١) آل عمران : ١٩ .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

فالإسلام بالمعنى الأخص هو دين الله المرضي، وهو دين العقل والفتوة، فإنه في آيات قرآنه الكريم وأحاديث نبيه الأعظم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام يكرّر دائماً توجيه الخطاب إلى العقل السليم والفتوة السليمة في الإنسان، كما ينهيه على التفكر والتعلّل.

ولكن ليس معنى هذا أن الإسلام مجموعة مفاهيم وعقائد وأنظمة وقوانين عرضت على الإنسان ليقتل منها ما شاء أو رآه عقله حسناً صحيحاً مقبولاً، وأما ما خالف فلا يخضع له ولا يدين ويلتزم به، ولا يعمل على طبقه ومنهاجه... فإنّ هذا يخالف معنى الدين كما ذكرنا، بل يلزم أن يكفر ببعض ويؤمن ببعض. وهذا من الكفر، وليس من الدين والإسلام. فما يأمر فيه الإسلام بالتعلّل والتدبر إنّما هو في أصول العقائد، فإذا ثبت عليه بالدليل والبرهان القاطع وجود الله جلّ جلاله وبعثة الأنبياء والرسل وإنزال الكتب والصحف والشرائع المجيدة من قبل الله عزّ وجلّ، وجب عليه بعد ذلك أن يدين ويتعهد ويلتزم بالعمل بكلّ ما ورد فيه، وثبت لديه، من الطرق الصحيحة الثابتة من شريعة وعقيدة ونظام في كلّ أبعاد الحياة وحقوقه، في العبادات والمعاملات والسياسات والعاديات، فإنّ هذا هو معنى الدين، وبدونه لا يتحقّق للدين من معنى.

والدين الإسلامي بصفته نظام شامل كامل من الله سبحانه وإنه صالح وعادل أنزله الله سبحانه ليدين به الإنسان ويسعد في الدارين - الدنيا والآخرة - فعليه أن يفرض نفسه على البشرية؛ إذ الإسلام يرى نفسه هو النظام الكامل والصالح للإنسان وأما غيره من الأنظمة والمبادئ فإنّها فاسدة وضالّة وظالمة، وإنه من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون الفاسقون.

وإذ خير الإسلام البشريين قبوله وردّه يعني خيره بين الصالح والفساد

٨ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

وهذا لا يكون من الله الحكيم العليم. فكيف يشرع الإسلام لخلقه ثم يخيّرهم بينه وبين غيره؟! وهل هذا إلا من التخيير بين الحقّ والباطل؟ بين الخير والشرّ؟ بين الطالح والصالح؟ بين الفضائل والردائل؟ وهل يرضى العقل والعقلاء بذلك؟ ما لكم كيف تحكمون.

وعليه نستخلص في النتيجة الصحيحة أنّه على الله سبحانه من باب (كتب على نفسه الرحمة) أن يعين الدين الصالح والكامل للبشرية، ثم يفرض عليه اختياره ولا يخيّره بعدئذٍ فيما يشاء، لأنّ ذلك يخالف عدل الله، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ومن هذا المنطلق جاء في قوله سبحانه:

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(١).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٢).

إشكال وجواب:

ربما يتبادر إلى الذهن أن الإنسان حينئذٍ ليس مختاراً، فيلزم انتفاء الاختيار عنه وسلب حرّية الإنسان، كما أنّه سبحانه يقول: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾^(٣)، وفي سورة (الكافرون): ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾^(٤)، فكيف نجمع

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) البقرة: ١٣٢.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

بين القولين ؟

الجواب :

إنَّ الله خلق الإنسان مختاراً كما نعتقد، وإنَّه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، إلاَّ أنَّه هداه السبيل بإرسال الأنبياء والرسل وإنزال الصحف والكتب وأتمَّ الحجَّة عليه ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾^(٥)، أنَّه لم يرضَ للإنسان ديناً غير الإسلام، وإنَّه من يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، فأنت مختار في اختيار الدين قبل الدخول في الدين، ولا إكراه في الدين لأنَّه قد تبين الرشد وعرف الحقَّ بالدلائل الواضحات والبراهين الساطعات، فلا إكراه في الدين، ولكنَّ الله سبحانه لا يرضى لك ديناً إلاَّ الإسلام، فإمَّا أن تكون مؤمناً به وشاكراً، وإمَّا أن يكفر الإنسان ويضلَّ الطريق ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾^(٦)، فالاختيار قبل الانتخاب وبعده يبقى أصل الاختيار، ولكن لو ارتدَّ عن دينه، فإنَّه يقتل، لأنَّ ارتداده يوجب الفساد في المجتمع، ولا بدَّ من قطع جذور الفساد والضلال، ولهذا يقتل المرتدَّ الفطري، ويستتاب المرتدَّ الملِّي لثلاثة أيام فإن تاب فهو وإلَّا فيقتل، كما هو مذكور في الكتب الفقهيَّة.

كما أنَّ قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾^(٧) منسوخ بقوله تعالى : ﴿ أُذِنَ

(٤) الكافرون : ٦.

(٥) الأنعام : ١٤٩.

(٦) الدهر : ٣.

(٧) البقرة : ٢٥٦.

١٠ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿١١﴾، وقوله تعالى :
﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ (١٢)، وقوله تعالى : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
تَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ (١٣)، فإن هذه الآيات الكريمة ناسخة لتلك الآية الشريفة .

إذن : لا يصح الاستدلال بالآيات السابقة على سماح الإسلام للإنسان في
اختيار الأديان والمبادئ غير الإسلامية، فمن اختار الشيوعية أو الرأسمالية أو
أي نظام اقتصادي أو سياسي آخر، فإنه انحرف عن الإسلام ولزمه الكفر
والفسوق، وإنه حكم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالى، فتدبر .

(١) الحج : ٣٩ .

(٢) التوبة : ٣٦ .

(٣) البقرة : ١٩١ .

القسم الأوّل

الكلام في عقائد الإسلام

الكلام في أصول عقائد الإسلام

التوحيد

لقد انبعت رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله بالنبوة في مكة المكرمة، فقام
بنادي بالناس يا قوم: ﴿ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا ﴾، فكانت هذه الكلمة - كلمة
التوحيد والإخلاص - أساس نبوته ودعوته.

إذن، فأساس دين الإسلام هو الدعوة إلى الاعتقاد بوجود إله واحد أحد
صمد، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ
من الذلِّ، وكبَّره تكبيراً، خالق لجميع المخلوقات، وليس لها خالق سواه.

وإنَّ الأدلة العقلية والبراهين الساطعة والقطرة السليمة، كلُّها تدعو وتثبت
الصانع الأوَّل جلَّ جلاله: ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١)، وإنَّ
الطرق لمعرفة وإثباته بعدد أنفاس الخلائق، إذ كلُّ واحد بعقله وبرهانه يثبت
خالق الكون الرحب الواسع ومبدعه ومدبِّره، فإنَّه علَّة العلل وإليه تنتهي العلل
والمعاليل، والطرق إلى الله وإن كانت كثيرة إلا أنَّ أمهاتها ربما تعدُّ بالأصابع كدليل
الحدوث للمتكلِّمين، أو دليل العلة والمعلول للفلاسفة والحكماء، أو دليل الجسم

(١) إبراهيم: ١٠.

١٤ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

للتطبيعين، أو توحيد الصديقين، أو توحيد الفطرة، وكلها تنتهي إلى الدور والتسلسل وبطلانها، كما هو ثابت في محله في علم الكلام.

فيقال مثلاً: إن لنا موجوداً بالبداهة، ولا بد لهذا الموجود إما أن يكون قائماً بنفسه وذاته، فثبت المطلوب أو يتوقف في وجوده على موجود آخر، فإن كان الأول فيلزم الدور المصرّح وهو باطل لتوقف الشيء على نفسه، أو يتوقف على موجود ثالث، فإن كان يتوقف على الأول فهذا دور مظمر بواسطة وهو باطل، وإن كان يتوقف إلى ما لا نهاية، فإنه يلزم التسلسل الفعلي وهو باطل، لدليل التطابق وغيره كما هو ثابت في محله، كما هناك بيان آخر باعتبار تقسيم مفهوم الوجود إلى واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته وممتنع الوجود لذاته، لا نتعرض له طلباً للاختصار.

فثبت أنّ المخلوقات الممكنة التي تفتقر في وجودها وبقيائها إلى علّة موجدة تكون هي علّة العلل، وإنّ الكمال المطلق ومطلق الكمال، الغني بالذات وفي الذات، المستجمع لجميع صفات الكمال من الجمال والجلال، وهو الخالق والصانع الموجد لكل ما سواه، وهو الله جلّ جلاله.

صفات الله جلّ جلاله :

يتّصف الله سبحانه وتعالى في العقيدة الإسلامية بأوصاف تنقسم إلى أصناف :

١ - الأوصاف الثبوتية، وهي تنقسم إلى ذاتية، أي إنها عين الذات كالعلم والقدرة والحياة، وصفات فعلية كالخالقية والرازقية.

٢ - الصفات السلبية، بأنه غير جسم ولا يرى بالبصر ولا يحلّ في شيء

وليس بمعاني وغير ذلك، وقد تسمى الأوصاف الثبوتية بالأوصاف الجمالية، فإنها تشير إلى جمال الله عزّ وجلّ، فإنّه جميل ويحبّ الجمال. وتسمى الأوصاف السلبية بالأوصاف الجلالية، لأنّه يجلّ في ذاته أن يتّصف بها، لأنها تدلّ على الاحتياج والافتقار، والاحتياج آية الإمكان والممكن، والله سبحانه واجب الوجود لذاته، وإِنَّه الغنيّ الحميد، فيجلّ عن أن يتّصف بأوصاف مخلوقاته من الجسمية أو الرؤية البصرية أو غير ذلك.

ومعنى هذه التسمية (أوصاف الجمال) أنّ الأوصاف الثبوتية هي جمال وكمال الله، وهو الذات المستجمع لجميع الكمالات. وإنّ الأوصاف السلبية هي صفات يجلّ الله ويتنزّه أن يتّصف بها (سبحان الله) فهو أجلّ من أن يتّصف بهذه الأوصاف وبأوصاف مخلوقاته، ولذلك فهي أوصاف سلبت عن الله جلالاً له، فإنّه الذات المنزّه عن جميع صفات النقص والردائل والاحتياج.

فالله سبحانه في العقيدة الإسلامية هو الذات المستجمع لجميع الكمالات والمنزّه عن جميع صفات النقص والردائل، وهذا يعني أنّه يتّصف بصفات ثبوتية وصفات سلبية.

أمّا الصفات الثبوتية فهي عند المشهور من علمائنا الأعلام ثمانية :

١- الحياة.

٢- القدرة.

٣- العلم.

٤- الإرادة.

٥- الإدراك.

٦- القدم.

١٦ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

٧- التكلم.

٨- الصدق.

فالله عزّ وجلّ : حيّ قادر عالم مرید مدرك قديم متكلم صادق .
وأما الصفات السلبية التي لا يتّصف بها الله تبارك وتعالى ويتنزّه عن أن يتّصف بها، وبذلك يكون منزّهاً عن صفات النقص فهي سبعة :

١- نفي الشريك عنه .

٢- نفي التركيب فيه ، فهو واحد وأحد ، أي لا ثاني ولا ندّ ولا ضدّ ولا مثيل له ، كما لا تركيب فيه ، فالواحدية إشارة إلى نفي الشريك ، ومقام الأحديّة إشارة إلى نفي التركيب .

٣- نفي الجسمية له .

٤- نفي المحلّ له .

٥- نفي رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة .

٦- نفي النقص فيه .

٧- نفي الحلول عنه كحلوله في جسم القطب أو عيسى بن مريم أو الإمام

عليّ عليه السلام .

الصفات الثبوتية :

١- الحياة :

أما صفة الحياة في الله سبحانه ، فإنّها تعني أنّ الله تبارك وتعالى حيّ ، ولكن لا بمعنى أنّه كان وليست له حياة ، ثمّ اتّصف بالحياة ، بل معناه أنّ الله تبارك وتعالى كان ولم يزل ولا يزال متّصفاً بالحياة دائماً وأبداً وسرمداً .

ودليله : أنه لما كان عالماً وقادراً فيلزم أن يكون حياً، فإن كل من كان قادراً وعالماً فهو حيّ .

٢- العلم :

وأما صفة العلم ، فإنه يعلم بكلّ المعلومات وبكلّ مخلوقاته بعلم حضوري ، فلا يخفى عليه شيء ، وإنه يعلم السرّ وما أخفى ، وإنه فعل الأفعال المحكمة والمنظمة من الذرّات وإلى المجرّات ، وكلّ من كان كذلك فهو عالم ، وإنه المجرّد ، وكلّ مجرّد عالم بذاته وبغيره ، وما سواه ممكن ، وكلّ ممكن مستند إلى الواجب لذاته إمّا ابتداءً أو بوسائط ، والعلم بالعلّة يستلزم العلم بالمعلوم كما هو ثابت في محلّه .

ثم صفة العلم تعني أنّ الله له الإحاطة العلمية بجميع الأمور ، صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها ، وليست معناه أنّه كان ولم يكن له علم ثمّ علم بالأمور الواقعة ، حتّى يلزم زيادة العلم عليه ، فيلزم تعدّد القدماء الذي يتنافى مع وحدانيّته ، فهو عالم بكلّ شيء قبل أن يقع ، وإنّ الأشياء حاضرة عنده ، فهو المحيط وما سواه محاط بعلمه وقدرته .

٣- القدرة :

وأما صفة القدرة ، فإنّ بالضرورة والبداهة نرى حدوث العالم ، فإنّها لم تكن فكانت ، فهي مسبوقه بالعدم - وهو الحدوث الزماني - أو بالغير - وهو الحدوث الذاتي - ويدلّ على ذلك تغييره ، فإنّ العالم متغيّر بالوجدان ، وكلّ متغيّر حادث ، إذ لم يكن فكان ، أو أنّه مسبوق بالغير فيلزم أن يكون العالم حادث ، وإذا كان حادثاً ، فيلزم أن يكون موجدّه قادراً ، لأنّ القدرة بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك مع قصد وعلم وإرادة ، ففعله يدلّ على قدرته ، فالمؤثّر للعالم قادر ومختار .

١٨ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

وصفة القدرة لا تعني أن الله كان ولم يكن قادراً ثم اتَّصف بالقدرة فتكون زائدة على ذاته، بل كان ولا يزال قادراً على كل شيء، وإن القدرة كالعلم والحياة هي عين ذات الله جلَّ جلاله.

٤- الإرادة :

وأما صفة الإرادة، فمعناها أن الله سبحانه مرید لكل ما وقع ويقع في جميع الكون، صغيره وكبيره، وأنه لا يقع شيء إلا بعلمه وإرادته، ولو لا إرادة الله لم يقع. ويدل على إرادته، تخصيص بعض الممكنات بالإيجاد في وقت دون وقت آخر، كخلق زيد في هذا اليوم دون أمس ودون غد، يدل على تعلق إرادته بخلقه في خصوص هذا اليوم لحكمته وعلمه. وليست زائدة على الداعي والعلم، بل هو علم خاص، وإلا لزم التسلسل أو تعدد القدماء وهما باطلان - كما هو ثابت في محله - ولم نتعرض له طلباً للاختصار.

٥- الإدراك :

وأما صفة الإدراك، فمعناها أن الله سبحانه بعد أن يريد الشيء ويحدثه في الخارج يدركه في استمرار وقوعه، فلا يستمر وقوع شيء إلا باستمرار إرادة الله التي نسميها الإدراك، ومن إدراكه علمه بمدركات الإنسان، وبهذا فهو السميع البصير، أي يعلم بمسموعاتنا ومبصراتنا، لا أن له سمع وبصر كما كان للإنسان.

٦- القدم :

وأما صفة القدم، فمعناها أن الله قديم أزلي أبدي لا أول له ولا آخر له، فهو الأول وهو الآخر، وإنه السرمدى الباقي وليس بحادث، فليس هناك زمان لم يكن الله فيه موجوداً، بل كان ولا يزال ولم يزل، لأنه واجب الوجود لذاته وكل من كان كذلك فهو القديم السرمدى.

٧- التكلم :

وأما صفة التكلم، فليس معناه أن الله يتكلم بلسان وجارحة، بل إنما يخلق الصوت في جهة خاصة فيسمعه الذي يريد الله للنبوّة أو الرسالة، ومنه الوحي ومنه القرآن ومنه الأحاديث القدسية.

وعموميّة قدرته تدلّ على ثبوت الكلام، فإنه لما كان قادراً على كلّ شيء فهو قادر على إيجاد حروف وأصوات في أجسام جمادية دالة على المراد، وأما الكلام النفساني الذي يقوله الأشاعرة فهو غير معقول، لعدم تصوّره.

٨- الصدق :

وأما صفة الصدق، فإنه عزّ وجلّ صادق وليس بكاذب، لأنّ الكذب قبيح بالضرورة، وإنه يقع نتيجة الاحتياج أو الجهل، والله ليس بمحتاج فهو القادر الغني بالذات، وإنه العالم بكلّ المقدورات والممكنات، فلا يقول ولا يتكلم إلا صدقاً وعدلاً وعلماً وحكمةً جلّ جلاله.

الصفات السلبية :

لقد ذكرنا أنها صفات يجلّ الله سبحانه أن يتّصف بها، فهو منزّه عنها، لأنها من صفات النقص والرذائل، ومرّ علينا في تعريف الله عزّ وجلّ أنّه الذات الواجب الوجود المتسجم لجميع صفات الكمال والجمال، والمنزّه عن جميع صفات النقص والرذائل، فهذه الصفات السلبية هي في الحقيقة تفسير النصف الثاني من التعريف.

وقلنا إنها سبعة كما عدّها علماء العقائد والكلام في الإسلام، وهي كما

يلي :

١- نفى التركيب :

إنه سبحانه لا تركيب فيه، فليس بمركب لا من موادّ جسمية ولا من معنوية، والتركيب تارة عقلاً كتركيب الماهية من الجنس والفصل، وأخرى خارجياً كتركيب الجسم من مادة وصورة، والتركيب لازمه الاحتياج في تحقق كلاً وتكوّنه وتركيبه إلى أجزائه، فيفتقر المركب إلى الغير، والله سبحانه واجب الوجود لذاته بذاته في ذاته، وهو الغني المطلق جلّ جلاله، فليس بمركب، كما لا مكان له .

٢- نفى الجسم والجسماني :

ليس الله جسماً، فإنّ الجسم من الجواهر وفيه الأبعاد الثلاثة، الطول والعرض والعمق، فيأخذ حيّزاً في الوجود، ويحتاج إلى مكان، والله الغنيّ فليس بجسم، وليس كمثله شيء، فليس في جهة من الجهات، فأينما تولّوا وجوهكم فثمّ وجه الله، وليس بعرض ولا جوهر ولا يجوز أن يكون في محلّ، كما ليس فيه خواصّ الجسم والجسمانيات .

٣- نفى الحوادث عنه :

ليس الله محلاً للحوادث، فإنه لو كان للزم انفعاله بغيره، والانفعال من خواصّ الممكنات، فيلزم أن يكون ممكناً، وهذا يتنافى مع غناه المطلق، كما يلزمه النقص والله منزّه عن النقص والردائل، فهو واجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال .

٤- لا يُرى بالبصر :

إنّ الله سبحانه لا يُرى بالبصر لا في الدنيا ولا في الآخرة، فيستحيل عليه الرؤية البصرية مطلقاً، خلافاً للمجسّمة والكرامية والوهائية، فلا تراه الأبصار،

إنّما تراه القلوب التي في الصدور بحقائق الإيمان، فإنّه سبحانه أحد بسيط مجرد محض، والمرئي يكون ذا جهة، والله ليس في جهة كما مرّ، فلا يرى بالبصر، فإنّ ما يرى بالبصر جسماً، والله ليس بجسم.

٥- ليس لله شريك :

إنّ الله عزّ وجلّ واحد لا شريك له، أحد لا تركيب فيه، ويدلّ عليه دليل التمانع، فلو كان في السماء والأرض إهتان لفسدتا، وعدم الفساد دليل على وحدانية الله سبحانه. كما أنّ الأنبياء دعوا الناس إلى توحيد الله عزّ وجلّ: (قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا)، ولو كان إهتان للزم الإمكان، والله واجب الوجود لذاته، فهو الواحد الأحد، وللتوحيد مراتب كاللّوحد في الذات وفي الصفات وفي العبادة وفي كلّ اسمٍ من أسمائه.

٦- نفي المعاني والأحوال عن الله :

فليس الله سبحانه قادر بقدره وعالم بعلم، كما تقوله الأشاعرة، فإنّه يلزمه تعدّد القدماء الذي يتنافى مع مقام الواحدية، كما يلزمه الكفر، فالصفات الثبوتية الذاتية أي العلم والقدره والحياة هي عين ذات الله سبحانه، إنّما الاختلاف في المفاهيم والعناوين.

ولو كان الله العالم إنّما يعلم بعلم للزم أن يحتاج إلى ذلك العلم، وهذا يتنافى مع غنائه المطلق، كما يتنافى مع كونه واجب الوجود لذاته، فإنّ الاحتياج علامة الإمكان والممكن.

٧- ليس الله محتاجاً :

فإنّه هو الغنيّ عن العالمين، ولا يحتاج إلى غيره مطلقاً، لا في ذاته ولا في صفاته، بل يفتقر كلّ شيء إليه لإمكان الأشياء والغناء الذاتي فيه عزّ وجلّ،

٢٢ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

ووجوب وجوده يقتضي استغناؤه عن الغير.

وزبدة الكلام في الصفات السلبية : أنها ترجع إلى كونه سبحانه واجب الوجود لذاته، وأنه الغني في الذات، فيسلب عنه صفات الخلق الدالة على الاحتياج والافتقار.

هذا، وما أكثر النصوص الدينية من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تدلّ على الصفات الثبوتية والصفات السلبية لم تتعرض لها طلباً للاختصار، والله المستعان.

العدل

موضوع علم الكلام هو البحث عن الله سبحانه وصفاته وأفعاله، ولازمه البحث عن النبوة والإمامة والمعاد، والأصول الثلاثة الأخيرة - أي النبوة والإمامة والمعاد - تتوقف على البحث عن فعل من أفعال الله سبحانه وهو العدل الإلهي، فإن الله سبحانه عادل لا يخلّ بواجب كما لا يظلم العباد، ولهذا أفرد بحث العدل وجعل الأصل الثاني بعد التوحيد من أصول الدين، لما يبتني عليه من المباحث الكلامية المهمة، لا سيما الأصول الثلاثة الأخرى.

والعدل في الواقع يرجع إلى الصفات الثبوتية الكمالية الجمالية، وبدونه لا يتم شيء من الأديان ولا يمكن أن يصدق نبي من الأنبياء عليهم السلام. فمن عدله أرسل الرسل وبعث الأنبياء وأنزل الكتب وأمر ونهى وأثاب وعاقب. وإن الله كتب على نفسه الرحمة، فالقول بالعدل الإلهي لا يتنافى مع الحرية الإلهية، فإنها في نطاق العدل الإلهي.

ويدلّ على العدل الإلهي الأدلة العقلية والنقلية، فإن الله يأمر بالعدل فكيف لا يكون هو عادل، وبالضرورة والوجدان وحكم الفطرة والعقل السليم نجد حسن بعض الأفعال، كشكر المنعم، وقبح بعضها الآخر، كأنظلم، فنعتقد بالحسن والقبح الذاتيين العقليين، وإلا يلزم رفع الأحكام الشرعية، فلو جوزنا صدور القبيح والظلم من الله لما بقي وثوق بوعدده ووعيده، ويلزم انحراف الناس عن الصراط المستقيم، كما يلزم من نفي العدل الإلهي تعذيب المؤمن مع إيمانه وطاعته، وإثابة الكافر مع كفره ومعاصيه، والتالي باطل فالمقدّم مثله. فليس كلّ حسن ما حسنه

٢٤ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

الشارع فقط، بل فيه ما حسّنه العقل أيضاً، وكذلك القبيح، ومن لم يقل بالعدل الإلهي - كالأشاعرة - فإنه لا يقيم للعقل وزناً في حياته، بل لا عقل له.

فإنه منزّه عن القبائح وإرادتها وإن كان قادراً عليها، فإن فعل القبيح يصدر من الجاهل والعاجز، والله العالم والقادر، وهو اللطيف بعباده.

فالظالم جدير بالمؤاخذه والعقاب، كما أن العادل جدير بالمشوية والإحسان، وقد نهى الله عن الظلم وأمر بالعدل، فكيف يرتكب الظلم، فإنه قبيح عقلاً ونقلاً، فهو العادل والعدل، جلّ جلاله، فما يصدر عن الله عن لطفه وحكمته ومطابق للعدل، ومن عدله ولطفه أوجب على نفسه أن يرسل الرسل وينزل الكتب لهداية عباده وخلقهم ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (١).

ولا يخفى أن في أصل العدل الإلهي مباحث قيّمة ومسائل كثيرة كمسألة الحسن والقبح العقليين الذاتيين ومسألة الجبر والاختيار والقضاء والقدر والهداية والضلالة والألم واللذة والأرزاق والآجال والأصلح وحقيقة اللطف والعدالة الاجتماعية وغير ذلك، لم نتعرض لها طلباً للاختصار.

ثم خلقه للمخلوقات لم يكن عبثاً ولعباً، إنما كان عن حكمة ومصصلحة وعلّة غير راجعة إليه، لغنائه، بل راجعة إلى المخلوقين أنفسهم لكاملهم وتكاملهم.

ومن الواضح المعلوم أن المخلوقين لا يعلمون بالغاية والهدف من خلقتهم، ولا يعرفون كيف يؤدّوا شكر خالقهم، إلا إذا أعلمهم وهداهم السبيل.

وحيث نفينا عن الله تعالى الخالق العليم الحكيم صفة الجسميّة، فلا يمكن حينئذٍ المباشرة لإعلام المخلوقين بنفسه، وبيان أحكامه من الأوامر والنواهي، إذ

لا تناسب بينه تعالى وبينهم، وللعلة وأسباب أخرى، وإذا لم يعلم المخلوقون بالغاية والهدف من خلقتهم، لا يتمكنون من السير والعمل للوصول إلى تلك الغاية وذلك الهدف.

إذن، فلا بد أن يبعث الله الخالق العظيم رسولاً إلى المخلوقين من أنفسهم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١)، و ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾^(٢).

و خلاصة الكلام :

إن الله واجب الوجود لذاته، فهو غني بالذات، وهو العادل ولا يظلم العباد، فلا يترك ما يجب عليه أن يفعل، فإنه هو الذي كتب عليه نفسه الرحمة، فلا يخلِّ بواجب، والله خلق الخلق لا للعب ولا عبناً، بل كان غني من خلقتهم، فخلقهم لأجلهم، وهم لا يعلمون بذلك، فلا يهتدون الطريق، فوجب على الله عز وجل هدايتهم، ولا يكون ذلك بالباشرة للاستحالة، فلا بد من رسولٍ ونبِيٍّ، ثم حفظ الرسالة بالخلافة والإمامة الحقَّة، وتعليم الناس وهدايتهم، وإنَّ الهدف من خلقهم وفلسفة حياتهم العلم والرحمة والعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣). وكيفية العبادة المطلوبة لله تعلم من خلال رسل الله وأمنائه وخلفائه في أرضه. وبهذا يلزم الإيمان بأصل ثالث من أصول الدين.

(١) الجمعة : ٢ .

(٢) طه : ١٣٤ .

(٣) الذاريات : ٥٦ .

النبوّة العامّة والخاصّة

نقصد من النبوّة العامّة هو البحث عن مطلق النبوّة من جهة لزومها وضرورتها عقلاً ونقلاً وبعض شرائط النبيّ بصورة عامّة من آدم عليه السلام إلى الخاتم عليه السلام، وأما النبوّة الخاصّة فالمقصود منها نبوّة خاتم الأنبياء محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ومعجزته الخالدة وأنه أفضل الأنبياء وسيّد المرسلين، ومعجزته الخالدة هي القرآن الكريم.

فالنبيّ: هو الإنسان المطلع على (أنباء) السماء بالمباشرة أو (الوحي) أو بـ (الرؤيا) أو بـ (إلهام خاصّ) أو بواسطة الملائكة.

والنبوّة مصدر النبيّ ومعناه وقوع الإنباء والإخبار من السماء على من يختاره الله لإرساله من قبله إلى عباده بشريعته ونهجه.

وبما أننا ذكرنا أنّ النبوّة والرسالة بين الله وعباده ممّا لا بدّ منه للإجابة على الغاية من الخلقة، فلا بدّ من النبوّة حتّى في مبدأ الخلقة (خلقة الإنسان).

فلا بدّ أن يكون الإنسان الأوّل رسولاً إلى من بعده، كما يكون هو الحجّة الكبرى في خلق الله، ولولاه لساخت الأرض بأهلها.

وقد ثبت بالآيات والروايات المتواترة، واتفق عليه أصحاب الأديان أنّ آدم صفوة الله أبو البشر هو خليفة الله الأوّل على الأرض، فهو النبيّ الأوّل.

ثمّ ورد عدد مجموع الأنبياء والرسل في عدّة من الروايات أنّه (١٢٤٠٠٠) مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، آخرهم وناسخ شرائعهم نبينا الأعظم محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

وورد في عدّة من الروايات أيضاً أنّ خمسة من هؤلاء الأنبياء (أولي عزم) ومعناه أنّهم مبعوثون بشريعة وكتاب إلى كافة أهل زمانهم، يعمّ جميع البشر في عصرهم فتكون رسالتهم عالمية في عصرهم، حتّى أتى ذو عزم آخر من ورائهم، وأمّا خاتم الأنبياء فبعد إكمال الدين، فإنّ شريعته السحاء هي لكلّ العصور إلى يوم القيامة ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾.

وأولي العزم هم: نوح وإبراهيم رموسى وعيسى ومحمّد عليهم صلوات الله أبد الآبدين، وكتاب نوح وإبراهيم (صحف) وكتاب موسى (التوراة) وكتاب عيسى (الإنجيل) وكتاب نبيّنا محمّد (القرآن الكريم) المهيمن على كلّ الكتب وهو ناسخ الكتب السماوية السابقة.

وأمة إبراهيم، قيل: الصابئة، وأمة موسى: اليهود، وأمة عيسى: النصارى، وأمة محمّد: المسلمون، وهي الأمة الباقية إلى يوم القيامة.

ولا يخفى أنّ العقل يحكم بحسن البعثة لاشتمالها على فوائد كثيرة وعظيمة لا تحصل إلّا بالنبوّة والبعثة، ويدلّ على ذلك الفطرة السليمة، فإنّها تطالب من ربّها الهداية ومعرفة الحقائق، ولا يتمّ ذلك إلّا بالوحي والنبوّة، كما يطالب الإنسان بالعدالة الاجتماعية والقسط ولا يتمّ إلّا بوحي من السماء، ولا بدّ من الإنسان الكامل من جميع الجهات ليكون القدوة والأسوة والسبب المتصل بين السماء والأرض. وبالنبوّة يتمّ اللطف الإلهي بما يقربه للطاعة ويبعدّه عن المعصية، ويؤمّنه من الخوف والاضطراب في تصرّفاته وعباداته، كما بالنبوّة يعتضد العقل في أحكامه، فإنّ العقل هو الرسول الباطني، والنبيّ هو الرسول الظاهري،

٢٨ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

وأحدهما يعاضد الآخر، وبالنبوة يحفظ النوع الإنساني، بلا بدّ أن يكون النبيّ من البشر، ليكمل البشرية، ويعلمهم نظام الحياة السليمة، ويسوقهم إلى السعادة الأبدية.

ويشترط في النبيّ: العصمة وكمال العقل والذكاء وقوّة الرأي والنزاهة عن كلّ ما ينفر عنه الطبايع من دناءة الآباء وعهر الأمّهات، وغير ذلك.

ونشترط في عصمته أن تكون من أوّل حياته إلى آخرها لعدم انقياد القلوب إلى طاعة من عهد منه في سالف عمره أنواع المعاصي، فلا بدّ أن يكون إنساناً كاملاً من جميع الجهات.

وبما أن الرسول لا يؤدّي رسالته إلا بالإخبار عن السماء، والخبر في البشر يحتمل الصدق والكذب، فلا بدّ حينئذٍ للرسول من دليل وبرهان يدلّ على صدق دعواه، وهو ما يعجز عنه سائر البشر ليستدلّ به على صدق دعوى رسالته، وهي (المعجزة)، فالنبيّ يدعي النبوة وتظهر المعجزة على يديه، وكلّ من كان كذلك فهو صادق في دعوته، فالنبيّ صادق في دعوته للنبوة والرسالة.

وقد كان لكلّ واحد من الأنبياء والرسل (معجزة)، فمعجزة موسى كليم الله، العصا واليد البيضاء، فإنّه يلقي العصا فتصبح ثعباناً عظيماً تلفف وتأكل، ثمّ تعود كما كانت على سيرتها الأولى. ويده كان يدخلها في جيبه ويخرجها، فتصبح بيضاء مشرقة، ممّا كان يعجز عنه أهل زمانه الماهرون في السحر، ولذلك صدّقوه وآمنوا به وبدعوته، فأمنت به بنو إسرائيل.

ومعجزة عيسى بن مريم: إحياء الموتى ونفخ الروح في الأشباح والأجسام والصور، فكان يصنع طيراً من الطين ثمّ ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، ويبرئ الأكمه، أي يشفي الأعمى والأصمّ والأبرص ممّا كان يعجز عنه مهرة

الأطباء في زمانه، ولذلك آمنوا به وصدّقوه.

ومعجزة نبينا محمد ﷺ الكبرى: القرآن الكريم، فإنه المعجزة الخالدة الناسخة لجميع الكتب والشرائع إلى يوم القيامة، وهناك لرسول الله ﷺ معاجز كثيرة أخرى أتت على ذكرها كتب السير والتواريخ متواترة ومستفيضة، مما لا يقبل الشك والريب والجدال، وهي بالمئات، فمنها: إشباع جماعة كثيرة على مائدة واحدة بطعام قليل كما كان في بداية دعوته، وتكلم الحصى والأشجار والحيوانات وغيرها.

وإعجاز القرآن الكريم من نواحي كثيرة، منها: الفصاحة، والبلاغة إلى حدّ الإعجاز، فقد تحدّى الرسول الأعظم محمد ﷺ والقرآن الكريم جميع المشركين أولاً أن يأتوا بعشر سور مفتريات، ولكنها تبلغ بلاغة القرآن، والعرب آنذاك وصلوا في البلاغة والفصاحة إلى القمة والشموخ حتى علّقوا أشعارهم (المعلقات السبعة) على أستار الكعبة.

وثانياً تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله، وكان المشركون - آنذاك - إذا أتوا بمثل ذلك فإنهم لا يحتاجون في مكافحة دعوة محمد ﷺ إلى حروب طاحنة وإلى عناء كثير وشديد إلى حدّ القتال والحروب الدامية، وكانوا قد بلغوا على زعمهم منتهى مراتب الفصاحة والبلاغة، وهذا ممّا يدلّ على اعترافهم العملي بالعجز عن مقابلة أو مماثلة بلاغة القرآن وفصاحته، ممّا أجبر كثيراً منهم بالاعتراف والتصديق والإيمان بهذا القرآن ورسالته ﷺ، وإلى يومنا هذا، فإنّ القرآن غضّ جديد لا يبلى، ولو قرأته كلّ يوم، فإنه لا يملّ منه، بل يزداد الإنسان شوقاً ورغبةً وحبّاً واطمئناناً وتقوى، وإنه يتماشى مع كلّ عصر وفي كلّ مصر.

وهناك في القرآن ما عدا الفصاحة والبلاغة نواحي إعجاز كثيرة أخرى،

٣٠ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

منها: الإخبار عن المعصيات، ممّا يكون في المستقبل، وقد تحقّق كلّ ما أخبر به، ممّا دلّ أيضاً على صدق دعوته. ومنها: إخباره بمؤامرة المشركين على قتل رسول الله. ومنها: وعده لرسول الله بالعودة إلى مكّة بعد الهجرة. ومنها: إخباره عن فتح رسول الله لمكّة المكرّمة ظافراً منتصراً. ومنها: إخباره عن غلبة الفرس على الروم وغلبة الروم على الفرس بعد بضع سنين، وكان الأمر كما قال. ومنها: عاقبة سوء أبي لهب، وغير ذلك، أضف إلى ذلك إعجازه في معارفه وعلومه، لم نتعرّض له طلباً للاختصار.

عصمة الأنبياء :

ثمّ كما ذكرنا لا بدّ أن يكون النبيّ معصوماً من الزلل، ومقطوماً من الخلل، ويدلّ على ذلك وجوه :

منها: لو لم يكن معصوماً لزالّت الثقة والاطمئنان بأمانته في رسالته السماوية قولاً وعملاً، وذلك لأنّه إن كان إنساناً عادياً كسائر الناس ولم يكن معصوماً عن المعاصي والخطأ والزلل والاشتباه، لجاز أن تدفعه طباعه البشرية إلى تجاوز حدود الله المرسومة له في الدين.

وحينئذٍ احتمل الناس أن يكون غير صادق في ما يقوله ويعمله مدّعياً أمر الله به، وإذا جاء هذا الاحتمال زال الاطمئنان بصحّة دعواه وبصحّة أعماله وأقواله، وحينئذٍ لم يجب على سائر الناس أن يتبعوه في كلّ ما يقول ويعمل وذلك يناقض الغرض من بعثته.

ومنها: ولأنّه لو لم يكن معصوماً لجاز أن يرتكب المعاصي والآثام، وحينئذٍ لم يجب على أمته أن ينهوه عن تلك المعصية نهياً عن المنكر، وحينئذٍ يصبح

النبي الذي ينبغي أن يكون آمراً بالمعروف وعاملاً به، وناهياً عن المنكر ومنتهاياً عنه، مأموراً ومنهياً من قبل رعيته وأمته، ويكون ممن يقول ولا يعمل، ويأمر الناس بالبرّ وينسى نفسه، وينهى عن خلق قبيح ويأثم به، ويعلم الناس الصلاة ولا يصلي، وأخيراً يكون من مصداق (حاميتها حرامها) والعياذ بالله، فيسقط محلّه من القلوب، وهذا أيضاً ممّا يناقض وينافي الغرض من بعثته وإرساله، وذلك قبيح على الحكيم اللطيف سبحانه وتعالى، فلا يكون، بل لا بدّ من العصمة.

ومعناها: **أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ حِينَ مَا خَلَقَ الْخَلْقَ وَ ﴿ أَحَدَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾** ^(١)، حينذاك عرضهم وعلم بسابق علمه تعالى أن هؤلاء حينما يظهرون إلى الوجود في الحياة الدنيا في سلسلة الخلقة البشرية الطبيعية، كم يكونون مطابقين لما يريد مناهم في عالم الدنيا بالإرادتين التشريعية والتكوينية. وكان من الطبيعي أن يكونوا على درجات كثيرة التفاوت **﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾** ^(٢) بعداً وقرباً، فبالبعد إلى درجة إبليس المناقض لأوامر الله مئة بالمئة، وفي القرب إلى الدرجة التي نسميها بـ(العصمة) وهي الموافقة لما يريد الله مئة بالمئة.

ولعلنا أن نستطيع أن نفهم هذا من مقدّمة (دعاء الندبة) ^(٣) الوارد في زمن الغيبة عن الناحية المقدّسة وذلك فيما يقول: «اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) نوح: ١٤.

(٣) المذكور في آخر مفاتيح الجنان لخاتمة المحدثين الشيخ عباس القمي رحمته الله.

٣٢ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي وأهبطت عليهم ملائكتك وكرّمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك» ...

فالمستفاد من نصوص هذه المقدّمة من دعاء الندبة الواردة من الناحية المقدّسة في معنى العصمة: إنّ الله شرط على هؤلاء المعصومين الزهد في هذه الدنيا، حتّى لا يتلوّثوا بالمعاصي، فإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، وإنّهم سيبعثون في محيط رذيل ومشرّك ومتلوّث بحبّ الدنيا والملاذ والمعاصي، فلا بدّ من صيانتهم من قبل، فشرط عليهم الزهد والبعد عن مشتبهات هوى أنفسهم الحيوانية والشهوانية، وأن يتعدوا عن زخارف هذه الدنيا الدنيّة وزبارجها، وعلم بسابق علمه وهو العالم بكلّ شيء أنّ هذه الجماعة من البشر يشترطون على أنفسهم بهذه الشروط ويقفون عند شروطهم حتّى يفوا بها على التمام والكمال، وهذه هي العصمة... ولما علم هذا منهم استخلصهم واصطفاهم لنفسه ولدينه، فجعلهم مقرّبين لديه وقدم لهم الذكر العلي والثناء الجلي وأهبط عليهم الملائكة بالوحي، وأعطاهم من علمه، وجعلهم الذريعة والوسيلة بينه وبين خلقه.

ولما علم أنّ هؤلاء يوفون بشروطهم هذه وإن كانت الأمور كلّها تضادّهم وتزاحمهم، وأنّهم لا يظفون ولا يعجبون بأنفسهم، ولا يتكبّرون عن حدودهم، وإنّ قدّم لهم كلّ جميل... فلذلك هو الذي قدّم لهم الذكر العلي والثناء الجلي وكرّمهم وعظّمهم.

ويمكن أن نلخص معنى العصمة كما ورد في الدعاء (دعاء الندبة) بكلمتين

وهما (شرطت) و (علمت) أي : شرطت عليهم الزهد و علمت منهم الوفاء به .
ثم مما يدل على عصمة نبينا محمد ﷺ بدليل نقلي قوله تعالى في آية
التطهير : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيراً ﴾ (١) .

إن الله سبحانه كما أراد بإرادة تكوينية طهارة أهل البيت عليهم السلام وذهاب
الرجس عنهم مطلقاً، والرجس هو : كل ما يدنس الإنسان ويلوٲه من الأمور
القييحة والآثام والمعاصي، فإذا أراد الله ذلك لأهل البيت عليهم السلام بالإرادة
التشريعية وحسب كما في أوامر شريعته تعالى، فهي عامّة لكافة البشر وليست
خاصّة لأهل البيت حتّى يقول سبحانه ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ﴾ إذ أنّ (إنّما) أداة حصر،
والآية في مقام إسباغ فضيلة على أهل البيت عليهم السلام، فإذا كانت هذه الطهارة هي
الطهارة الشرعيّة كما في أوامر الشريعة من الغسل والوضوء وإزالة النجاسات، فلم
تكن ثمّ فضيلة خاصّة لأهل البيت عليهم السلام حتّى تخصّ الآية ذلك بهم .

إذن : يجب أن تكون طهارة خاصّة غير هذه التي تحصل بأوامر الشريعة،
بل يجب أن تحصل تلك بإرادة تكوينية خاصّة من الله عزّ وجلّ، فإن كانت تلك
الطهارة وتعلّق إرادة الله بها بمعنى : إنّ الله أراد وشاء بإرادة تكوينية أن لا يصل
إليهم شيء من هذه النجاسات المادّية المذكورة في الشريعة أو أنّهم لا يتأثّرون بها
كسائر البشر، فذلك غير حاصل لهم، إذ أنّهم أيضاً بشر كسائر البشر تصل إليهم
هذه النجاسات بالطبع ويتأثّرون بها كغيرهم حسب الشرع، ولذلك كانوا يتطهّرون
منها كغيرهم سواء .

٣٤ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

إذن، فيجب أن تكون الطهارة طهارة من النجاسات المعنوية أي الذنوب والمعاصي، وإلا لم تستقم للآية غير هذا المعنى أي معنى محصل معقول. هذا بالإضافة إلى ما ورد في تفسير هذه الآية من نصوص الروايات والأحاديث عن طريق العامة والخاصة، مما يعين نفس هذا المعنى، أي العصمة الذاتية لهم عليهم السلام، وسيّد أهل البيت هو الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله فثبت عصمته بدليل عقلي ونقلي.

كمال الأنبياء والأوصياء الخُلقي والخُلقي :

وبنفس مقتضى العصمة في الأنبياء والأوصياء من بعدهم يجب أن نقول بكمالهم الخُلقي والخُلقي، وتفوّقهم فيهما على جميع أقرانهم من أبناء زمانهم، إذ أن ذلك ممّا يساعدهم في أداء رسالتهم السماوية ووظائفهم الدينية أكثر فأكثر، وعكس ذلك ممّا ينقض الغرض من بعثتهم وتعيينهم واصطفائهم.

وعلى هذا نقول بأنهم يجب أن يكونوا أفضل أهل زمانهم وأكملهم خُلقياً ومنطقاً، وأعلمهم وأعرفهم وأدراهم بالأمور، وأورعهم وأتقاهم وأزهدهم، وأن لا يكون فيهم أيّ نقص من الكمال الخُلقي والخُلقي والمنطقي والعقلي والجسدية، ولولا ذلك للزم تقديم المفضول على الفاضل، وهو يتنافى مع حكم العقل والنقل.

دفع شبهة :

وبناءً على هذا الأساس العقلي والنقلي والقول بالعصمة والكمال تؤوّل أو نردّ - أو لا أقل نتوقّف عن - قبول ما ورد في النقل من الأخبار والقصص

والحكايات التي تحكي ما يتنافى مع العصمة والكمال في الظاهر، كقصص داود وزوجة قائده العسكري (أوريا) كما في بعض الكتب، وحكمه في غنم القوم إذا نقشت في الزرع، وقصة إظهار المحبة من يعقوب ليوسف مما سبب إثارة حسد الإخوة له، وقصة مغازلة زليخا ليوسف عليه السلام، وقضية ابتلاء أيوب بداء لا دواء له مما ثقب جسمه ثقباً ثقباً، وجعله طعمَةً للديدان وهو حيّ يرزق... ومن معصية آدم يأكله من الشجرة المنهي عنها.

فإننا نعتقد بنزاهة الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم وطهارتهم مطلقاً.

وعلى هذا نؤول ما ورد في الآيات والروايات إن كانت مما يوهم أو يشعر بظاهره أن فيهم من هذه النقائص شيئاً، كقصة معصية آدم عليه السلام في الجنة، كما قوله تعالى: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ^(١)، فإننا نقول: إن المراد بالمعصية هنا هو ترك الأولى وليست المعصية المحرمة، فإنها في دار الدنيا ودار التكليف، وإنما كان ذلك منه امتحاناً من الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ ^(٢)، أي اخترنا وامتحننا عزم وإرادة آدم على نبيتنا وآله وعليه السلام فلم نجد له عزمًا قاطعاً، ولذلك ترك الأولى وارتكب خلافها. والمعصية في اللغة من عصى يعصي وهي تشبيه للمخالفة بالعصى، فكما أن العصى عود يابسة لا يطيع الكف، كذلك العاصي كأنه خالف الإطاعة، وما انقاد لأمر الله تعالى، فكأنه صار كالعصى لا يطيع الكف. وذلك أعظم من عدم الانقياد للحرمة أو الكراهة أو ترك الأولى، فلا دليل على كون معصية آدم من نوع الحرمة، وقد دل

(١) طه: ١٢١.

(٢) طه: ١١٥.

٣٦ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

الدليل القاطع العقلي على أنها من ترك الأولى، ولهذا لم يُعدّ آدم من أنبياء أولي العزم الخمسة.

وكذلك قصة موسى والرجلين من شيعته وعدوّه، وذلك قوله تعالى عن لسان عدوّه: ﴿أُرِيدُ أَنْ تَمُوتُنِي كَمَا قَتَلْتَنِي بِالْأَمْسِ﴾^(١)، والجواب أنّ القتل كان على كافر فلا ضير فيه على موسى. وكذلك الموارد الأخرى، وقد تعرّض لها علم الهدى السيّد المرتضى في كتابه القيم (تنزيه الأنبياء)، فراجع.

الإمامة العامّة والخاصّة

الإمامة إنّما هي امتداد لخطّ النبوة، والبحث فيها أيضاً يكون تارةً بصورة عامّة، ويعني بها البحث عن مفهوم الإمامة في مصطلح المتشرّعة وضرورة الإمام بعد الرسول، وأنّه خليفته وحافظ شريعته، والإمام من بعده، وأخرى محور البحث فيه عن أفضل الناس بعد النبي الأعظم محمد ﷺ وأنه الخليفة والإمام من بعده بنصّ من الله ونصب من رسوله، وأنّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأولاده الأحد عشر عليهم السلام.

فالإمامة: منصب إلهي للرئاسة على أمور الدين والدنيا لإقامة الأحكام الإلهية، وحمل الرسالة السماوية نيابة عن الرسول والنبي.

والإمام: من تقلّد هذا المنصب من قبل الله تعالى بواسطة الرسول. فنعتقد أنّ الإمامة منصب إلهي وبنصّ من الله ورسوله على خلاف ما يزعمه بعض الناس من أنّها رئاسة عامّة على أمور الدين والدنيا بعد النبي باختيار الناس. ودليلنا على ذلك: آيات القرآن الكريم، فإنّ جعل الخلافة بيد الله بجعل تكويني، وأنّ الله جعل داود خليفة كما جعل إبراهيم إماماً. ونقرأ في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

(١) القصص: ٦٨.

(٢) النساء: ٦٥.

٣٨ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

فإنّ هذه الآيات بظاها صريحة في نفي الخيرة في أمر الدين عن الناس جميعاً من الكافرين والمسلمين مطلقاً أبداً، فكيف لنا نقول برأينا في أمر الإمامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ وهي رئاسة عامّة على أمور الدين والدنيا؟! ما لكم كيف تحكمون؟ وبماذا عند الله تجيبون؟

لا أدري كيف يكون جواب أبناء العامّة - مع وجود هذه الآيات الصريحة في نفي الاختيار في أمر الدين على الأمة - وكيف يدلوا بأرائهم في هذا الأمر الخطير والهامّ جداً؟ ويقولون فيه باختيار الأمة وانتخابهم للإمام بأحد طرق ثلاث:

١- الإجماع.

٢- الشورى.

٣- ولاية العهد من الخليفة السابق لوليّ العرش اللاحق.

واستدلّوا الكلّ واحد من هذه الطرق بأدلة واهية سنداً ودلالة.

فقالوا: إجماع المسلمين حجة شرعية ثابتة لحديث - نسبه إلى الرسول ﷺ قوله: - لا تجتمع أمتي على الخطأ.

كيف لا تجتمع وقد اجتمعت على خطأ ما أعظمه وأكبره؟ ألا وهو قتل سيّد الشهداء سبط رسول الله الإمام الحسين عليه السلام وسي نساءه وقتل أهل بيته وأصحابه، فهل يوجد خطأ أفظع من ذلك؟ أو يقال: لم تجتمع الأمة، وقد اجتمع لقتله ثلاثون ألفاً، كلّ منهم يتقرّب بقتله إلى الله سبحانه، فكيف يقال: لا تجتمع أمتي على خطأ؟!

أضف إلى ذلك أنّ المراد من اجتماع الأمة ما كان فيهم المعصوم عليه السلام فحيثنّ لا تجتمع على خطأ لوجود المعصوم معهم.

واستدلّوا على حجّية (الشورى) بآيتها في قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾^(١)، وقالوا بأنّ هذه الآية تدلّ على أنّ الرأي الذي يتّخذه المسلمون بالشورى بينهم حجّة شرعيّة.

إذن، فالخلافة التي تتعيّن بالشورى خلافة شرعيّة، يجب على المسلمين اتباعها.

ويجاب عن هذه الآية بأنّ من الواضح أنّ هذه الآية لا تقصد حجّية الشورى في الأمور والأحكام الشرعية الهامّة، وإنّما تقصد حسن الشورى في أمور الدنيا، لا سيّما في قضايا الحرب، وذلك بعد ملاحظة أحكام الشريعة، فإنّ من الواضح أنّ الشورى ليست حجّة لتشريع الأحكام في الإسلام بتحليل الحرام أو بتحريم الحلال.

إذن، فحجّية الشورى خاصّة بالأمور الدنيوية، ولا تشمل الأمور الدينية قطّ أبداً.

وأما حجّية (ولاية العهد) فقد وجّهوه بأنّها حصيلة النظرة المصلحية للمسلمين من وليّ المسلمين السابق والذي كان تعيينه برأي المسلمين ومصلحتهم. إذن: فولاية العهد من مصلحة المسلمين بنظر وليّ أمرهم الذي له الاختيار في ذلك.

ويجاب عن هذا بأنّ حجّية تولية العهد إذن فرع صحّة ولاية الولي السابق على المسلمين، فإذا لم تثبت صحّة ولايته شرعاً - كما هو الحقّ الحقيق - فلا حجّية لتوليته للعهد أيضاً.

(١) الشورى: ٣٨.

٤٠ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

وزبدة الكلام: بعد أن أثبتنا بطلان الطرق الثلاثة السابقة لتعيين الإمام بعد النبي ﷺ، وبطلان تدخل اختيار الأمة في أمر الإمامة عقلاً ونقلاً، فلا بد من تعيين طريق آخر يقره العقل والنقل لتعيين الإمام بعد النبي ﷺ مما لا يتدخل فيه اختيار الأمة وأهواءها ونزاعاتها، حتى يقال: منّا أمير ومنكم أمير، كما حدث في السقيفة.

والذي يطابق العقل والفطرة والأدلة النقلية من الآيات والروايات هو ما يقوله الإمامية في تعيين الإمام بعد النبي بما لا دخل للاختيار من قبل الأمة، فإنه باعتبار ما عيّنه الله تعالى وبلغه إلينا الرسول كحكم شرعي واجب الاتباع، فحكم الإمامة حكم النبوة في أصلها وإن اختلفت في بعض مقاماتها كالوحي.

الإمامة الخاصة:

والذي نقول به الإمامية الاثني عشرية أن رسول الله ﷺ لم يترك الأمة سدى، فإن تركهم يتنافى مع العقل السليم، ومع غرض النبوة، بل عيّن الأوصياء من بعده وأنهم الخلفاء الاثني عشر كلهم من قريش، كما في صحاح السنة ومصنّفات الشيعة.

وإنما أرهص النبي للخلفاء من بعده، فمن بدء دعوته لعشيرته الأقربين في قصّة (يوم الدار) أشار إلى الخليفة والوزير من بعده، ألا وهو أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين الإمام عليّ بن أبي طالب ع، واستمرّ على هذا المنوال يكرّر ويردّد في كلّ مناسبة التصريح أو التلويح بتعيين ابن عمّه وزوج بنته أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب ع من بعده...

وكانت آخر هذه المواقف والمناسبات بتبليغ رسمي من الله سبحانه في

اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من سنة حجة الوداع العاشرة من الهجرة النبوية، في منصرفه من الحج مع المسلمين على غدير في مفترق الطرق بعد مكة المكرمة وقبل المدينة المنورة يسمّى بـ (غدير خم) والذي نزل به جبرئيل بأية من الله تبارك وتعالى في ذلك إذ يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [١].

فأمر رسول الله مناديه فنادى في المسلمين بالالتحاق وأمر المتقدمين أن يرجعوا وانتظر المتأخرين أن يلحقوا، وأمر فصنوا له منبراً من أهداج الإبل، وكان الناس يتقون رمضاء الهجير في وسط الظهيرة بأطراف رداءهم وأكمامهم يسحق بعضهم بعضاً من كثرة الزحام، إذ هم - على أقل ما يروى - زهاء مائة وخمسين ألف نسمة من مسلم ومسلمة، فرقا رسول الله المنبر وخطب خطبة بليغة، استعرض على المسلمين فيها ما تحمله في سبيل تبليغ هذه الرسالة من المشاقّ والمتاعب وهو في كلّ ذلك يسألهم : اللهم هل بلغت ؟ وهم يردّدون : نعم يا رسول الله ... وفي آخر خطبته نعى نفسه إلى المسلمين، ثمّ دعى بابن عمّه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأصعده إليه وأخذ بكفه فرفعها حتى بان للمسلمين بياض إبطيهما، وقال عليه السلام : « من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه »، ثمّ دعا فقال عليه السلام : « اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث ما دار ». ثمّ أمر بخيمة فنصبت وأمر علياً عليه السلام فدخل الخيمة وجلس جانباً، وأخذ بطست ماء فملئت ووضعت نصفها داخل الخيمة

٤٢ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

ونصفها خارج الخيمة، وأمر الرجال أن يدخلوا على عليّ فسلموا عليه بإمارة المؤمنين، حيث لقبه بهذا اللقب ذلك اليوم بعد نصبه للخلافة من بعده وأمرهم أن يبايعوه على ذلك.

ونزل جبرئيل عليه السلام بقوله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١).

ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«ولاية عليّ بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»
(الحديث القدسي).

انبهرت الألباب في كنه معرفة الإمام علي عليه السلام، وحاترت العقول في القول عن سيرة وصيّ رسول ربّ العالمين، ومن أين يبدأ الكلام عنه وكيف؟ فهو الذي هزم الأعداء والأحزاب وحده، ولا تنسى موقفه البطولي أمام حشود الجميع عندما برز لعمر وبن ودّ (يوم الخندق) والذي يعتبر - ابن ودّ - من صناديد الأبطال وفرسان المعارك الضارية، وبضربة من علي أودت بابن ودّ إلى درك جهنم، وعلي - آنذاك - ابن العشرين من عمره، وقد نجى المسلمون وحقّقوا النصر المؤرّر بسيف وشجاعة علي.

و (يوم خيبر) حيث أردى مرحباً - رئيس اليهود وأسدهم المفترس - وقد هبطت معنويات اليهود بمقتل مفخرتهم (مرحب).

وتوالت الانتصارات الإسلامية بحسام علي ، وكتب للإسلام البقاء بصمصام وصرامة علي .

وتعال إلى بلاغة علي عليه السلام لتجد عيون الفصاحة تنهل بسيل من الكلمات والسجع المفتول ببطون المعاني ، وما وصل إلينا الندى القليل من (نهج البلاغة) و (بهج الفصاحة) وهي قطرة مترشحة على ضفاف أبحر كلامه .

ولنذهب إلى الطافة وإحسانه إلى الناس وتعامله مع الفقراء والمحتاجين وما كان يقوم أواخر الليل ويذهب إلى بيوت اليتامى والمساكين ويطعمهم على حب الله لا يريد منهم جزاءً ولا شكوراً .

ولنرحل إلى علمه الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى ، وكيف علمه ألف باب من العلوم يفتح لكل علم ألف علم ، فهو باب مدينة علم الرسول . فهل بعد هذا العدد الهائل من العلوم وهل بعد تقواه وزهده و ... نتوقف في اختياره لخلافة الرسول بلا فصل ومن بعده مباشرة ؟

إنه اختيار الله لإمامته بعد الرسول لا ترشيح الناس لخلافته .

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ (١)

ولنسرح في خشوعه عليه السلام إلى الله تعالى ونرى دموعه كصباية درر تتناثر على خديه لتبلّ لحيته وهو منقطع في مناجاته إليه سبحانه وتقطع أنفاسه وهو غارق في أدعيته للبارئ الخالق منادياً رباه والله ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك ...

وشاء الله أن يتوج مسيرته التي بذلها له عز وجل بوسام الشهادة في بيت الله

٤٤ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

(مسجد الكوفة) في شهر الله (شهر رمضان) كما كانت بدايته في بيت الله (ولادته في جوف الكعبة) لتبتلّ لحيته بخضاب دمه العبق الطاهر.

ولعلّي مميّزات عديدة وصفات حميدة، يقف الناس قبالها حيارى، ويشمل العاشقين هائمين سكارى؛ لعظم وقداسة وجلال مقامه الشامخ فهو: المعصوم بإرادة الله :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١).
وجعل ولايته حصانة في الدنيا من الارتياح وحصن في الآخرة من العذاب، وقفنا الله للدخول بحصنه الحصين والأمن من العذاب المهين.

آية الولاية :

جاء جماعة من اليهود إلى المدينة المنورة، فأسلموا على يد النبي محمد ﷺ، ثمّ سألوه عن الوليّ والوصيّ من بعده، فانتظر النبي وحي السماء، فنزل عليه الأمين جبرئيل بآية الولاية في قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(٢).

فعلم النبي بأنّ الآية تشير إلى حادثة وقعت بين المسلمين، لا بدّ من الاطلاع عليها، فقام باليهود الذين أسلموا إلى مسجده الشريف، وعلى باب المسجد التقى بالسائل وببيده خاتم من فضة، فسأله النبي ﷺ : ما بالك،

(١) الأحزاب : ٣٣.

(٢) المائدة : ٥٥.

وما أمرك؟ فقال السائل: يا رسول، دخلت المسجد أسأل الناس فلم يعطني أحد شيئاً، حتى أشار ذلك الفتى وهو في صلته - وأشار إلى عليّ عليه السلام - إلى خاتمه وهو راعع، فمضيت إليه فناولني خنصره وفيه الخاتم، فأخرجته من يده، هذا الخاتم، فعلم النبي صلى الله عليه وآله أن الآية نزلت في عليّ عليه السلام، فتلى على الناس الآية، وقال: «إن هذا وليي وخليفتي من بعدي».

ومثل هذه الأخبار والحوادث كثيرة في حياة النبي صلى الله عليه وآله، فكان - من باب الإرهاصات مقدمة للخلافة والإمامة من بعده - دائماً ينوّه بأمر المؤمنين عليّ عليه السلام وخلافته بلا فصل للنبي صلى الله عليه وآله، وكان يذكر مناقبه وفضائله وأنه نفسه ومنه وهو من علي، وأنه أفضى الناس وأعلمهم وأتقاهم وأسبقهم للإسلام.

وما أكثر النصوص النبوية الدالة على إمامته وخلافته بلا فصل لرسول الله: كحديث الطير، وحديث المنزلة، وحديث الإخاء، وغيرها، المروية كلّها عند الفريقين السنة والشيعة.

ففي حديث المنزلة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، أنت ممي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»، وهذا حديث متواتر يرويه السنة والشيعة، وهو يثبت بوضوح كل ما كان للنبي فهو لعليّ عليه السلام ما عدا النبوة فقط.

إذن، فالرئاسة العامة التي كانت للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله بمقتضى النبوة تكون لعليّ عليه السلام من بعده بمقتضى الإمامة.

وقد قال النبي هذا الحديث الشريف بمسمع عدّة من أصحابه، حينما اشتكى إليه عليّ عليه السلام تهريج المنافقين بتخلّفه عنه صلى الله عليه وآله في (غزوة تبوك)، حيث استخلفه على المدينة في غيابه عنها، فقال المنافقون: إنّما استخلفه على الضعفاء

٤٦ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

والنساء والصبيان ! وأراد النبي أن يردّ عليهم قولهم فقال - كما في بعض النسخ الأخرى - : «ألا تحب أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى .

حديث يوم الاثنين :

ويوم الاثنين - يوم الرزية والمصيبة - من الأيام الأخيرة لحياة النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه ، وكان يغشى عليه ساعة بعد ساعة من شدة وطأة المرض ، وقد اجتمع حوله أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وقد أذن للناس إذناً عاماً ، ولما امتلأ الدار ، التفت إليهم وقال :

«إيتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً ما إن تمسكنم به لن تضلّوا بعدي أبداً» .

وكان المسلمون قد سمعوا منه ﷺ من قبل هذا اليوم نفس هذا الوصف الخاصّ في حديث الثقلين في مواطن عديدة ، في أكثر من مرّة : «لن تضلّوا بعدي أبداً» .

لذلك شعر المغرضون السياسيون الحزبيون من أتباع حزب قريش الذي تأسست نواته في مكة في المشركين ولا يزال ، فأحسّ بخطورة الموقف وأنّ الأمر الإلهي والنبوي سيكون ضدّهم وضدّ مآربهم ومقاصدهم ، وأنّ النبي سيوصي - في آخر حياته رسماً وكتابةً لا يمكن إنكارها - بأهل بيته وإمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام للخلافة من بعده ، وشعروا من ذلك بالخطر الداهم ، ولذلك قام قائمهم (عمر بن الخطّاب) يحاول منع إيصال الدواة والكتف إلى النبي الأعظم محمد ﷺ ، فقال لمن قام يأتي بهما : «اجلس ، فإنّ الرجل ليهجر !! قد غلبه المرض » ، وقد خالف قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١)

فتنازع القوم في ما بينهم على ذلك، منهم من يقول: اسمعوا النبيكم وأطيعوا، ومنهم من يقول: القول ما قال عمر؟! وكان قد غشي على النبي حينئذٍ، فلما أفاق من غشوته تقدّم إليه جماعة من مخلصي أصحابه يقولون: يا رسول الله، نأتيك بالدواة والكتف؟ فقال النبي ﷺ: «أبعد نزاعكم هذا؟! قوموا، لا ينبغي عند نبيّ نزاع»، فتفرّق القوم أيدي سبأ وهم يلعن بعضهم بعضاً.

وكان ابن عباس يبكي ويقول: الرزية الرزية يوم الاثنين.

ولا زالت الرزية تحوط المسلمين، حتى يأتي الله بفرجه، ويظهر المهدي من آل محمّد ﷺ، ليملا الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

فحديث يوم الاثنين كانت آخر محاولة من النبي المختار ﷺ لتقرير الخلافة والإمامة من بعده لوصيه وابن عمّه من بعده الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن ثمّ أهل بيته عترة المصطفى الأئمة المعصومون الهداة عليهم السلام والصلوات إلى يوم المعاد.

إمامة سائر الأئمة الأطهار عليهم السلام :

ثبت بما سبق من الأدلة إمامة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من بعد النبي بلا فصل، وبقي علينا الآن ذكر أدلة إمامة سائر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، الذين أخبر بهم النبي، وأنهم بعدد نساء بني إسرائيل وحواري عيسى بن مريم.

والدليل لإثبات إمامتهم من بعد الإمام أمير المؤمنين ينقسم إلى قسمين :

الأول: الأدلة العامة، التي تدلّ على إمامة الجميع من حيث المجموع.
 الثاني: الأدلة الخاصة، حيث تختصّ بإمامة كلّ واحد واحد منهم.
 أمّا الأدلة العامة، فكما أنّ النبي ﷺ كان يتحجّن الفرص للإشارة أو التلويح
 أو التصريح بإمامة عليّ عليه السلام من بعده، كذلك كان بين كلّ آونة وأخرى يتحجّن
 الأوقات ليشير أو يصرّح بإمامة الأئمة الاثني عشر من بعده بأسمائهم وأسماء
 آبائهم وأوصافهم الخلقية والخلقية.

فكان أحياناً يقول ﷺ:

«الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش».

وأحياناً يصرّح بأسمائهم جميعاً واحداً فواحداً، وأحياناً أخرى يصرّح
 بإمامة بعضهم فيقول:

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

وأحياناً يصرّح لجابر بن عبد الله الأنصاري، الصحابي الجليل، فيقول:
 «إنك لتدرك من ولدي من اسمه اسمي، وشمائله شمائلي، يبقّر العلم بقراً».
 وأحياناً يلقّب جعفر بن محمّد بالصادق، فيسئل عن سبب تعيين هذا اللقب
 له، فيخبرهم بأنّه سيولد من ولده رجل اسمه جعفر يدّعي الإمامة كذباً، وهناك
 بالإضافة إلى هذا كلّه إخبار بظهور صاحب الزمان الإمام الثاني عشر الحجّة بن
 الحسن العسكري عليه الصلاة والسلام، وفيها التصريح بأنّه من ولد الأئمة من
 ذرية الإمام الحسين عليه السلام.

ويجمعها جميعاً حديث صحيفة النور في الصفحة السماوية الزبرجدية
 الخضراء والتي تلقّب بـ(مصحف فاطمة عليها السلام)، إذ أنّ رسول الله أملاها على
 أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فكتبها لفاطمة سلام الله عليها، والتي يرويها بالإضافة

إلى طرقنا الخاصة عن الأئمة عليهم السلام جابر بن عبد الله الأنصاري في طرق العامة أيضاً.

هذا بالإضافة إلى وجود المعاجز والكرامات وخوارق العادات لكل واحد منهم مع ادّعائهم الإمامة الحق، وصدق قولهم بظهور المعاجز على أيديهم. وأما الأدلة الخاصة: وهي التي تختص بإمامة كل واحد منهم، وهذا أيضاً ينقسم إلى قسمين:

١ - النصوص.

٢ - المعجزات.

والنصّ إنما هو من كل إمام سابق على الإمام اللاحق، والتي جمعها المحدث الكبير الشيخ الحرّ العاملي في كتابه القيم (إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات)، وفي كثير من كتب الفريقين - السنة والشيعة - فراجع، والله الهادي للصواب، وهل بعد الحقّ إلا الضلال.

المعاد

الأصل الخامس من أصول الدين هو المعاد يوم القيامة، وقد سبق في صفات الله الثبوتية إثبات صفة العدالة لله تعالى، ونفي صفة الظلم عنه سبحانه، ثم رتبنا على عدالة الله ولطفه وحكمته وغناه، بعثة الأنبياء والمرسلين، وألحقنا بذلك تعيين الأوصياء للأنبياء والأئمة الهداة الأطهار للرسول المختار محمد المصطفى ﷺ.

والآن نريد أن نرتب على عدالة الله أيضاً: إثبات لزوم وجود يوم بعد هذه الدنيا، ينتصف فيه من الظالم للمظلوم، يوم الثواب والعقاب.

فنقول: بما أن الله عادل وليس بظلام للعبيد، فبمقتضى عدله تعالى لا بد أن يعين هناك يوماً بعد هذه الدنيا ليأخذ حق المظلوم العاجز من الظالم المتهتك، كما ويشيب فيه المحسن والمطيع، ويعاقب فيه المسيء والمذنب، وهذا ما يحكم به العقل السليم والفترة الواعية والوجدان الحي، لا ينكره إلا من كان أعمى القلب، غلبته الأهواء والشهوات، فأنكر يوم المعاد.

كما ويدل عليه الأدلة النقلية المتواترة في جميع الأديان السماوية من الإبراهيمية واليهودية والنصرانية والصابئة والإسلام، في صحف نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، من الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وفي أحاديث الأنبياء والأوصياء ونبينا محمد المصطفى ﷺ وعترته الأئمة الهادين من بعده.

المعاد الجسماني :

إذن، فقد دلت الأدلة العقلية والنقلية القاطعة على تحقق المعاد بما لا يقبل الشكّ والجدل... وإنما شكك جماعة من الحكماء والفلاسفة في المعاد الجسماني من حيث كونه إعادةً للمعدوم، وعندهم مستحيل، والحال الموت ليس من الإعدام، بل نقلة من حياة إلى حياة أخرى، رحلة من الدنيا إلى الآخرة. فإن الله سبحانه كما خلق الحياة خلق الموت :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾

فالحقّ الحقيق، إنه بعد أن دلّ الدليل العقلي القاطع على وجوب تحقق المعاد وضرورته دلت الأدلة النقلية المتواترة المفيدة للعلم والقطع على تحققه، وأنه معاد جسماني، وليس روحاني فحسب، بل تعاد الأجسام وهذه الأعيان لهذه الأجساد المشخّصة في الدنيا، كما أعاد الله الطيور لخليئه إبراهيم عليه السلام. فلامجال للتشكيك في ذلك بعد التسليم والإيمان بقدرة الله تعالى المطلقة، التي تتعلق بجميع الممكنات على حدّ سواء. وقد أخبرنا الله تعالى في آياته وعلى لسان رسله بإمكان المعاد الجسماني ووقوعه وتحققه القطعي، اللهم إلا أن نشكّ في قدرة الله تعالى المطلقة، أو صدق إخباره بآياته وعلى لسان رسله بتحقيق ذلك اليوم الموعود... ومعاذ الله من ذلك. فليس (إعادة المعدوم) أعظم على الله من خلقه (إيجاده من العدم).

شبهة إعادة المعدوم ، وجوابها :

وهناك في الآيات والأحاديث والروايات الشريفة ما يتعرّض لهذه الشبهة (شبهة إعادة المعدوم) بالخصوص ، فمن الآيات القرآنية مثلاً ، قوله تعالى على لسان المشكك :

﴿ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿١﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ ﴾ .

وقال تعالى فيما اقتض من خبر إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام عن لسانه :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴿٢﴾ ﴾ .

وقال تعالى فيما اقتض من خبر عزيز :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ .

(١) يس : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) البقرة : ٢٦٠ .

(٣) البقرة : ٢٥٩ .

ففي هذه الآيات الكريمة دَلَل اللهُ تعالى على إمكان المعاد الجسماني بوقوعه على الطيور الأربع لإبراهيم عليه السلام، وعلى عزيز وحمارة.

شبهة الآكل والمأكول، وجوابها :

ففي هذه الآيات إجابة عملية أخرى على شبهة أخرى في المعاد الجسماني وهي شبهة (الآكل والمأكول) وتفسيرها أن هذه الأجساد تبلى وتفنى وتفسخ وينخر عظامها وتكون رميمًا ويتداخل أجزاء هذه الأجساد في غيرها، وبصريح القول يأكل بعضها بعضاً بعد الموت، حيث تكون تراباً ثم تنتقل إلى النباتات ثم إلى الحيوانات ثم إلى الإنسان مرةً أخرى، فكيف تعاد هذه الأجساد؟

فأجاب الله تعالى في هذه الآيات على هذه الشبهة بالذات، إذ مثل الله لنا إعادة هذه الأجساد الآكلة والمأكولة وتمييز بعضها عن بعض بإحياء الطيور الأربع لإبراهيم عليه السلام، بعد أن تداخل أجزاءها بعضها في بعض، فكذلك يعيد الله هذه الأجساد بما فيها الآكلة والمأكولة، ويميّزها بعضها عن بعض. وهناك أجوبة أخرى لم تتعرض لها طلباً للاختصار.

تفاصيل البرزخ والمعاد :

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِم بِرِزْحٍ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ (١)

والبرزخ في اللغة العربية تعني : الحدّ الفاصل بين شيئين، كما في قوله

تعالى :

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ (١)

أي بين البحرين حدّ فاصل لا يبغي أحدهما على الآخر فيه .
والبرزخ في الاصطلاح العقائدي في الإسلام، هو الحدّ الفاصل الخاصّ بين الحياة الأولى (الدنيا) وبين الآخرة التي هي دار الحيوان، ويسمّى البرزخ بعالم القبر أيضاً .

فالإنسان بعد أن يموت يحشر في عالم روحاني، برزخ بين الروح والجسد في جسم مثالي شبحي برزخ بين الجسد والروح، كالجسد الذي يحسّر الإنسان بنعيمه أو عذابه في الأحلام والرؤيا في عالم الدنيا .

وإنّما يحاسب الإنسان في عالم البرزخ على الإيمان والكفر دون الأعمال، وكذلك إنّما يحاسب من المؤمنين من محض الإيمان محضاً، ومن الكافرين من محض الكفر محضاً، وأمّا سائر الناس من المسلمين والكافرين إنّما ميّعدهم يوم القيامة .

والقبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران .
وأما تفاصيل الحشر والنشر وتطير الكتب والمرور على الصراط والمحاسبة عند الميزان حساباً وكتاباً، فتوابعاً أو عقاباً، وكذلك تفاصيل طبقات الجنان والنيران، وتفاصيل حوض الكوثر والشفاة والخلود في الجنّة أو النار... فالواجب علينا من الاعتقاد فيها ليس التفصيل، وإنّما الواجب هو الاعتقاد الإجمالي بصحّة ما جاء به رسول الله والأئمة عليهم السلام .

وعليكم بدعاء (العديلة) كما جاء في مفاتيح الجنان لخاتم المحدثين الشيخ عباس القمي رحمته الله، فإنه وإن كان من إنشاء العلماء، إلا أن فيه الأصول الخمسة، وشيء من التفصيل والإقرار بأن الموت حق، والقبر حق، وسؤال منكر ونكير حق، والجنة والنار حق، والوعد والعيد بهما حقاً.

ثم يستحب أن يقرأ في تعقيب كل صلاة مفروضة هذا الدعاء الشريف، حتى يثبت المؤمن على إيمانه ولا يموت إلا مسلماً مؤمناً، ولا يكون إيمانه عارياً ومستودعاً عنده - والعياذ بالله - بل يموت على دين الإسلام والإيمان بالله ورسوله وولاية الأئمة الأطهار عليهم السلام.

«بسم الله الرحمن الرحيم، رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ صلى الله عليه وآله نبياً، وبعليّ إماماً، وبالحسن والحسين وعليّ ومحمد وجعفر وموسى وعليّ ومحمد وعليّ والحسن والخلف الصالح عليهم السلام أئمةً وسادةً وقادةً بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرأ».

ثم تقول ثلاث مرّات :

«اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة»^(١).

ومن الأدعية الواردة أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام تقول بعد كل صلاة

واجبة :

«رضيتُ بالله رباً، وبمحمدٍ صلى الله عليه وآله نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً،

وبالكعبة قبلّة، وبعليّ وليّاً وإماماً، وبالحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد ابن عليّ وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمد بن عليّ

(١) مفاتيح الجنان : ١٦، التعقيبات المشتركة.

٥٦ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ والحجّة بن الحسن صلوات الله عليهم أئمةً،
اللهمّ إني رضيت بهم أئمةً فارضني لهم إنك على كلّ شيءٍ قدير»^(١).

هذا تمام الكلام في أصول الدين باختصارٍ وإجمال.

وأما الأخلاق في الإسلام فيأتينا في القسم الثاني إن شاء الله تعالى، والله

خير ناصرٍ ومعين.

(١) المصدر نفسه : ٨٦ ، دعاء العديلة .

القسم الثاني

الأخلاق في الإسلام

الأخلاق في الإسلام

يبتني الإسلام وثقافته الدينية - بعد المعرفة والتوحيد ولوازمه - على أسس وأقسام ثلاث :

١ - الأحكام .

٢ - العبادات .

٣ - الأخلاقيات .

ولا يخفى أن القسم الأول والثاني يبحث في الفقه الإسلامي وفلسفته، والمقصود هو القسم الثالث .

وقد حاز الأخلاق في الإسلام مرتبة عظيمة ومنزلة رفيعة، ومقاماً شامخاً واهتماماً بليغاً، حتى قال الصادق بالرسالة النبي الأعظم محمد ﷺ : « إنما بعثت لأتكم مكارم الأخلاق »، وكان عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى والأسوة العليا في الأخلاق والمكارم، حتى وصفه ربّه في قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١)

٦٠ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

وكان خلقه القرآن الكريم.

وقد ورد في عظمة الأخلاق من نبي الإسلام وأتمته بالحق، نصوص كثيرة وأحاديث شريفة، قد خُصَّص لها قسم كبير من كتب الأخبار والأحاديث والفقه الإسلامي وكتب الأخلاق والعرفان والسير والسلوك.

وقد تكلم علماء المسلمين وأدباؤهم في الأخلاق كثيراً، فمنهم من يقول :
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُم ذهب أخلاقهم ذهبوا
وقال آخر :

إن المكارم أخلاق مطهرة فالعلم أولها والحلم ثانيها
وقال آخر :

مكارم الأخلاق في ثلاثة منحصرة

لين الكلام والسخاء والعفو عند المقدرة

وغير ذلك من الأشعار والأبيات التي هي من الحكمة، وترجمت لنا الآيات والروايات في سلك النظم والنثر بأسلوب بديع ورائع.

قال رسول الله ﷺ :

«مكارم الدنيا والآخرة في ثلاث : أن تعفو عمّن ظلمك، وتعطي من

حرمك، وتصل من قطعك».

ولا يخفى أن الظلم على نحوين : تارة ظلم شخصي، وأخرى ظلم

اجتماعي.

فمن الأول : أن تعفو عمّن ظلمك لا سيّما عند المقدرة، فإن العفو عند

المقدرة من مكارم الأخلاق وفيها لذة روحية لا توصف، وأمّا الظالم في نطاق

الظلم الاجتماعي فإنه يحارب ويكافح لإزالة الظلم عن المجتمع وحكومة العدالة

الاجتماعية والقسط الإسلامي، ومن هذا المنطلق يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في آخر وصاياه لولديه سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام :
«كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً».

فلا بدّ من مخاصمة الظالم حينئذٍ وقطع جذور الظلم من المجتمع الإسلامي،

فتدبّر.

الهجرة للعلم والإيمان

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾

اعلم أن الهجرة شرّعت وطبقت في الإسلام على المسلمين الأوائل مرتين :
الأولى : الهجرة إلى الحبشة بقيادة جعفر الطيّار بن أبي طالب رضي الله عنه في
مجموعة من المؤمنين والمؤمنات هاجروا بإذن من رسول الله من مكة المكرمة
إلى أرض الحبشة (السودان) ليأمنوا أذى المشركين من قريش .

الثانية : الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بإذن
وأمر من الله سبحانه هاجر النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم ابن عمه وخليفته الإمام
علي بن أبي طالب مع القواطم .

وكان الغرض من الهجرة الأولى : حفظ الإيمان ، وفي الثانية : حفظ الإيمان
والتكامل فيه ، فإنها كانت هجرة مقدّسة إلى مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهبط الوحي وعاصمة
الإسلام آنذاك .

ومن هنا نقف على حقيقة الهجرة والمقصود منها في الإسلام ، بأن المطلوب
هو حفظ الإيمان والتكامل فيه . وأي عمل يتصد به التوصل إلى حفظ الإيمان
وكماله فهو عمل مطلوب شرعاً ومحَبَد في المفهوم الإسلامي ومحَبوب عند الله

ورسوله ومندوب إليه في الشريعة الإسلامية السمحاء .

ولمّا كان العلم في الإسلام عظيماً، وإنّه ممّا يتوسّل به إلى فهم الإسلام ودركه وحفظه والتكامل فيه وتطوّره والكمال في الإيمان به، بل من الثابت أنّ العلوم الإسلامية هي السبيل الوحيد لاستمرار مفاهيم هذه الرسالة السماوية السمحاء بين البشرية، لذلك كان العلم في الإسلام فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، وإنّ طلبه والهجرة إليه للتحصيل عليه إنّما هي في الحقيقة هجرة إلى الله ورسوله ودينه :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ (١)

وكان الموت حينئذٍ في سبيل تحصيله يعدّ من الشهادة والسعادة، وقد وقع أجره وثوابه على الله سبحانه .

ولذلك ورد في كثير من الروايات الشريفة :
« من مات في طلب العلم مات شهيداً » .

الغاية من طلب العلم :

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٢)

لا يخفى أنّ الإسلام العظيم بمصدره التشريعي والثقافي أي القرآن الكريم والسنة الشريفة المتمثلة بقول المعصوم وفعله وتقريره، لقد اهتمت غاية الاهتمام

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) المجادلة : ١١ .

٦٤ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

يطلب العلم النافع والعمل الصالح، وأن السعادة في الدنيا والآخرة إنما هي في ظلال العلم، فما أكثر الآيات الكريمة والروايات الشريفة التي تنصّ على ذلك، وأن قيمة كل امرئ ما يحسنه، فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، بل يرفع الله الذين أتوا العلم درجات حتى كانوا في مقام الشهادة بالوحدانية الإلهية في صفّ الله سبحانه في قوله :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ (١)

إلا أنه هنا سؤال يطرح نفسه أنه ما الغاية من العلم وطلبه في الإسلام.

الجواب : إن الغاية أن يكون العلم لله وفي الله عزّ وجلّ، فمن تعلّم الله وعمل لله وعلمّ الله دعي في ملكوت السماوات عظيماً، وأنه يصلّي عليه كلّ شيء ويستغفر له كلّ شيء حتى الحيتان في البحر، وأن الملائكة تضع أجنحتها تحت قدميه رضي به.

وهناك نصوص كثيرة تنكر على من يطلب العلم لغير وجه الله سبحانه، يطلبه للدنيا وما فيها، ليجادل به العلماء أو يماري به السفهاء ويطلب به حطام الدنيا ويترأس على الناس وينال من أموال الأغنياء أو عطايا الملوك والسلاطين والدولة والحكومة، أو غير ذلك من الأغراض الدنيوية.

وقد ورد في الحديث الشريف :

« من طلب العلم ليجادل به العلماء أو يماري به السفهاء... أكبه الله على منخرجه في نار جهنم ».

فأمثال هذه الرواية الشريفة تشدّد النكير على من لا يطلب العلم لله وفي

(١) آل عمران : ١٨.

الله، خالصاً لوجهه، بل يطلبه للجدال والمراء والتظاهر والتداول على الآخرين وإظهار فضله على الناس - والعياذ بالله - .

فلا بد أن يكون طلب العلم بدايته ونهايته لله عز وجل :

﴿ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ (١)

﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ (٢)

وورد في الحديث الشريف :

« أول العلم معرفة الجبار، وآخر العلم تفويض الأمر إليه » .

فأوله هو الله، وآخره هو الله، فالعلم سير وقوس نزولي وصعودي منه وإليه عز وجل .

فالحديث النبوي الشريف يؤكد على أمته أن يكون افتتاحهم بطلب العلم في سبيل معرفة الخالق العظيم وأن يعرفه من نفسه، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه، كما يعرفه بالآيات الآفاقية والأنفسية، وأن يكون الغاية بعد ذلك أن يحصل لهم من أثر معرفة الله سبحانه أن يفوضوا أمرهم إليه ويتوكلوا عليه، وعلى الله فليتوكل المؤمنون في طلب العلم وغايته وفي العمل الصالح .

المدائمة في تحصيل العلم :

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« من تساوى يوماه فهو مغبون » .

(١) الأنعام : ٩١ .

(٢) فصلت : ٣٠ .

هكذا يقرّر لنا إمامنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، التأكيد على السعي الدائب والعمل المتواصل في سبيل تحسين أوضاعنا وأعمالنا وأحوالنا يوماً بعد يوم، وأن نكون في تطوّر وازدهار في كلّ حقول الحياة على الصعيدين الفردي والاجتماعي، فنحاول دائماً التغيير نحو الأفضل والأتمّ والأحسن في سلوكنا ومعاشنا ومعادنا، ونفوز بسعادة الدارين، وحسنة الدنيا وحسنة الآخرة:

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾

فنحاول أن لاندع أيامنا تتساوى من حيث أحوالنا الخاصّة والعامة.

وهذا يهّم طالب العلوم الدينية في حوزاتنا العلمية بنحو خاصّ، فإنّه ينبغي بل يلزم أن يسعى الطالب للسير المتواصل والدؤوب في سبيل تحصيل العلوم من المهد إلى اللحد، أي إلى آخر لحظة من حياته، ولو بخوض اللجج وسفك المهج، وإن كان العلم في الصين، فلا بدّ من السعي وبذل الجهود في زيادة العلم النافع والعمل الصالح والمعارف الإسلامية، كما يسعى في نشر العلوم والفنون الإسلامية، وما تعلّمه من المعارف الإلهية والتعاليم السماوية بين أفراد الأُمّة، وأن يسعى لتلاّ يخرج قيد شعرة عن الخطّ المرسوم له من قبل الشارع المقدّس، ولا يحد عن الغاية المعيّنة له ولا لحظة، فإذا حاول وفعل كلّ هذا وأتعب نفسه في شبابه فإنّه سيستريح في شبابه كما يشبهه الله في دنياه وآخرته، وسوف يسير في طريق الهدى إلى الأمام ويتزوّد كلّ يوم أحسن ما كان يتزوّده بالأمس، لأنّه يدري أنّ من تساوى يوماه فهو مغبون، ومن كان أمسّه خيراً من يومه فهو ملعون وبعيد عن الرحمة الإلهية، والفائز والناجح من كان يومه خيراً من أمسّه.

الحلم

قال الإمام الباقر عليه السلام :

« ما شيب شيء بشيء أفضل من علم بحلمه .»

فهم من هذا الحديث الشريف الوارد عن إمامنا الباقر محمد بن علي عليهما السلام أن العلم في الإسلام ينبغي له أن يمتزج بالحلم، وهذا يعني أن العالم من شيعة أهل البيت عليهم السلام ينبغي له أن يتخلق بهذا الخلق العظيم، أن يكون حليماً صبوراً، حتى من شتمه يستغفر له قائلاً: إن كنت الذي قلته يوجد في، فأستغفر الله لي، وإن لم يوجد في فأستغفر الله لك، وإذا قال له أحد: إن قلت واحدة تسمع مني عشراً، فمن الحلم أن تقول له: ولكن لو قلت لي عشرة فلا تسمع مني واحدة.

ومن كان هكذا حلمه مع ما يعلم من العلوم والمعارف الشرعية، فإنه يبلغ الغاية من السعادة، ويستطيع أن يبلغ بعلمه وحلمه إلى الغاية المنشودة، من البلاغ والإبلاغ ليستضيء الناس به، أما لو كان عالماً غير حليم فإنه لا يستطيع أن يبلغ بعلمه إلى الغاية المطلوبة والمقصودة منه، ولم يتمكن من إبلاغ الشريعة السمحة إلى المشرّعين والمكلفين، فكان في علمه هذا من غير أثر، ويكون كالشجر بلا ثمر، وليل بلا قمر، فتذهب أيام حياته هدرًا.

ولما كان الحلم هو الجناح الثاني للعالم ليحلّق بعلمه وحلمه إلى آفاق المكارم والفضائل والدرجات العلى، ولما كان الحلم ممّا يبلغ بالعلم إلى الغاية المقصودة منه، فقد ورد في الآيات والأحاديث الشريفة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وعترته الأئمة الأطهار عليهم السلام كثير من الحث والترغيب عليه، حتى أنه ورد عن

٦٨ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

الإمام الصادق عليه السلام التأكيد عليه، وأنه إذا لم يكن حليماً فليتحلّم، أي يلقي بنفسه في الحلم حتى يصل إليه، وهذا من أسلوب الأئمة عليهم السلام في التهذيب والأخلاق، فمن لم يكن زاهداً فليتزهد حتى يصل إلى الزهد، وهكذا من لم يكن حليماً فليتحلّم.

قال الإمام الصادق عليه السلام :

«كفى بالحلم ناصراً، وإذا لم تكن حليماً فتحلّم».

والتحلّم هو التشبّه بالحلماء والتصبر عليه في سبيل التمرين لأجل التخلّق به فهو مصدر من باب (التفعل) للمطاوعة لا تخاذ مصدر الشيء بادعاء إن لم يكن فيه، فالمؤمن حقاً أميره العلم ووزيره الحلم.

الإخلاص

قال سيّد الوصيّين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«أخْلِصْ تَنَلْ».

وفي الحديث الشريف :

«من أخلص لله أربعين يوماً فجرّ الله ينابيع الحكمة من قلبه».

من جملة الفضائل والمكارم والصفات الحسنة التي يجب على كلّ مسلم ومسلمة أن يتخلّق بها في أعماله وسائر علاقاته مع ربّه ومع الناس وارتباطاته بصورة عامّة في السلوك العامّ سواء مع ربّه سبحانه أو مع العباد، هو الإخلاص في كلّ عمل يعمله، وفي كلّ قول يقوله، وكلّ خدمة يبذلها ويقدمها للمجتمع أو لفرد من أفرادِه.

ومعنى الإخلاص أن يكون العمل خالصاً من أيّ شوب يشوبه ويزري به، فالذي يعبد الله عزّ وجلّ يجب أن يكون مخلصاً في عبادته، فإنّ الكلم الطيّب والعمل الصالح أي الخالص يصعد إلى الله عزّ وجلّ، فلا بدّ أن يعمل لوجه الله ولقربه إليه سبحانه، لا لغاية أخرى مادّية أو معنويّة. والطالب الذي يدرس يجب أن يقصد في دراسته وجه الله عزّ وجلّ، أي لغاية التقرب إليه عن طريق تعلّم الناس ويرشدهم فيقوم بالمسؤولية ومهمّاتها قربةً إلى الله جلّ جلاله، ولا يريد جزاءً ولا شكوراً من أحد إلاّ من ربّه، فإنّه الشاكر عزّ وجلّ، والشكور لا يضيع عمل عامل من ذكرٍ أو أنثى، فإنّه يتقبّل ما كان لوجهه خالصاً، وأمّا الذي فيه الشرك، فإنّه يقول عزّ وجلّ: إنا خير شريكين، ما كان لي ولغيري فأدفعه كلّهُ إلى

٧٠ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

غيري، أي لا يقبل إلا الخالص لوجهه، فلا يشرك طالب العلم مع الله سبحانه غيره بأن يدرس من أجل الحصول على وجاهة أو مقام أو رياسة أو مال أو ثروة أو منصب عالٍ في الدولة والحكومة أو يكسب ثقة الناس واعتمادهم عليه أو لغايات دنيوية أخرى، وكذلك المعلم يجب أن يكون في تعليمه وتدريبه وتربيته مخلصاً لله سبحانه، فيقصد أن يربي طلاباً بأحسن تربية إسلامية يتمكنون بها من تهذيب أنفسهم وتهذيب الناس وتعليمهم. وكذلك الذي يبذل للناس خدمة اجتماعية أو مشروع اجتماعي فيبني داراً للفقراء أو مستشفى للمرضى أو جسراً للعابرين أو مدرسة للمتعلّمين أو أي شيء آخر أمثال ذلك كبناء المساجد والحسينيات والمراكز الثقافية العامة ونحوها، فإنه يجب أن يسعى أن يكون في نواياه وفي عمله خالصاً لله عزّ وجلّ.

وعندما يتوقّر شرط الإخلاص في كلّ عمل يعمله الإنسان فإنه يكون من طائفة المخلصين الذين لا يتمكن الشيطان من إغوائهم، فإنه حلف بعزة الله ليغوي الناس أجمعين إلا عباد الله المخلصين، الذين كثرت الآيات والروايات في حقّهم ومدحهم، وحينئذ ينمو عمله ويتزايد في الدنيا والآخرة كما قال عنه : « ما كان لله ينمو »، كما أنه يستحقّ عليه الأجر والثواب العظيم في الآخرة.

وأما إذا لم يتوقّر فيه هذا الشرط (الإخلاص) فإن العمل سيكون غير كامل وكأنه عمل مريض كما قال أمير المؤمنين عنه :

« آفة العمل ترك الإخلاص فيه ».

فمن أراد الشموخ والعلى فعليه بالإخلاص، أخلص تنال خير الدنيا والآخرة، وما أروع ما يقوله أمير المؤمنين فإنه جمع كلّ الخير والسعادة الدنيوية والأخروية في كلمتين : « أخلص تنل ».

والوصول إلى درجة المخلصين صعب مستصعب، يحتاج إلى جهد جهيد وعمل دؤوب وجهاد مستمر، فإنه ورد في الأحاديث الشريفة :

«الناس كلهم هلكى إلا العلماء، والعلماء كلهم هلكى إلا العاملون،
والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم».

ويقابل الإخلاص الرياء، وإنه في النوايا والأعمال كدبيب نملة سوداء على صخرة صلداً في ليلة ظلماء، فمن يحس بها، إلا الأوحدي من الناس، وكل واحد هو الأوحدي من الناس وإنه متمكن على الإخلاص، لأن الله كلّفنا بذلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فتكليفه بالإخلاص خير دليل على أنه في طاقة الإنسان وقدرته، ويمكن أن يكون مخلصاً لله، ولكن حبّ الدنيا وما فيها تجذبه إلى الرياء والسمعة والإطراء، فلا بدّ من المجاهدة والدعاء والطلب من الله أن يجعلنا من المخلصين.

ويتأكد وجوب الإخلاص بالنسبة إلى طالب العلم الديني الذي ينسب نفسه إلى الحجة المنتظر الإمام الثاني عشر صاحب العصر والزمان المهدي من آل محمّد عليه وعليهم السلام وعجل الله فرجه وسهّل مخرجه، فالذي ينسب نفسه إليه ويعتبر نفسه جندياً حقيقياً من جنود الإمام عليه السلام، لا بدّ أن يخلص في عمله وعلمه، في نيته وسلوكه، في درسه وتدرّيسه، في تبليغه وتصنيفه وتأليفه وخطاباته، في سفره وحضره، في نهاره وليله، في نومه ويقظته، وأكله وتزوّجه إلى غير ذلك ممّا يقوم به في حياته. أضف إلى ذلك في عباداته وتفرّغه إلى الله سبحانه وتعالى، فيفرغ قلبه إليه ويسأله دائماً أن يوفّقه للإخلاص ويزيد في علمه النافع وعمله الصالح، ويكون وجوده منه وإليه وفيه.

قال سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ (١)

﴿ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴾ (٢)

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ (٣)

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (٤)

﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٥)

وهكذا في (سورة ١٠ آية ٢٣) و(سورة ٢١ آية ٦٥) و(سورة ٣١ آية

٣٢) وغيره.

وأما الأحاديث الشريفة فما أكثرها، راجع كتب الروايات كالكافي والبحار

والوافي والوسائل وغيرها.

(١) الزمر : ٢ .

(٢) الزمر : ١٤ .

(٣) الزمر : ١١ .

(٤) البقرة : ١٣٩ .

(٥) الأعراف : ٢٩ .

التواضع

قال مولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصف المتّقين كما في نهجه القيم :

« ومشيهم التواضع ».

من الواجب الأخلاقي الملقى على عاتق كلّ فرد مسلم متديّن بدين الله عزّ وجلّ، هو التواضع وخفض الجناح.

وكم لهذه الصفة الأخلاقية من آثار وبركات ومخلفات في حياة الفرد والمجتمع، أقلّها حبّ الناس وتودّدهم، يعرفها كلّ من اتّصفت نفسه بها وتخلّقت طبيعته بهذا الخلق الرفيع.

والتواضع إحدى صفات المتّقين الواقعيين، فإنّ مشيهم في الحياة الدنيا هو التواضع أمام الله وأمام نبيّه وأمام الإمام المعصوم وأمام القادة الدينيين كمراجع التقليد والفقهاء العظام وأمام الوالدين والمعلّم والمربّي للإنسان، وأمام الصديق الوفي المتواضع مثله.

وكم هناك من أحاديث ونصوص إسلامية وردت بهذا الصدد، تحثّ على التخلّق بالتواضع، وتُرغّب المسلمين فيه.

يقول الإمام المعصوم عليه السلام : من تواضع رفعه الله، ومن تكبّر خذله الله.

نعم، هكذا يؤثّر التواضع في رفعة الإنسان عند الخالق والمخلوق، ويشعر بروحانيّة ولذّة معنويّة تفوق اللذات الماديّة، ويحسّ بروحية عالية، على العكس من الإنسان المتكبّر فإنّه يحسّ في نفسه بصغار وذلّة وعقدة الحقارة.

٧٤ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

ولا يخفى أنه فرق بين التواضع والذلة، فإن المؤمن عزيز، إذ العزة لله وللرسول وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون، فالمؤمن عزيز في نفسه وعزيز عند الله وعند خلقه، فالعزة غير التكبر، كما أن الذلة غير التواضع، فإن المؤمن لا يعطي بيده إعطاء العبيد الأذلاء، بل شعاره (هيئات منّا الذلة)، فإنه كريم ويحفظ الكرامة الإنسانية التي حباها الله، فلا يذل نفسه، نعم يتواضع لله، والتواضع غير الذلة.

ثمّ التواضع على أقسام:

١- التواضع أمام الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

٢- التواضع أمام النبي الأعظم ﷺ، كما تشير إليه أيضاً الآية السابقة، ومنه أن لا يرفع الصوت في حضرته، ولا يقع التشاجر والاختلاف، ولا يقال - والعياذ بالله - إن الرجل نيهجر، فما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فيسلم الأمر إليه تسليماً.

٣- التواضع أمام الإمام عليّ عليه السلام، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٢)

(١) النساء: ٦٥

(٢) المائدة: ٥٥

وقوله تعالى :

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١).

٤- التواضع أمام القادة الدينيين، كما ورد في الحديث الشريف :

«أما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مطيعاً لمولاه مخالفاً

لهواه، فعلى العوام أن يقلدوه».

٥- التواضع أمام الوالدين، لقوله تعالى :

﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾^(٢).

٦- التواضع أمام المعلم والمربي والأستاذ، فقد ورد: من علّمني حرفاً

صيرني (أو ملكني) عبداً، وإنّ بركة العلم في تعظيم الأستاذ، ومن قرّر العالم فقد

وقرّره.

٧- التواضع أمام الحقّ، بقبوله ولو على نفسه، وأن يجلس دون مجلسه،

وأن يسلم على كلّ من يلقاه.

(١) النساء : ٥٩.

(٢) الإسراء : ٢٤.

التكبر

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في قصة لقمان ينصح ولده :
﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(١).

هذه الآية الشريفة التي هي من نصائح لقمان الحكيم لابنه تدلنا على صفة ذميمة، ألا وهي التكبر، فقد نهى لقمان ولده أن يمشي في الأرض مرحاً يتكبر ويتبخر على الآخرين، فإن الكبرياء مختص بذات الله سبحانه.

كما ورد في الحديث القدسي :

«الكبرياء ردائي، فمن نازعني فيه أكبته على منخريه في النار». .
فإن الله سبحانه له الكبرياء المطلق، فهو المتكبر لأنه واجب الوجود لذاته المستجمع لجميع الصفات الكمالية من الصفات الجمالية الذاتية والفعلية والصفات الجلالية، فهو الغني بالذات العالم بكل شيء والقادر على كل شيء، فلا يحلو الكبرياء والعظمة والقداسة إلا له عز وجل.

وأما الإنسان فهو المخلوق الضعيف العاجز والجاهل، وكان ظلوماً جهولاً، فأمره الله بأوامر، كما نهاه عن مناهي ليتكامل ويصل إلى كماله المنشود والمستودع في جبلته بالرحمة الإلهية فينال قمة الكمال بالعلم والعبادة، فمن التواهي الإلهية في الأخلاقيات أنه لن يرضى للإنسان أن يتكبر على الخلق، إلا

مع المتكبرين، فإنَّ التكبر مع المتكبرين تواضع.

فالكبر من جنود الجهل، ومن الصفات الذميمة، ويقابله التواضع، فإنَّه من جنود العقل ومن الصفات الحميدة.

وكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تنصّ على مذمّة التكبر وتأمراً بالاجتناب عنها، لأنَّ الإنسان كلما عظم وكبر وزاد علماً وجاهاً ومالاً فإنَّه لن يخرق الجبال تحت قدميه، ولن يبلغ الجبال حتّى ولو طال، فإنَّ الجبال والأرض بقدره الله الخالق العظيم الذي بيده كلُّ هذه الأمور، فلماذا يتكبر الإنسان على الآخرين، ما دام هناك من هو أكبر منه الذي أوجد الشخص الحقيق الذي لم يوجد من قبل ولا يكون من بعد، وإنَّه كان في بداية خلقه من نطفة يمني، وكان عاقبته جيفة تنتن، وما بينهما يحمل العذرة، فمن كان أوّله ووسطه وآخره هكذا فكيف يتكبر على الآخرين، فليس ذلك إلاَّ لحقارة نفسه وصغرها وجهله وعدم وعيه ومعرفته، وكما قيل: من يتكبر على الناس فإنَّه بمنزلة الشخص الذي على جبل يرى الناس صغاراً كما يراه الناس صغيراً حقيراً، وربما يرونه بمقدار النملة والبعوضة.

فما أروع نصيحة لقمان لكلِّ واحد من أبناء الإنسان أن يتواضع لله، فمن تواضع لله فقد يرفعه الله، ومن تكبر فإنَّه يضعه ويهوي به إلى أسفل السافلين، فلماذا التكبر فإنَّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً، وكن كالشجرة ذات الفاكهة فكلمّا ازدادت فاكهتها ازدادت إلى الأرض تواضعاً، وقدوتنا وأسوتنا في التواضع الأنبياء والأوصياء والعلماء الصالحين، فبهدهم اقتده، فإنَّهم الأسوة والقدوة الصالحة.

التوبة والاستغفار

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ﴾ (١)

لا شك ولا ريب أن من مميزات الإسلام وخصائصه التي امتاز بها على سائر الأديان أنه فتح باب التوبة بمعناها الحقيقي، فإنه قرّر في وجه المذنبين والمخطئين والذين غلبتهم الشهوات والمصالح المادية والشخصية فاقترفوا الذنوب والآثام إلا أنهم عادوا يلتمسون باباً يتقربون به إلى ربهم الكريم الغفار التواب، ويعيدون علاقتهم معه سبحانه فقرّر لهم على أساس صحيح ومنهج سليم. والآية الشريفة تتعرض لطوائف ثلاث من الناس :

الأولى : طائفة عملوا السوء بجهالة وسفاهة وضلالة ثم انتهوا إلى فعلهم الشنيع وعملهم الفاسد، فبصّروا وتابوا إلى بارئهم دون أن يستمروا في غيهم وضلاتهم عن الهدى حتى تبلغ الروح الحلقوم، فلا تقبل توبتهم وإنابتهم، فتابوا إلى الله جلّ جلاله قبل أن يتبين لهم الموت ويدخلوا في سكراته، فهذه التوبة هي توبة الندم والانخلاع عن الخطيئة، والنية الصادقة على العمل الصالح، والتي يقبلها

الله، والتي تفضّل وأجاد فكتب على نفسه الرحمة بقبولها، فقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ﴾، وهذا من باب ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾^(١)، وهذه التوبة إنّما تصدر من التقيّ الذي أصابه مسّ من الشيطان فتبصّر وإذا به يتذكّر، فيندم ويرجع إلى الله تائباً نادماً مستغفراً باكياً، فيدلّ على أنّ هذه النفس قد هزّتها الندم والاضطراب من الأعماق، ورجّها رجاً شديداً حتى استفاقت من سباتها، وهي لا زالت في فسحة من العمر، فأولئك يتوب الله عليهم، فإنّ ندمهم ندم صدق بلارجوع إلى الذنب والمعصية، فلا يطردهم من بابه ولا من المجتمع، مع العلم أنّ لهم نية حقيقية صادقة في سلوك طريق جديد طاهر، وكيف يطردهم ولا يقبلهم وهو غنيّ عنه، ولا تنفعه توبتهم بل تنفع أنفسهم وتصلح حياتهم وسيرتهم الفردية والاجتماعية.

الثانية: طائفة يعملون السيئات ويستمرّون في الانحراف والضلال ولا يفيقون رغم النصائح والمواعظ التي تبلغهم من قبل الأنبياء والأوصياء والعلماء الصالحين، فلم يتعضوا إلا حين يحضر أحدهم الموت فيقول: إني تبت الآن، فهذه التوبة هي توبة المضطرّ الذي أحاطت به خطيئته، فإنّه يتوب توبة من لم يكن عنده وقت لاستمرار المعصية وارتكاب الذنوب، وهذه لا يقبلها الله لأنّه عاين الموت وليست من أعماق القلب ولا تنشئ إصلاحاً فيه ولا في الحياة، فهو على شرف الاحتضار والذهاب، فلا تدلّ توبته هذه على تبدل في الطبع وإصلاح في النفس والحياة.

الثالثة: الذين يموتون وهم كفّار، استمرّوا على طغيانهم وكفرهم بالله

٨٠ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

سبحانه وعدم إيمانهم بخالقهم العظيم حتى الموت، فهؤلاء قد فقدوا كل ما بينهم وبين التوبة من خيوط وعلائق، وضيعوا كلما بينهم وبين المغفرة من فرص وحالات، ولا تقبل توبتهم أيضاً، بل أولئك اعتاد الله لهم عذاباً أليماً.

وزبدة الكلام: يا أيها الإخوان، ينبغي للمسلم الحقيقي أن يتوب سريعاً ودائماً إلى الله سبحانه، ويستغفر من اذنوب التي ارتكبها كما يعوّض ما كان قابلاً للتعويض من إرجاع المال إلى أهله، وأداء حقوق الله كقضاء الصلاة والصيام وأداء الخمس والزكاة، فيذكر الله قولاً وعملاً، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ (١)

ولا شك ولا ريب أن الله وعد بقبول التوبة من غير الكافر والمشرك مهما كانت الذنوب والمعاصي ومهما كثرت وزادت:

﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٢)

كما يدل على ذلك الآيات الكريمة والروايات الشريفة، فإن الله يغفر جميع الذنوب إلا ما أشرك به، وقد ورد في الدعاء:

«اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك، وهو التوحيد، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك، وهو الشرك، فاغفر لي ما بينهما».

إلا أن الشرط الأساسي الذي لا بد أن يتوفر في كل تائب وفي كل توبة هو الندم الواقعي والاضطراب الباطني على ما مضى من المعصية والآثام، ثم العزم

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) آل عمران: ١٣٥.

على عدم العود إليها مرة أخرى، ولا يبغى الفساد في الأرض، ولا يكون كمن وصفهم القرآن الكريم :

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۗ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ﴾ (١)

ولا يخفى أن التوبة أول منازل السير والسلوك للسائرين إلى الله سبحانه. وختاماً ينبغي أن نتنبه ونعمل بما قاله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لكميل بن زياد النخعي عندما سأله عن الاستغفار والتوبة، فقال :

« الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معانٍ :
أوله : الندم على ما مضى .

والثاني : العزم على ترك العود إليه أبداً .

والثالث : أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة .

والرابع : أن تعمد إلى كل فريضة ضيعتها فتؤدّي حقّها .

الخامس : أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلتصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد .

السادس : أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذفته حلاوة المعصية .
فعند ذلك تقول : أستغفر الله .»

ملء الفراغ

الانسان - منذ نعومة أظفاره - يسعى جاداً ويجدّ جاهداً في حصول السعادة، ولا يتم ذلك إلا بملء الأوقات، وكما قيل: (الوقت من ذهب، فإن فات فقد ذهب).

وبما أنّ مهن الناس متفاوتة وآراءهم وميولهم مختلفة، وكلّ بحسب ما يقتضيه حاله ومكانه وزمانه، فإنه يستطيع أن يملأ فراغ وقته وعدم مضيعة الأوقات هدرًا، لا ثمر فيه ولا شجر، ويحصد زرع عمره الندم والتأسف والتحسّف، وكيف مرّت أيامه بلا نتيجة وانقضت ساعاته بلا ثمن ولا زاد يُقدم للآخرة، وهو يعلم أنها لن تعود ثانية - وهيهات -، وإنها مرّت وتمرّ مرّ السحاب. ولئلاّ يستشعر بالفشل والتأوّه والوجل، فعليه الانتباه والحذر من إضاعة عمره وتمزيق حياته بالتسويف، وصرفها بالآمال بإهمال من دون أعمال، فالآجال تأتي غفلةً من دون إعلام وإشعار وأخبار.

فالسعي والجدّ لإعمار الآخرة ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾^(١) بملء الأوقات بالحسنات والعبادات.

وحيث تختلف أعمال الناس فيمكن لكل مهنة أن ينوي التقرب لربه خلال ممارسة عمله. ويراقب معاملته الاجتماعية مع الآخرين ويحاسبها على الدوام ويتلافى الأخطاء.

فمثلاً: التاجر يملأ الفراغ بتصفية الحسابات، والتفكير بما يجلب الربح بلا ظلم للمستهلك والاستعداد لتجارة محللة شرعاً نافعة للآخرين، وما شابه.

والزارع يملأ فراغه بإصلاح أرضه وسقي زرعه.

والنساء يملئن فراغهنّ بتزيين أنفسهنّ لأزواجهنّ وتنظيف بيوتهنّ ومداراة أولادهنّ.

والأطفال باللعب النافع والفكري.

والطالب بعد مطالعة دروسه اليومية يسدّ فراغه بمطالعة الكتب الجيدة والمجلات المفيدة.

وعلى العموم فإنّ قراءة الكتب ضرورة للجميع لتثاقفة عامّة، وكذا ذكر الله

بالتسبيح والتهليل وغيرهما، كما وإنّ النظر إلى إصلاح ذاته بالخلق الحسن مع بني جنسه.

العفو عند المقدرة

العفو في الإسلام له أهمية كبيرة وأثر عظيم، وقد كثرت الآيات في مدحه وتواترت الروايات في حسنه، بعبائر مختلفة وألفاظ متعددة، تهدف إلى مضمون واحد بضرورته في المجتمع، وقد حكم العقل بذلك، وأقرّه الوجدان، وحبّده الضمير وإنه من الفضائل والمكارم.

والعفو عند المقدرة يظهر جلالية وجمال خلق صاحبه وما يتحلّى به .
وقد حثنا الاسلام على هذه الصفة الحميدة :

﴿ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١).

﴿ وَإِنْ تَغْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢).

وطبقها - عملياً - المعصومون عليهم السلام، باعتبارهم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة لجميع الناس ليقتدوا بهم ويتمثلوا بسيرتهم الجليلة، التي نورّت صفحات التاريخ الانساني. وعرفوا بسلوكهم نهج السعادة الاجتماعية وتهذيب النفس ورقبتها للكمال الحقيقي.

فقد روي أن رسول الانسانية صلى الله عليه وآله وسلم كان يمرّ في طريق فيؤذيه أحد اليهود، ويلقي عليه قاذورات، ومرّت الايام على ذلك المنوال، وبعد زمن لم ير النبي ذلك اليهودي وعمله المشين، فسأل عنه، فقيل له : إنه مريض، فقال : وجبت عيادته،

(١) آل عمران : ١٣٤.

(٢) التغابن : ١٤.

فتعجب أصحابه وبهتوا لهذه الأخلاق العظيمة، وهو صاحب قدرة على إيذائه أو منعه على الأقل. وإذا به يقوم بزيارته لأنه مريض. وفعلاً بعد الإذن في دخول بيته؛ سلم عليه وجلس عند رأسه ودعا الله بأن يكسوه العافية ويعجل بشفائه، فلما رأى اليهودي خلق الرسول وسمع دعاءه، خجل خجلاً تصبب عرقه، ثم شهد الشهادتين على يدي المبعوث رحمةً للعالمين.

إنه درس لمن ألقى السمع وهو شهيد، إنه عطاء مثمر تتغذى الاجيال من موائد أهل بيت الرحمة عليهم السلام على مر الزمان، إنه نفحة روحية تترشقه رواد الاخلاق الفاضلة لمن وعى معنى الانسانية فكانت سيرته منهاجاً قويمًا توصل البشرية شواطئ الخير والرفاه.

إنه العفو مطلقاً، والعفو عند المقدرة بالخصوص، وإنها سيرة الائمة الاطهار على مسار حياتهم معلنين تغيير حركة التاريخ نحو ثراء الخلق وإغنائه.

وقد ورد في النصوص الشريفة عن الرسول الأعظم وعترته الطاهرة: مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة ثلاث: أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك.

ولا يخفى أن العفو حسن لمن ظلمك شخصاً، فإن الظلم على نحوين: تارةً ظلم شخصي، وأخرى ظلم اجتماعي، فحسن العفو لا سيما عند المقدرة فيما لو كان الظالم قد ظلمك بظلم شخصي، وأمّا الظالم الاجتماعي - كالطغاة والجبابة - فالمفروض مكافحتهم والقيام ضدهم، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: كن للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

فلا بد من الجهاد والثورة ضدّ الظلم والظالمين.

وملبسهم الاقتصاد

قال أمير المؤمنين أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب في حديث طويل في وصف المتقين كما في نهج البلاغة :
«وملبسهم الاقتصاد».

الاقتصاد لغة : من القصد وهو بمعنى الحدّ الوسط من دون إفراط وتفريط ، وهذا المعنى اللغوي شائع في النصوص الدينية ، والمعنى المصطلح مأخوذ منه أيضاً .

ثمّ هناك صفة عامّة يجب أن تنطبق بها كلّ أفعال الإنسان المؤمن إيماناً حقيقياً ، فمن كان مؤمناً بالله وباليوم الآخر ، فكُلّ حركاته وسكناته ومظاهر سلوكه الخارجي والداخلي تنطبق بهذه الصفة ، ألا وهي صفة الاقتصاد ومعناه المحافظة على الاعتدال والتوسط في كلّ شيء من الأكل والنوم وفي اللباس والأثاث والمتاع ، وفي القول والعمل والاستمتاع بكلّ الملذّات وغير ذلك .

يجب أن يكون المؤمن والمتقي والخائف من الله سبحانه معتدلاً في هذه الحركات كلّها بمعنى أن لا يكون في جانب الإفراط ، كما لا يتخذ جانب التفريط ، فمثلاً : لا يكون جباناً ولا يكون متهوراً ، بل يراعى الحدّ الوسط والذي يسمّى بالشجاعة ، ولا يكون بعيداً عن العبادة أصلاً كما لا يكون أيضاً صارفاً أوقاته كلّها في العبادة والصلاة وغير ذلك بحيث ينسى نصيبه من الدنيا ، وهكذا في سائر التصرفات يجب أن يكون محافظاً على الاعتدال والحدّ الوسط ، حتّى في ملبسه كما وصفه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بقوله : «وملبسهم الاقتصاد» . ولا يبعد أن

يكون مقصوده عليه السلام أن المتقين في كل حركاتهم وأعمالهم يلبسون الاقتصاد .
 فالاقتصاد والاعتدال بمنزلة اللباس لهم، يلبسونه على كل تصرفاتهم وسلوكهم، وكما أن اللباس يستر البدن كله ويلبسه فيكون قابلاً للبدن كذلك الاقتصاد قالب لأعمال المتقين، فليس المقصود هو الاقتصاد في اللباس فقط، حتى يكون أحد أوصاف المتقين أنهم يقتصدون في ملابسهم فقط، بل مقصود الإمام عليه السلام الاقتصاد في كل شيء غير اللباس، فإنه لم يقل وملبسهم الاقتصاد وفي اللباس، فلماذا نحصر كلامه عليه السلام بخصوص اللباس، بل يكون من الاستعمال المجازي والكنائي أو الاستعارة كما في قوله تعالى في الأزواج :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (١)

هذا ولنا في سيرة الإمام عليه السلام وتصرفاته خير أسوة وقدوة، فلننظر إلى تاريخه المشرق وإلى ما يقوله التاريخ عن هذا الإمام العظيم صوت العدالة الإنسانية، ولنفهم ما يقوله في مکتوبه إلى عثمان بن حنيف الذي كان والياً على البصرة من قبله عليه السلام حيث يقول :

«الأ وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطميره، ومن طعامه بقرصيه»...

وهكذا إلى أن يقول :

«فوالله ما كثرت من دنياكم تبراً ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعرت

لبالي ثوبي طمراً».

وقال في حديث آخر :

«لا تقدروا على ما أنا عليه، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد».

نوعيّة التحدّث

من أهمّ المواضيع والمفاهيم الأخلاقية في الإسلام هو نوعيّة التحدّث مع الناس وكيفيّة معاشرته مختلف الطبقات الاجتماعية، وملاحظة الرموز الأخلاقية في علاقات الإنسان مع سائر الأفراد.

وهناك كتب عديدة مؤلّفة بقلم الكتاب الغربيين أو الشرقيين تبيّن الأساليب التي بها يتمكّن الإنسان من التأثير على الناس والنفوذ في روحيّاتهم ونفسيّاتهم، مع أنّنا لو لاحظنا الأحاديث الإسلامية لرأيناها تهتمّ بهذا الجانب اهتماماً أكيداً، وتوضح لنا مختلف الطرق والسبل للتعرف على الناس وكسب مودّتهم وكيفيّة التكلّم والتحدّث معهم، فهناك العشرات من الروايات التي وردت بهذا الصدد. أضف إلى ذلك سيرة وسلوك النبيّ الأعظم الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وكذلك حياة الأئمة الأطهار المليئة بالنماذج الحيّة، وكذلك حياة علمائنا الصالحين رحم الله الماضين وحفظ الباقين، فيمكننا أن نأخذ من سلوكهم مع الناس دروساً عديدة ومهمّة، فإنّهم القدوة الحسنة والأسوة الصالحة.

فمن آداب النبيّ ﷺ أنّه كان يبتدئ بالسلام على من يراه ويلقيه، حتّى لم يسبقه بالسلام أحد، كما أنّه لم يكن ينظر إلى من يريد أن يتكلّم معه شزراً، بل كان يتّجه إليه بكلّه، ويكلّمه بلطف وبتنسيق في وجهه، ولو أخطأ شخص في كلامه لم يكن يؤاخذه ويحاسبه. بل بكلّ مودّة ومحبة يشير إليه إلى ما فيه الصواب

والصحيح.

ولم يجرأ أحد أن يرفع صوته عنده هيبه منه وإجلالاً له، وكان قليل الكلام ولا يقطع كلام أحد ولا يلوم أحداً، وكان يستمع إلى كلام الناس...
 وأمير المؤمنين عليه السلام نسخة أخرى لهذه الأخلاق الفاضلة، وقد وصف عليه السلام المتّقين في خطبته المعروفة بخطبة المتّقين التي قالها لهمام أحد أصحابه، فقال عليه السلام: «ومنطقهم الصواب»، أي من المتّقين والذين يخافون ربّهم أحد صفاتهم أنّهم في منطقتهم وكلامهم لا ينطقون إلا بالكلام الصحيح الخالي عن الكذب والافتراء والفحش والغيبة وهتك الأعراس والاستهزاء والسبّ والإهانة وقول الزور والباطل والغناء وما شابه ذلك من الكلام البذيء الذي لا يرضي الله سبحانه.

وهكذا يكون منطقتهم صواباً لا خطأ فيه ولا معصية.

سوء الظنّ

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

عندما نقرأ ونتلو هذه الآية المباركة ونأمل فيها نجد أن هناك ثلاث مراحل نهى الله عنها، وإحداها تتلو الأخرى، وهي :

الأولى : ظنّ السوء بالآخرين، فإنّ الإنسان باعتبار مدركاته له حالات أربعة، فإمّا أن يقطع ويعلم ويتيقن بالموضوع أو القضية وهو اليقين والعلم، ويكون ما يعلمه ويدركه مئة بالمئة، وإمّا ان يشكّ فيه أي خمسون بالمئة إيجاباً وخمسون سلباً، فهو متساوي الطرفين، أو يقلّ عن الخمسين إلى الواحد بالمئة، فهو الوهم، وما يزيد عن الخمسين إلى ٩٩٪ فهو الظنّ، وإذا كان متاخماً وقريباً للعلم يسمّى بالعلم العادي، وفي المصطلح القرآني يطلق الظنّ ما دون المئة إلى الواحد فيعمّ الظنّ والشكّ والوهم المنطقي.

فالقرآن الكريم أكد على اجتناب الظنّ وأنه لا بدّ من العلم واليقين، لأنّ الظنّ لا يعني من الحقّ شيئاً، إلاّ الظنّ المعبر شرعاً كخبر الثقة وظواهر الكتاب الكريم، وغيرهما يلحق بالظنّ المطلق الذي ثبت في علم (أصول الفقه) كما عند

شيخنا الأعظم الشيخ الأنصاري في فرائده عدم حجّيته بالأدلة الأربعة - الكتاب والسنة والإجماع والعقل - فسبحانه وتعالى نهى المؤمنون عن كثير من الظنّ، فإنّ بعضه فيه الإثم والذنب، إذ يترتب عليه مفساد فردية واجتماعية.

ولا يخفى أنّه ورد «أنّ سوء الظنّ من حسن الفطن»، وأنّه «إذا فسد الزمان فلا تحسن الظنّ»، ولكن جمعاً بين هذا وبين ما ورد من النهي نقول: إنّ سوء الظنّ في بعض الموارد من الكياسة وحسن الفطنة، فإنّه يستلزمه الحذر والاحتياط وعدم التورّط بالشبهات والمشاكل المجهولة، ولكن بشرط أن لا يترتب على سوء ظنّه من الآثار العملية، فإنّ بعض الظنّ إثم، فلا يترتب الأثر حتّى يصل إلى درجة العلم واليقين والشهود والحضور، ولكن هذا لا يعني أنّه يتجسّس على الآخرين ليؤكد سوء ظنّه ويبتلى بالمرحلة الثانية، فإنّ من يسيء الظنّ بأخيه المؤمن عندما يريد أن يتيقّن من ظنّه هذا فإنّه يبدأ بعملية التجسّس من كلّ جانب ومكان، وهذا ممّا حرّمه الله سبحانه أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ والنهي يدلّ بظاهره على التحريم، فيحرم عليه التجسّس كما أنّه يبتلى بالمرحلة الثالثة، وهي الغيبة المحرّمة أشدّ الحرمة، فإنّه عندما يتجسّس ويطلع على بعض القضايا يحاول أن يذكره عند الناس، فيذكر من أخيه ما لو سمعه لتألّم وكره ذلك، وكأنّه يقطع من لحم أخيه فيأكل وهو غائب عنه، وكأنّه بحكم الميت، وهل الإنسان عنده استعداد أن يأكل لحم أخيه ميتاً؟ هيهات فإنّه يكره ذلك.

فالغيبة من الصفات الرذيلة والقيحة، يعبر الله عنها باللحم الميت، وبهذا يستفهم على نحو الاستنكار أنّه أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، فأجاب: فكرهتموه.

فالآية الشريفة ترتبط بعضها ببعض، وإنّه إذا دخل الإنسان في المرحلة

٩٢ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

الأولى (سوء الظنّ)، فإنّه سيدخل في المرحلة الثانية (التجسس) وإذا عمل به سيدخل الثالثة (الغيبة)، فلا بدّ من الاجتناب عن الأولى أوّلاً حتّى لا يبتلى بالمراحل البقيّة، وهذا من الأصول الأخلاقية في الإنسان أن يعالج المسألة من البداية ومن جذورها وأساسها وعللها الأولى، فينهى عن سوء الظنّ، فإنّ بعضه إثم ويترتب عليه التجسس والغيبة التي هي إدام كلاب النار.

الوحدة الإسلامية

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ (١).

وقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (٢).

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (٣).

قال رسول الله ﷺ :

«إنما المؤمنون في توصلهم وتوادهم كالجسد الواحد، كلما اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

وقال ﷺ :

«من هجر أخاه المسلم ثلاثة أيام فليس بمسلم».

وقال ﷺ :

«من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

(١) آل عمران : ١٠٣.

(٢) الحجرات : ١٠.

(٣) الأنفال : ٤٦.

فهم من مجموع هذه النصوص الإسلامية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكذلك الآيات والأخبار الأخرى الكثيرة جداً عن الرسول والعترة الطاهرة الأئمة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام أن الإسلام حاول بكل جهوده وجهاده وشتى طرق محاولاته أن يوحد المسلمين بكلمة التوحيد والتي هي كلمة الأمة الإسلامية، كما عبّر عن ذلك المرحوم آية الله المجاهد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمته، فقال: «ليس الإسلام سوى توحيد الكلمة بكلمة التوحيد».

ومع الأسف الشديد تغلغل الكفر والاستعمار بين المسلمين، ومن اليوم الأول لثبت بينهم سموم الشقاق والاختلاف والنزاع الدموي انطلاقاً من سياسته المقيتة (فرّق تسد)، فوقع المسلمون من أول يومهم الغابر في شبكاتهم وحبائلهم وإلى يومنا الحاضر، وكأنهم كانوا غيباً عن هذه النصوص الإسلامية القاطعة، فكانوا من أمرهم كما قال السيد جمال الدين الأسدآبادي: «إنهم اجتمعوا على أن لا يجتمعوا، واتفقوا على أن لا يتفقوا، واتحدوا على أن لا يتحدوا».

فلا بد أن نرجع إلى صميم الإسلام مرةً أخرى ونوحد الصفوف والقلوب أمام أعداء الإسلام والمسلمين من اليهود والصهاينة والاستعمار العالمي بقطيبه الغربي والشرقي، ومكافحة ثقافتهم الاستعمارية من الامبريالية والشيوعية، فلا شرق ولا غرب، نعم للإسلام وحده، وأنه يعلو ولا يُعلَى عليه، وإن الأرض لعباد الله الصالحين، هذا ما وعدنا الله به، ولن يخلف الله وعده.

ولا يخفى أن دواعي الاختلاف كثيرة، منها الاختلاف العقائدي والمذهبي بين الأديان والمذاهب، فيما تُرى ما هو الحدّ الصحيح من هذه الاختلافات العقائدية؟

الاختلاف العقائدي في منطق الإسلام

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

وقال عز وجل :

﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (٢)

وقال سبحانه :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٣)

وقال عز من قائل :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
أَقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾ (٤)

وقال جل جلاله :

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (٥)

(١) النساء : ١٤٤ .

(٢) الممتحنة : ١ .

(٣) المجادلة : ٢٢ .

(٤) التوبة : ٢٤ .

(٥) التوبة : ٢٨ .

نفهم من مجموع هذه الآيات الكريّمات وكذلك الأخرى، كما جاء في الأخبار والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام أن الله تبارك وتعالى أمرنا نحن المسلمين أن نجتنب الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين، ولا نوادهم ولا نلقي إليهم المحبة والمودة، ولا ندعهم يدخلون المسجد الحرام قبله المسلمين والإسلام، فضلاً من أن نتخذهم أولياء... وعلى هذا يبتني حكم الفقه الإسلامي، فإنه يجب على المسلمين كافة وأصحاب المسؤولية والسياسة خاصة أن يجتنبوا الكافرين لكفرهم ونجاستهم، فهذا حكم فقهي وسياسي ديني يقصد منه الإسلام الفصل بين معاشرّة المسلمين مع الكافرين لئلا تتسرّب العقائد الكافرة والأفكار المنحرفة منهم إلى المسلمين، وإلا فلا يحكم الإسلام بحرمة حسن معاشرتهم والإحسان إليهم والمعاملة معهم معاملة طيبة تحكي عن أخلاق الإسلام الرفيع كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «إذا جالست يهودياً فأحسن مجالسته»، فهذا جائز ومباح، بل مندوب إليه في الشريعة الإسلامية وأخلاقها الطيبة، إلا أنه ما لم يكونوا في حالة حرب واعتداء مع المسلمين، وتخطيط لنهب ثرواتهم والوقية بمقدّساتهم، فعندئذٍ يحرم ذلك على جميع المسلمين، بل لا بدّ من مكافحتهم وقطع أيادهم من بلاد المسلمين.

وفي القرآن الكريم آية تدلّ على إباحة المعاشرّة الحسنّة معهم ما لم يكونوا في حالة حرب مع المسلمين، وذلك في قوله تعالى:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَسَرُّوهُمُ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١)

فإنّ هذه الآية تدلّ بوضوح على أنّ الآيات السابقة التي كانت كلّها تدلّ على حرمة المعاشرة معهم، إنّما ذلك في حالة محاربتهم مع المسلمين (ما عدا حكم نجاستهم).

وأما بالنسبة إلى من لم يحارب المسلمين منهم، فإنّ هذه الآية الأخيرة تبيح لنا حسن معاشرتهم وكسبهم ودعوتهم إلى الإسلام دين الله القويم :

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (١)

الأعياد في الإسلام

قال رسول الله ﷺ :

«أعياد المسلمين أربع : الفطر والأضحى والغدير والجمعة».

العيد في اللغة إما أن يكون مأخوذاً من عاد يعود، ويسمى اليوم الخاص بالعيد لأنه يعود كل سنة مرة، أو مأخوذاً من العوائد جمع العائدة، بمعنى : الفائدة الموهوبة، لأن العيد يشمل على عوائد ومواهب وذكريات طيبة.

ولكل أمة أعياد من ذكرياتهم يمجّدونها ويحتفلون بها، وقد عيّن الرسول الأعظم محمد ﷺ لأُمَّته في شريعته السحاء أعياداً أربعة :

١- عيد الفطر : وهو أول يوم من شهر شوال المكرّم من كلّ سنة، ويسمى بالفطر لإفطار الصائمين فيه، ولإعطائهم زكاة الفطرة إلى فقرائهم ومساكينهم وفي سبيل الله، ويعود الله عليهم بعوائده وفواضله من قبول الصيام والأعمال الصالحة والصدقات والزكوات.

٢- عيد الأضحى : وهو اليوم العاشر من شهر ذي الحجة الحرام، ويسمى بالأضحى، لأنّ الحجّاج يضحّون قرابينهم إلى الله في (منى) ويعود الله عليهم بعوائده ونعمه الخاصّة، من قبول الحجّ والأعمال والمناسك ونزول الفيوضات الإلهية.

٣- عيد الغدير : وهو اليوم الثامن عشر من نفس الشهر (ذي الحجة)، ويسمى بالغدير من باب تسمية الزمان بتسمية المكان، وإعادة الذكرى والخاطرة، فإنّ الغدير اسم للمكان الذي حدث فيه هذه الذكرى المباركة وهي ذكرى نصب أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عيّلاً في منصب الإمامة

والخلافة بلا فصل بعد النبي المصطفى محمد ﷺ، وأخذ البيعة من الناس له على ذلك، ونزول آية إكمال الدين وإتمام النعمة في قوله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١)

فهو يوم مبارك وعظيم عند الله والأنبياء والأولياء والصالحين عباد الله تعالى فيه على المؤمنين والمسلمين بعوائد جمّة ومنافع عظيمة. من إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب، وذلك بتتويج أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب بتاج الإمامة والإمارة على المؤمنين، فالذكرى إذن ذكرى تتويج الإمام عليّ بتاج الإمامة.

٤- يوم الجمعة : وهذا يكون كل أسبوع ويعود المسلمون فيه للاجتماع في جوامعهم حول أئمتهم وعلمائهم ليستمعوا إلى خطبهم ومواعظهم وإرشاداتهم وإلى ما حدث على المسلمين في الأسبوع المنصرم، وما يجب عليهم في الأسبوع الآتي من العمل والجهاد والسعي.

ومن هذا الحديث الشريف في مطلع الموضوع نفهم أن أعياد المسلمين أربع، وما زاد عليها فليس من الإسلام في شيء، وإنما هي زوائد زيدت عليه، فإن كانت باسم الشريعة والدين فسوف تكون بدعة محرّمة، فإنها إدخال ما ليس في الدين في الدين، وقد قال رسول الله ﷺ : « كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ». وإن كانت باسم أعياد وطنية أو قومية أو إقليمية أو غيرها فهي ليست من الشريعة أيضاً، ولكن الالتزام بها لا يحكم عليه بالحرمة المطلقة، وربما يقال بجوازها لو لم تتنافى مع روح الإسلام والشريعة السمحاء.

إحياء الذكريات الإسلامية

لقد قلنا في مفهومنا الإسلامي عن الأعياد المباركة أنها ليست سوى أربع :
الفطر والأضحى والغدير والجمعة.

ولكننا نعود الآن لنقول : إن الأعياد الإسلامية وإن كانت أربعة فقط إلا أن التشييد بأيام الله سبحانه وبالذكريات الإسلامية المجيدة سوى الأعياد الأربعة أنه من الأمر المستحب والمندوب إليه من قبل الشارع أيضاً، فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في سيرتهم الشريفة نجد ما يدل على هذا الأمر بوضوح، فذكرهم بأيام الله، لما في الذكرى والتذكرة من نفع جسيم وفائدة عظيمة للمؤمنين، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وبهذا ورد عن الأئمة الأطهار تكريم أيام الله عز وجل، والتي منها ما فيها الفرحة والسرور كولداتهم، ومنها ما فيها الحزن والألم كشهادتهم ومصائبهم، فيحتفل بمواليدهم ووفياتهم إحياءً لسيرتهم وحياتهم وتخليداً لذكراهم حتى يقتدى بهم ويتأسى بنهجهم وسلوكهم، ويؤخذ بعقائدهم وفقههم، فلا بد لنا من إحياء الأيام التي فيها مجد الإسلام وعزه.

قال الإمام الصادق عليه السلام :

« شيعتنا منا، خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، أولئك منا ونحن منهم وهم معنا في الفردوس الأعلى ». .
وهذه الأيام ومناسباتها المجيدة، بما أنها مناسبات دينية إسلامية تتصل بالوحي وبالسماء وأهله، فهي من شعائر الله تعالى وقد قال سبحانه :

﴿ وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (١)

إذن، تعظيم المناسبات الإسلامية المجيدة، هي من شعائر الله وذلك أمر مندوب إليه من قبل الأئمة الأطهار عليهم السلام، وربما في بعض الصور يكون لازماً وحتماً مقضياً، فمن تلك الشعائر الإلهية ذكرى ميلاد النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وذكرى مبعثه الشريف وذكرى وفاته، وذكرى ولادة الزهراء فاطمة سيدة النساء عليها السلام وكذلك شهادتها، وذكرى مواليدهم الأئمة الأطهار وأيام شهادتهم لا سيما قصة كربلاء وواقعة الطف ويوم عاشوراء.

فتعظيم هذه الأيام الخالدة تعظيم لأصحابها العظاماء، بما هم أمناء الله ورسله على عباده ودينه العظيم لشعائر الله العظيم، وإن تعظيمها من تقوى القلوب وأنوار العقول، فتعظيم هذه الأيام وأمثالها لا باعتبار أنها أعياد إسلامية رسمية، بل بحسبانها ذكريات أيام إسلامية مجيدة خالدة تُعْظَم وتُجَلُّ وتُكْرَم تعظيماً لشعائر الله سبحانه :

﴿ وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ .

فضيلة الجهاد

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ (١).

من المفاهيم الإسلامية المقدّسة موضوع الجهاد، والجهاد من الجُهد - بالضمّ أو الفتح - لغةً بمعنى بذل ما في الوسع والطاقة، واصطلاحاً بمعنى جهاد العدو، والأعداء إمّا باعتبار داخل المسلم أو باعتبار خارجه، فمن يجاهد في الله سبحانه أعداءه في داخل نفسه أي النفس الأتّارة بالسوء والشيطان الذي يوسوس في صدره، وهو عدوّه اللدود، فإنّ ذلك من الجهاد الأكبر، وتارةً المسلم يجاهد أعداء الإسلام وهو الجهاد الأصغر، وأشجع الناس من غلب هواه، فجهاد النفس أعظم، كما أنّه يجب جهاد أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والمشركين والمنافقين، فقاتلوا أئمة الكفر والنفاق، ومن يقتل فلا تحسبه ميتاً، بل من يقتل في سبيل الله يكون حياً عند ربّه يرزق ويفرح ويستبشر بما يأتي من بعده.

فالجهاد أصل من أصول الإسلام، وانتشر الإسلام بخُلق النبي وأموال خديجة وشجاعة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وجهاد المجاهدين والمخلصين والشهداء الصالحين.

إلاّ أنّه من المفاهيم الخاطئة التي تسرّبت إلى البلاد الإسلامية من جرّاء التبشيرات المسيحية المقيّنة والمنحرفة حول مفهوم (الجهاد في الإسلام) فسعى

المسيحيون بالدعوة المسيحية الجوفاء الفارغة على أن السيّد المسيح عَلَيْهِ السَّلَام إنّما جاء بالسلم والمحبة لا بالحرب، فنحن دعاة السلم لا الحرب، وأمّا الإسلام فقد جاء بالقتل والحرب والسيف والسنان والرماح وتسعير نار الحروب وإيجاد نزاعات دامية طاحنة تدور رحاها على قطع الرؤوس والأيدي والأرجل.

وللأسف سمع هذا شبابنا المسلم الفارغ من البناء العقائدي الصحيح، فانخدع بزخرفة هذه الدعوة السلمية، فحاول أن يطبقها على إسلامه، ويصنع بذلك لإسلامه تبشيراً كالتبشير المسيحي الأجوف، فحرّف مفهوم الجهاد في الإسلام بما شاء له هواه، فقال: لم يكن الجهاد في الإسلام إلاّ دفاعاً عن وجوده فحسب، ونفى بذلك المفهوم الصحيح للجهاد الإسلامي الشريف، وفيما نرى الفقه الإسلامي العادل والرشيد يصرّح بتقسيم الحركة المسلّحة في الإسلام إلى قسمين: ١- دفاع عن الإسلام.

٢- وجهاد في سبيل نشر الإسلام في ربوع الأرض أينما كان. إلاّ أنّه عندما يدعو إلى الإسلام باعتبار أنّه الدين الذي ارتضاه الخالق لخلقه، يدعو أولاً بالمنطق السليم والدلائل القاطعة، إلاّ أنّ من الناس من استحوذ عليه الشيطان فصار معانداً ولجوجاً وركب رأسه، فلا يرضخ للحقّ وأهله، بل يدافع عن الباطل وأهله، ولا بدّ للحقّ أن ينتصر ويزهق الباطل، فأولاً بالمنطق السليم فإن لم ينفع لعناد الخصم ولجاجته وضلاله وانحرافه، فإنّه يزال عن المجتمع الإنساني لأنّه عامل فساد، فيحارب حينئذٍ، ولا بدّ من المناضلة والجهاد من أجل تثبيت العقائد الصحيحة والمبادئ القيّمة والمثل الإنسانية التي جاء بها الإسلام الحنيف، وهذا من الصواب، ويدلّ عليه العقل السليم والفترة السليمة، كما يدلّ عليه الأدلّة السمعيّة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

١٠٤ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

وبعد أن فهمنا واقتنعنا بصحة العقيدة الإسلامية المباركة وعدالتها، فمن مقتضى العدالة في هذه الدعوة الإلهية بصفتها تتكفل مصالح البشر وفي خلافها خلاف مصالحهم أن تحاول نشر دعوتها الصادقة على أكبر قدر ممكن من بني الإنسان، فإن أمكن أولاً بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، وإلا فبالجهاد الإسلامي العادل والشريف، وإما أن ندعي لنفسها الصحة والأحقية وضمان مصالح البشر والناس كافة، ومع ذلك نتعاس ونقعد ونسكت ولا نحاول النشر الواعي، فذلك مما يتنافى مع عدالتها ودعوتها، استجيبوا لله ولرسوله لما فيه حياتكم وسعادتكم. ومن يعتقد بصحة دينه ولا يفكر في نشره والجهاد من أجله، فإنه يكون ممن استلزم بالمتناقضات - والجمع بين النقيضين محال - فكأتما الإسلام يقول: إني وإن كنت صحيحاً وعادلاً وشاملاً للمصالح وضامناً للسعادة البشرية، وإن في خلافي خلاف مصالحهم، ولكن أيها العقائد الأخرى والأديان الأخرى والمبادئ الأخرى أنتم أيضاً على الصحة والسلامة والعدالة فانتشروا في الأرض جميعاً، فهل هذا إلا من التناقض الصريح المنافي للعقل السليم؟!

ولمثل هذا نقول دائماً: إنما الحياة عقيدة وجهاد، وهيئات من الدلة، والموت قاهرون خير من الحياة مقهورين.

النصر أو الشهادة

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُزْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (١١).

إنَّ الله سبحانه يأمرنا في هذه الآية الكريمة من القرآن المجيد أن نُعدَّ أنفسنا للجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ والدفاع عن حريم المقدَّسات الإسلامية ما نستطيعه من القوى والأسلحة والعتاد والذخائر الحربيَّة والدفاعيَّة، لترهب بذلك عدوَّ الله الذي هو في الواقع عدوُّ الإنسانيَّة أيضاً.

وبما أنَّ من العتاد القديم الخيول المدرَّبة على فنون الحرب والقتال، لذلك خصَّ الله تهيئة الخيول بالذكر، وإلا ففي كلِّ عصر ومصر له أسلحته الخاصَّة، وإنَّ القرآن يتماشى مع الركب البشري من التمدن والحضارة والتقدّم الصناعي والتكنولوجي.

وإنَّ الإعداد بالعدَّة - بالكسر - والعدَّة - بالضم - ممَّا يقرّه العقل السليم والفترة السليمة، فالأمر به في القرآن الكريم واجب الاتباع - عقلاً ونقلاً - كوجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والخمس. ولكنه من المؤسف جدّاً أنَّ المسلمين إن كانوا قد أعاروا للأوامر العبادية شيئاً من الاهتمام بها، فإنهم - ويا للأسف الشديد - لم يهتموا بهذا الأمر الأكيد حتَّى بمقدار اهتمامهم القليل

١٠٦ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

بالأمور العبادية. ولذلك تراهم اليوم قد أصبحوا فريسة كلّ واردٍ وشاردٍ وطامع وحاسد وباغت بالمكائد من الكفّار والمستعمرين والمستكبرين من الإمبريالية والشيوعية والماسونية والصهيونية العالمية، فكلّ واحد يريد الوقعة بالإسلام والمسلمين، وإنّه يخطط بكلّ ما أوتي من قوّة لنهب الثروات واستثمار الشعوب واستعبادهم واسترقاقهم بطريقة حديثة ومعاصرة.

إذن، وبعد أن عرفنا الداء والدواء والتفتنا اليوم إلى ما نحن فيه من الحالة المزرية المشينة المشجبة المحزنة المبكية، وبعد أن التفتنا إلى ما أمرنا به ربّنا الله سبحانه في هذه الآية الشريفة من كتابه الكريم، يجب علينا نحن المسلمين أن نكون على وعي تامّ وشعور دائم ويقظة وانتباه مستمرّ في سبيل العمل والدعوة على طبق أوامر الله تعالى وتشريعاته الحكيمة، لعلّنا نستطيع أن نتحوّل من أسوأ حالنا اليوم إلى أحسن حالٍ في فجر غده المشرق.

ونستعدّ لإقامة الحكومة الإسلامية في ربوع الأرض، ولا نهاب أعداء الله بل نعدّ لهم العدة والعدة من رجال أقوياء أبطال ومن أسلحة نرهب بها عدوّ الله وعدوّنا، ونستقبل الموت بأنفسنا وأرواحنا ولا نخاف منه، وقع علينا أم وقعنا عليه، وتبلور فينا الحرّية والفوز بإحدى الحسينيين: إمّا النصر وإمّا الشهادة.

ما هي وظائفنا الدينية ؟

روى الشيخ الطبرسي في كتاب (الاحتجاج على أهل اللجاج)، عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال :

«... وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواية أحاديثنا، الذين نظروا في حلالنا وحرامنا وعرفوا أحكامنا، فأني جعلتهم حجة عليكم وأنا حجة الله عليكم، فالرأد عليهم كالرأد علينا، والرأد علينا كالرأد على الله، فهو في حدّ الشرك».

وروى في التوقيع الشريف عن الناحية المقدّسة صاحب العصر والزمان أنه قال عليه السلام :

«... وأما الحوادث الواقعة... فانظروا من كان من الفقهاء مطيعاً لمولاه مخالفاً لهواه... فعلى العوام أن يفلدوه».

يأمرنا إمامنا الحسن العسكري عليه السلام وكذلك مولانا وإمامنا المنتظر صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام وعجل الله فرجه الشريف : أن نرجع في الحوادث الواقعة، أي في مسائلنا العبادية وفي المعاملات والعاديات والسياسيات في زمن الغيبة الكبرى إلى من كان من فقهاءنا عادلاً، موثقاً به، ومطمئناً إليه، ومعتمداً عليه، بأن يكون مطيعاً لأوامر الله تعالى ومخالفاً لهوى نفسه، وحافظاً لدينه...

وقد عرّف الإمام العسكري عليه السلام الفقيه بأنه الذي نظر في أحكام الإسلام نظر اجتهاد واستنباط، فعرف منها الحلال والحرام، فليست المعرفة هنا المعرفة

١٠٨ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

التقليدية. بل إنّما هي المعرفة الاستدلالية الاستنباطية عن أدلتها الشرعية التفصيلية، وهي كما عند المشهور أربعة: الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

إذن، وظيفتنا في زمن غيبة أئمتنا ولا سيما إمامنا - وأنّه كالشمس وراء السحاب ننتظر طلوعه وظهوره المبارك - في أحكامنا الشرعية من العبادات والمعاملات، أن نرجع فيها إلى فقهاء الإسلام وعلماء الدين العدول الثقات.

ودليلنا على هذه الوظيفة: حكم أئمتنا عليهم السلام، ونخص بالذكر منهم هنا الإمامين الحسن العسكري والحجة المنتظر عليه السلام.

هذا بالإضافة إلى الحكم العقلي القاطع بذلك: حيث أنّ العقل والعقلاء جميعاً يحكمون برجوع الجاهل في أيّ شيء إلى العالم به، بشرط أن يكون هذا العالم موثقاً به، ومطمئنّاً إليه، ومعتمداً عليه.

هذا وقد ورد الأمر بذلك في القرآن الكريم أيضاً في قوله تعالى:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١).

وفي آية النفر وغيرها، فثبت المطلوب عقلاً ونقلًا.

ففي فروع الدين إمّا أن يكون المكلف الملتفت مجتهداً، بأن يستنبط الأحكام من أدلتها التفصيلية بنفسه بعد دراسة طويلة وخبرة عميقة، وإمّا أن يكون مقلداً لمجتهد وفقه جامع للشرائط، وإمّا أن يكون محتاطاً.

وتفصيل ذلك في الرسائل العملية والكتب الفقهيّة، فراجع.

نظام الحكم والإدارة في الإسلام

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١).

وقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٢).

لقد عرفنا في مباحثنا العقائدية ومفاهيمنا الإسلامية أن الإمام والولاية تكون في عهد النبي للنبي ﷺ، ثم من بعده بتعيين من الله ووصاية منه ﷺ تكون للأئمة الأطهار عليهم السلام من بعده، وقد عددناهم في ما مضى اثني عشر إماماً، كلهم من قريش، أولهم أمير المؤمنين علي عليه السلام، وآخرهم المهدي من آل محمد عليهم وعجل الله فرجه الشريف.

وقد درسنا في البحث السابق من مفاهيمنا أنهم عليهم السلام أرجعوننا في الحوادث الواقعة إلى رواية الأحاديث، أي من الفقهاء العظام الجامعين للشرائط، وهذا يعني ولاية الفقيه الجامع للشرائط، فهو الحاكم، وسيكون بيده زمام الأمور وإدارة البلاد، وإجراء حكم الله في الأرض.

(١) النساء : ٥٩.

(٢) المائدة : ٥٥.

١١٠ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

فولاية الفقيه إنما هي رشة من رشحات ولاية الله ورسوله والأئمة

الأطهار عليهم السلام (١).

(١) إنا لله وإنا إليه راجعون. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فهذا آخر ما وجدناه في أصول الدين من كتاب المرحوم المغفور له حجة الإسلام، أخي الكريم السيد عامر العلوي، تغمده الله وإخوتي ووالدي برحمته الواسعة. وأسكنهم مع محمد وآله في فسيح جناته. وأنه أشار إلى ولاية الفقيه التي هي أساس دستور الإسلامي في إيران الإسلام، كما هي منطلق الثورة الإسلامية التي انطلقت من إيران أخيراً، وأصل وأساس الجمهورية الإسلامية... وهذا كله قبل إقامة الحكم الإسلامي في إيران. فإن دَلَّ على شيء فإنه يدلُّ على وعيه وطموحه وتنبؤه بالمستقبل المشرق إن شاء الله تعالى... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العبد

عادل العلوي

الفهرست

مقدمة

١٠-٣

- ٣ ماهي المفاهيم الإسلامية ؟
- ٦ مفهوم الدين في الإسلام

الكلام في عقائد الإسلام

٥٦-١١

- ١٣ التوحيد
- ٢٣ العدل
- ٢٦ النبوة العامة والخاصة
- ٢٧ الإمامة العامة والخاصة
- ٥٠ المعاد

١١٢ المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق

الأخلاق في الإسلام

٥٧ - ١١٠

- ٦٢ الهجرة للعلم والإيمان
- ٦٧ الحلم
- ٦٩ الإخلاص
- ٧٣ التواضع
- ٧٦ التكبر
- ٧٨ التوبة والاستغفار
- ٨٢ ملء الفراغ
- ٨٤ العفو عند المقدرة
- ٨٦ وملبسهم الاقتصاد
- ٨٨ نوعية التحدّث
- ٩٠ سوء الظنّ
- ٩٣ الوحدة الإسلامية
- ٩٥ الاختلاف العقائدي في منطق الإسلام
- ٩٨ الأعياد في الإسلام
- ١٠٠ إحياء الذكريات الإسلامية
- ١٠٢ فضيلة الجهاد
- ١٠٥ النصر أو الشهادة
- ١٠٧ ما هي وظائفنا الدينية ؟
- ١٠٩ نظام الحكم والإدارة في الإسلام